

Agatha Christie®

أجاثا كريستي

العدو الخفي



بمقدمة
جديدة

المهمة المشؤومة

Agatha Christie®

The Secret Adversary

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore

لتتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublishations@jarirbookstore.com

إخلاء مسؤولية

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية من الكتاب، وعلى الرغم من أننا بذلنا قصارى جهتنا في نشر وترجمة الطبعة العربية، فإننا لا نتحمل أي مسؤولية أو تقدم أي ضمان فيما يتعلق بصحة أو اكتمال المادة التي يضمها الكتاب. لذا فإننا لا نتحمل، تحت أي ظرف من الظروف، مسؤولية أي خسائر أو تعويضات سواء كانت مباشرة، أو غير مباشرة، أو عرضية، أو خاصة، أو مفرقة، أو أخرى كما أننا نطفي مسؤولياتنا بصفة خاصة عن أي ضمانات حول ملاءمة الكتاب معمماً أو ملائمة لغرض معين.

الطبعة الأولى ٢٠١٤

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.

Copyright © 2014. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأي وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو أية وسيلة أخرى.

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاء شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في فرصة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك، ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك، نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٢١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - هاتف ٤٩٦٦ ١١ ٤٦٦٦٠٠٠ - فاكس ٤٩٦٦ ١١ ٤٦٥٦٣٦٣

The Secret Adversary Copyright © 1922 Agatha Christie Limited. All rights reserved
AGATHA CHRISTIE® and the Agatha Christie Signature are registered trade marks of Agatha Christie Limited in the UK and/or elsewhere. All rights reserved.

Translation entitled "العمو الخفي" © 2014 Agatha Christie Limited.
All rights reserved.

نبذة عن المؤلفة

أعد أجاثا كريستي أكثر الروايات نشرًا، حيث نُشرت أعمالها على نطاق واسع على مر العصور وبكل اللغات، ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى مؤلفات شكسبير، فلقد بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة أجنبية. كتبت أجاثا كريستي ثمانين رواية من أدب الجريمة ومجموعات قصصية قصيرة وتسع عشرة مسرحية وكتابي سيرة ذاتية وست روايات أخرى كتبتها تحت اسم مستعار، هو "ماري ويستماكوت".

حاولت في البداية تأليف القصص البوليسية في أثناء عملها في مستوصف طبي في أثناء الحرب العالمية الأولى، مبتكرة الشخصية الأسطورية "المحقق هيركيول بوارو" في روايتها الأولى *القضية الغامضة في مدينة ستايلز*. وفي رواية جريمة قتل في *المعبد* ** التي تم نشرها في عام ١٩٣٠، قدمت محققة محبوبية هي الأنسة جين ماربل. ومن بين شخصيات سلسلة الروايات فريق مكافحة الجريمة المكون من الزوج والزوجة تومي وتوينيس بيريسفورد، والمحقق الخاص باركر باين، ومحققي سكوتلانديارد: المراقب باتل والمفتش جاب.

والكثير من روايات كريستي وقصصها القصيرة تم تحويلها إلى مسرحيات وأفلام ومسلسلات تليفزيونية. ومن أشهر مسرحياتها على الإطلاق مسرحية *The Mousetrap* التي تمت بداية عرضها في عام ١٩٥٢، وقد استمر عرضها على خشبة المسرح لأطول فترة عرض في تاريخ المسرح. ومن بين أشهر الأفلام المأخوذة عن رواياتها جريمة في *قطار الشرق السريع* *** (١٩٧٤) وجريمة قتل على ضفاف النيل **** (١٩٧٨)، حيث لعب دور المحقق هيركيول بوارو الممثلان "البرت فيني" و"بيتر أوستينوف" في الفيلمين على التوالي. وعلى شاشة التليفزيون، لعب الممثل "ديفيد سوشيه" دور المحقق بوارو على نحو لا يمكن

بسم الله الرحمن الرحيم

* متواظرة لدى مكتبة جريير

** متواظرة لدى مكتبة جريير

*** متواظرة لدى مكتبة جريير

**** متواظرة لدى مكتبة جريير

نسيانه أبدًا، ولعبت الممثلة "جوان هيكسون" دور الأنسة ماربل، ثم تبعتها هي تأدية هذا الدور كل من الممثلة "جيرالدين ماكايفون" و"جوليا ماكنزي".

تزوجت كريستي لأول مرة من أرشيبالد كريستي، ثم تزوجت من عالم الآثار السير ماكس مالوان، الذي رافقته في رحلاته الاستكشافية إلى البلدان التي استعانت بها في أحداث العديد من رواياتها. وفي عام ١٩٧١، تسلمت كريستي واحدًا من أرفع الأوسمة البريطانية حين حصلت على لقب سيدة الإمبراطورية البريطانية. توفيت كريستي في عام ١٩٧٦ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين. وتم الاحتفال بعيد ميلادها المائة والعشرين في مختلف أنحاء العالم في عام ٢٠١٠.

www.AgathaChristie.com

مجموعة روايات لأجاثا كريستي

القتل السهل	راقب إلى فرانكفورت
ثلاثة فئران عمياء وقصص أخرى	إعلان من جريمة
السيد كوين الغامض	أوراق لعب على الطاولة
تحريات باركرباين	خطر في إند هاوس
من الذي قتل السيد روجر أكرويد	القتل السهل
أبجدية القتلى	الموت على ضفاف النيل
جريمة وانتقام	القضية الغامضة في مدينة ستايلز
موت في السحاب	غدا المراهبا
بيت الرجل الميت	الجواد الأشهب
شجرة السرو الحزينة	لعز القطار الأزرق
واختفى كل شيء	الأهبال تستطيع أن تتذكر
جريمة في بغداد	الموت يأتي في النهاية

المحتويات

١	تومي وتوينس: مقدمة	
١٧	تمهيد	
٢١	شركة شباب المفامرين المحدودة	١
٣٢	عرض السيد ويتجتون	٢
٤٣	العقبة	٢
٥١	من هي جاين فين؟	٤
٦٢	السيد جولوس بي. هيرشايمر	٥
٧٠	التخطيط للمهمة	٦
٧٩	مفزل في سوهو	٧
٨٦	مفامرات تومي	٨
٩٧	توينس تدخل الخدمة السرية	٩
١٠٨	دخول السير جايمس بيل إدجارتون	١٠
١١٧	جولوس يروي قصته	١١
١٢٩	صديق في ورطة	١٢
١٤٩	الحراسة	١٣

www.liilas.com/vb3
 uploaded and scanned
 by :
 THE AHO57 92

١٤	التشاور	١٦١
١٥	توينيس تتلقى عرضاً	١٧٠
١٦	مغامرات تومي اللاحقة	١٧٩
١٧	آنيث	١٨٩
١٨	البرقية	٢٠٧
١٩	جاين فين	٢٢٤
٢٠	سبق السيف العذل	٢٣٦
٢١	اكتشاف تومي	٢٤٤
٢٢	في شارع داووننج	٢٥١
٢٣	سباق ضد الزمن	٢٥٨
٢٤	جوليوس يقدم المساعدة	٢٦٦
٢٥	قصة جاين	٢٧٩
٢٦	السيد براون	٢٩٥
٢٧	حفل عشاء في سافوي	٣٠٢
٢٨	والنهاية	٣١٤

تومي وتوينيس: مقدمة

كتب: جون كوران

"تومي، صديقي العزيز".

"توينيس، رفيقتي الغالية".

يُعرف هذا الإصدار الجديد من رواية العدو الغامض - التي نُشرت للمرة الأولى عام ١٩٢٢ - قراء أجاثا كريستي على فريق المحققين المكون من تومي وتوينيس ببريسفورد. يسود حس الدعابة الخفيفة ليس هذه الرواية فقط، بل أيضاً الروايات والقصص القصيرة من السلسلة ذاتها التي ستصدر في المستقبل، على الرغم من أن كلمة سلسلة قد لا تكون معبرة، فعلى النقيض من روايات بوارو والأنسة ماربل والروايات الكثيرة التي قاما ببطولتها، لا توجد سوى خمس روايات فقط قام ببطولتها فريق تومي وتوينيس. كتبت كريستي تلك الروايات الخمس على مدى مسيرتها المهنية بالكامل، فقد كتبت اثنتين منها في العقد الأول والأخير من مسيرتها المهنية، وواحدة في منتصفها. كانت رواية العدو الخفي هي روايتها الثانية التي تم نشرها، في حين كانت الرواية الأخيرة التي قامت بكتابتها هي رواية *Postern of Fate* عام ١٩٧٣، وكانت من بطولة تومي وتوينيس أيضاً. خلال تلك الفترة صدرت مجموعة قصصية قصيرة تحت عنوان شركاء في الجريمة عام ١٩٢٩، وقصة الجاسوسية تحت عنوان إن أو إم عام ١٩٤١، ثم تلتها فترة توقف طويلة حتى صدور الرواية البوليسية المشثومة

الملينة بجرائم القتل تحت عنوان *By the Pricking of My Thumbs* عام ١٩٦٨.

كانت فرق المحققين المكونة من زوج وزوجته نادرة في الروايات البوليسية الخيالية، فقد ابتكر داشيل هاميت شخصيتي نيك ونورا تشارلز في روايته *The Thin Man* عام ١٩٣٤، وهي المغامرة الوحيدة التي قاما ببطولتها، ناهيك عن نصف دسنة من الأفلام التي أدى دوريهما الممثل ويليام باول (نيك) والممثلة ميرنا لوي (نورا). هناك أيضاً بام وجيري نورث، فريق المحققين المكون من زوج وزوجته الذي ابتكره كل من ريتشارد وفرانسيس لوكريدج - الفريق الذي قام ببطولة ست وعشرين رواية. على الرغم من أن الكثير من شخصيات المحققين الأخرى قد ظهرت متزوجة في الروايات - المحقق فريش، جيديون فيل، المحقق آلين - فإن شخصيات زوجاتهم لم تكن شخصيات ضالعة في عملية التحقيق. أما بالنسبة لتومي وتوبينس بيريسفورد، فإنهما فريدان من نوعهما فيما يتعلق بلقائهما وزواجهما وشرائعهما وتقدمهما معاً في السن خلال فترة الخمسين عاماً، التي تمثل مسيرتهما المهنية في عالم حل خيوط الجرائم.

على العكس من شخصيات المحققين الأخرى التي ابتكرتها كريستي، فإن شخصيتي تومي وتوبينس تشيخان بالتدرج خلال سلسلة الأعمال التي ظهرا فيها، على الرغم من أنه يجب الاعتراف بأن تقسيم الفترات الزمنية بشكل رياضي لم يكن يتمتع بالكثير من الدقة. عندما قابلناهما للمرة الأولى في رواية *العدو الغامض*، كانا قد سرحا للثو من الجيش بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ثم أصبحا زوجين يديران وكالة للتحقيقات الخاصة في رواية *شركاء في الجريمة*: التي أعلنت توبينس في نهايتها أنها أصبحت حاملاً. في حين كان أطفالهما يقاتلان خلال الحرب العالمية الثانية، كان السيد والسيدة بيريسفورد يشاركان في الحرب من خلال مطاردة الجواسيس في رواية *إن أو إم*، ثم أصبحا جديدين يحققان في حالة اختفاء غامضة بعد تقاعدهما في رواية *By Pricking of My Thumb*. أما في مغامرتهم الأخيرة، فيقوم العجوزان تومي وتوبينس باكتشاف السر التاريخي لمنزلهم الجديد في رواية *Postern of Fate*.

كانت توبينس حجر الأساس للكثير من بطلات الروايات اللواتي ابتكرتهن كريستي خلال مسيرتها: أن بيدنجفيلد في رواية *الرجل ذو السترة البنية* عام ١٩٢٤، والليدي إيلين (باندل) برنت في رواية *سر جريمة تشيمينز* عام ١٩٢٥، و*لغز المنبهات السبعة* عام ١٩٢٩، وشخصية إميلي تريفوسيس في رواية *The Sittaford Mystery* عام ١٩٣١، والليدي فرانسيس ديروينت في رواية *لماذا لم يسألوا إيفانز؟* عام ١٩٣٤، وفكتوريا جونز في رواية *جريمة في بغداد* عام ١٩٥١. كانت جميع تلك الشخصيات النسائية تحمل سمات مشابهة لتوبينس: الفضول الذي لا يكل، وسرعة البديهة، والولاء التام، وحسن الدعاية، ولكن تميزت توبينس بكونها زوجة وبعد ذلك أما وجدة. على العكس من الشخصيات النسائية "الثانوية" الأخرى، تعتبر توبينس شريكاً في بطولتها الرواية على قدر بطل الرواية الذكر نفسه، حيث إنها ليست تلك الأنثى العاجزة التي تنتظر البطل الذكر الأكثر شجاعة وذكاءً لينقذها من براثن الشخصية الشريرة في الرواية. كانت توبينس هي من أخذت بزمام المبادرة فيما يتعلق بنشر إعلان في الصحف كتب فيه: "لن يتم رفض حتى العروض غير المعقولة". كانت رباطة جأش توبينس هي التي مكنتها هي وزوجها من النجاح في اللغز الأول الذي تورطا فيه، كما أن هدوءها قد خضع للكثير من الاختبارات القاسية لقوة أعصابها. خلال أحداث رواية *العدو الخفي*، شاركت توبينس زوجها تومي القدر نفسه من المخاطر.

في الفصل الأول من رواية *العدو الخفي* وُصفت توبينس بأنها: "ليست على قدر كبير من الجمال، ولكن يمكنك أن ترى قوة شخصيتها وسحرها بطلان من الخطوط الجميلة لوجهها الصغير، وذقنها الذي يحمل أمارات الإصرار وعينيها الرماديتين الواسعتين المتباعدتين اللتين تطلان من تحت حاجبيها الأسودين المستقيمين". أما وجه تومي فكان "قبيحاً بشكل غير منفر - لا يمكن وصفه بكونه وجه رجل نبيل أو رياضي". الأمر المثير للدهشة هو أنه قد وُصف على أنه يمتلك "شعراً أحمرًا جميلاً مصفواً للخلف". بهذه الأوصاف، تجنبت كريستي تكرار بعض الأوصاف مثل الأكتاف العريضة والخصر النحيل وعظام الفك المنحوتة والوجه الشيطاني الذي لفحته الشمس (بالنسبة لأبطال الرواية)

والجسد الذي يشبه أجساد الكائنات الخرافية، والجداول الذهبية، والجمال الذي لا مثيل له، والبراعة النامة (بالنسبة لطبيلات الرواية)، هي الصفات التي كانت شائعة لوصف أبطال الروايات في ذلك الوقت.

قد نصدق شخصيات تومي وتوبينس لأنها شخصيات "عادية" للغاية. في الفصل الثاني والعشرين من رواية *العدو الخفي*، يقوم كل من رئيس الوزراء والسيد كارتر الغامض بمناقشة القضية والحديث عن بطلي الرواية، حيث يقوم السيد كارتر بتقديم الملخص البارع التالي عنهما، والذي يعمل كصورة دقيقة عن كل منهما: "ظاهرياً، يبدو تومي شاباً إنجليزياً عادياً متناسق الأعضاء ضيق الأفق، حيث يعمل عقله ببطء، ولكن من المستحيل أن يقوده خياله إلى الخروج بأية أفكار عظيمة. إنه لا يمتلك أي خيال - لذا فمن الصعب عليه أن يخدع أي أحد. إنه يفهم الأمور ببطء شديد، ولكن بمجرد أن تستحوذ عليه فكرة ما، فإنه لا يتخلى عنها أبداً. أما السيدة توبينس فهي تختلف عنه تماماً، حيث إنها تميل إلى الاعتماد على حدسها أكثر من تفكيرها المنطقي. إنها يشكلان فريقاً رائعاً يعملهما معاً، من حيث السرعة وقوة الاحتمال".

الشخصية الأخرى من السلسلة التي ظهرت للمرة الأولى في رواية *العدو الخفي* هي ألبرت، الفتى الحمال المتواضع الذي يعمل في فندق ريتز، حيث تعرفنا عليه للمرة الأولى. قامت توبينس، من خلال تورطها الكبير في بعض الأمور الفضلية، بمصادقته، حيث أثبتت أحداث المغامرة أنه حليف قيم للغاية. في المرة التالية التي سنقابله فيها في رواية *شركاء في الجريمة*، سنجد أنه أصبح ساعي المكتب في وكالة التحقيقات الخاصة، كما أنه سيصبح جزءاً لا يتجزأ من منزل عائلة بيريسفورد، حيث ظهر في جميع الروايات، ومن بينها رواية *Postern of Fate*. لن نعرف، حتى رواية *إن أو أم*، أن اسم عائلته هو بات، وأنه متزوج، على الرغم من أن دور زوجته في الرواية غير ظاهر. جاءت مشاركته في أحداث رواية *إن أو أم* بمحض المصادفة، ولكنه كان في رواية *By the Prick of My Thumbs* جزءاً لا يتجزأ من منزل عائلة بيريسفورد؛ حيث كان يعمل طاهياً ورئيس خدم وعاملاً يهتم بإصلاح كل شيء في المنزل.

عندما وقعت أجانا كريستي عقد نشر رواية *القضية الغامضة في مدينة سبيلز*، كانت قد وقعت أيضاً عقد كتابة خمس روايات أخرى لصالح دار نشر بودلي هيد. في شهر أكتوبر من عام ١٩٢٠، أرسلت خطاباً إلى ناشرها، جون لاين من دار نشر بودلي هيد، تسأل فيه عن تقدم مبيعات كتابها الأول، وذكرت في سياق خطابها ما يلي: "لقد أوشكت على الانتهاء من كتابة كتابي الثاني". لذا يدل هذا الخطاب على أن رواية *العدو الخفي* كانت جاهزة قبل ثلاثة أعوام من نشرها، الأمر الذي يتفق بدوره مع الحوار في الفصل الأول الذي يقول فيه تومي إنه قد سُرح من الجيش "منذ عشرة أشهر طويلة مرهقة". إن كان تومي قد خرج من الجيش في نهاية عام ١٩١٨، فإن عشرة أشهر تالية ستصل به إلى قرب انتهاء عام ١٩١٩.

تحدثت كريستي عن نشأة الكتاب المبكرة في سيرتها الذاتية، حيث وصفت كيف أنها سمعت، مثلما فعل تومي في الفصل الأول من الرواية المنتهية، حواراً يدور في أحد المقاهي عن امرأة تدعى جاين فيش، حيث قالت: "هذا، كما أعتقد، كان سيشكل بداية رائعة لقصة - اسم سمعته مصادفة في أحد المقاهي - اسم عادي لدرجة أنه أياً كان من يسمعه، سيتذكره طوال حياته. اسم مثل جاين فيش أو ربما من الأفضل أن يكون جاين فين. لقد استقر قرارى على جون فين وبدأت في الكتابة على الفور. أطلقت على الرواية في البداية عنوان *المغامرة المرحية* - ثم *شباب المغامرين* - وأخيراً استقر رأيى على *العدو الخفي*". ظهرت تسمية "شباب المغامرين" مرة أخرى في الفصل الأول في إعلانات الصحف، والتي دلت بشكل ممتاز على روح الرواية وبطليها. قالت كريستي إن جون لاين لم أعجبه رواية *العدو الخفي* لأنها كانت تختلف تماماً عن روايتها الأولى. كان جون خائفاً بدرجة كبيرة من انخفاض المبيعات لدرجة أنه قرر ألا ينشر الرواية، إلا أنه تراجع عن قراره، وحصلت كريستي على خمسين جنيهًا مقابل حقوق الملكية الفكرية للسلسلة.

تعود أصول أحداث رواية *العدو الخفي* إلى أربع سنوات سابقة لوقت كتابتها خلال أحداث حقيقية وقعت: غرق سفينة *لوزيتانيا* في شهر مايو من عام ١٩١٥. كانت السفينة قد أبحرت من ميناء نيويورك قبل حوالي أسبوع من غرقها وعلى

منتها حوالي ألفي راكب (مائة وستون منهم كانوا مواطنين أمريكيين)، وأصابها طوربيد ألماني على سواحل أيرلندا. غرق في تلك الحادثة ١٢٠٠ راكب من بينهم ١٢٠ أمريكياً. على الرغم من الادعاءات الألمانية بأن السفينة كانت تحمل أسلحة، فإن العالم بأكمله قد شعر بغضب شديد من إغراق الجيش الألماني سفينة راكب، وقد سرع هذا السخط الشديد من دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب (المفارقة أن التحقيقات البحرية الحديثة أثبتت وجود ذخائر على متن السفينة). في وقت نشر رواية العدو/الخفي، كانت تلك المأساة الشهيرة لا تزال حية في الوجدان الشعبي، كما أن المشهد الافتتاحي القصير الذي تدور أحداثه على متن تلك السفينة سيئة الحظ قد استحوذ على انتباه القراء. قد يبدو هذا المشهد حدثاً غير مهم يحرك سلسلة من الأحداث التي تورط فيها بطل الرواية وبطلتها من دون أن يدرك ذلك.

تبدأ أحداث القصة الرئيسية، بعد عدة أعوام، بلقاء الأنسة برودنس كاولي والسيد توماس بيريسفورد خارج محطة قطار أنفاق دوفر التي لم تعد موجودة في الوقت الحالي. تجديداً لمعرفتهما السابقة، تعرف أن كليهما قد تم تسريحه مؤخراً من الجيش ولم يحصل على عمل بعد. توجهوا بعد ذلك إلى مقهى ليونز كورنر هاوس (سلسلة مقاهٍ شهيرة لم تعد موجودة هي الأخرى) وبدأ كل منهما يقص على الآخر قصة حياته. يتبادر إلى علمنا أنهما كانا يعرفان بعضهما بعضاً أثناء الطفولة وتقابل مرة أخرى خلال الحرب عندما أصيب تومي وتلقى علاجه في المستشفى نفسه الذي كانت تعمل به توبينس.

توبينس هي الأنسة برودينس كاولي، ابنة رجل الدين كاولي (الذي يظهر ظهوراً محدوداً في نهاية رواية العدو/الخفي)، وهي الابنة الخامسة بين سبعة أبناء. لم يعلم أحد مصدر اسمها الحركي، توبينس، ولا حتى هي. تركت منزل أسرتها في سافولك - ليس رغباً عنها - للمساعدة في الجهود الحربية وعملت في عدد من الوظائف المتواضعة في أحد المستشفيات.

قبل تسريحها من الجيش، عملت توبينس سائقة وموظفة في أحد المكاتب. كانت قصة حياة تومي أكثر قصراً من توبينس. بعيداً عن عمه الغني الذي كان

يرغب بشدة في كفالته، لا نعلم الكثير عن أبويه الراحلين. ترقى تومي إلى رتبة ملازم في الجيش وأصيب عدة مرات. كان كلاهما عاطلاً عن العمل ومفلساً، الأمر الذي يعد من الحقائق التاريخية، فعندما ترك الآلاف الخدمة في الجيش بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، تسبب هذا في حدوث أزمة بطالة ضخمة، تحولت فيما بعد لتصبح مشكلة اجتماعية واقتصادية ضخمة.

بعيداً عن الأسلوب الروائي السلس، هناك سمة جذابة أخرى تتسم بها هذه الرواية، وهي روح الدعاية التي يتمتع بها بطل الرواية. حدد الحوار الافتتاحي لفظة المرح التي تميز بطل الرواية، الأمر الذي استمر في أغلب أجزائها، حتى في المواقف العصيبة التي وجدا نفسيهما متورطين فيها. كان حوار توبينس الغامر مع السيد ويتجتون - "لقد سمعتني أمس أقول إنني سأعيش طبقاً لما يعلمه علي ذكائي، ويبدو أنني قد أثبت أنني أمتلك بعض الذكاء لأعيش طبقاً له" - يماثل هذا سلوك تومي الشيطاني - قال تومي برعونة: "دعونا نأمل ألا يكون القاضي قد ارتدى قبعته السوداء" - خلال الفترة التي قضاه في السجن. بعد ذلك، كان استحواذ توبينس على عقل وقلب ألبرت - همست قائلة: "المحقق الأمريكي فورس"، وأعجب ألبرت بما قالته، وغمغم قائلاً: "يا إلهي" - أمر يدل على البراعة الشديدة في التمثيل والدراسة التامة بعلم النفس.

تعتبر عناصر رواية العدو/الخفي ملائمة تماماً للعصر الذي صدرت فيه - المحقق الشجاع (أو في هذه الحالة، اثنان من المحققين الشجعان) الذي يصارع زعماء إجرامياً غامضاً يسعى للسيطرة على العالم، اختلاطات خسية ومعارك إنسانية جريئة، رسائل لغرافية وخطابات مزيفة، تنكر وانتحال شخصيات، كما دخل إلى غمار الأحداث أيضاً مليونير وممرضة منزلية غريبة الأطوار وزوج من الأغراب اللذين من السهل الارتياح في أمرهما (الغريب هو أي شخص من خارج حدود بريطانيا)، وحالة وفاة غامضة. من هذه المكونات المكررة تمكنت كريستي من إنشاء قصة رائعة جذابة للقراء، مع تطور للأحداث جديد تماماً وغير متوقع والكشف المفاجئ عن حل اللغز في الفصل الأخير على طريقة أجاثا كريستي. يلعب السيد براون الغامض في رواية التشويق هذه دور القاتل المجهول نفسه في بقية رواياتها - السيد/ السيدة/ الأنسة الغامضة التي تنتظر

ليتم الكشف عن هويتها في الفصل الأخير من الرواية. قامت كريستي أيضًا بإخفاء شخصية الزعيم الإجرامي الخطر قدر ما مكنتها إمكانياتها الفنية كما فعلت مع القاتل الأول في رواية *القضية الغامضة في مدينة ستايلز*.

تظهر بعض عناصر حبكة هذه الرواية في بعض روايات كريستي التالية، تسلسل تومي من أحد التجمعات في ذلك المنزل في سوهو يُنبئ بمشهد مماثل، بعد سبع سنوات، في رواية *لغز المنبهات السبعة*؛ الممرضة المنزلية الشريرة، تظهر مرة أخرى في رواية *تالية* لتومي وتوبينس تحت عنوان *The Case of the Missing Lady*، وكذلك رواية *لماذا لم يسألوا إيفانز؟* وكذلك الأوراق المهمة التي تدور حولها أحداث مسرحية *القهوة السوداء*، والقصة القصيرة تحت عنوان *The Incredible Theft*. هذا إلى جانب أن السمة العامة لتظاهر شخصيات الروايات بأنهم أشخاص آخرون ستظل تلازم روايات كريستي طوال الخمسين عامًا التالية. المفاجأة الأخرى التي ستذهل قراء كريستي المطلعين على أعمالها هو الذكر المقتضب للمحقق جاب في الفصل الخامس، وهو المحقق الذي يشارك هيركيول بوارو في حل خيوط الجرائم. كان المحقق جاب قد ظهر بالفعل في رواية *القضية الغامضة في مدينة ستايلز*، وسيستمر في كونه المعجب الحاسد للمحقق البلجيكي على مدار سنوات عدة، وقضايا عدة في المستقبل.

عندما نُشرت رواية *العدو الخفي* في شهر يناير من عام ١٩٢٢ في المملكة المتحدة وبعدها بعدة أشهر في الولايات المتحدة الأمريكية، حصلت على تغطية صحفية رائعة، حيث وجدتها جريدة *لندن تايمز* "فكرة جديدة تمامًا، حيث تمت تغطية هوية المجرم الرئيسي بمهارة حتى نهاية الرواية"، في حين اعتقدت جريدة *الدائلي نيوز* أن الرواية "ذات حبكة عبقرية ومثيرة... إنها تستحق القراءة". اعتبرت جريدة *ساترداي ريفيو* أن الرواية "قصة مغامرات مشوقة، مليئة بالحالات التي يهرب فيها الأبطال في اللحظة الأخيرة، وستفشل جميع محاولات القراء لحل خيوط اللغز قبل اللحظة التي يرغب الكاتب فيها في أن يمدهم بالدليل. قصة ممتازة". لخصت جريدة *الدائلي كرونكل* الرواية بطريقة تكهنت من خلالها أن تلك ستكون حال جميع المراجعات الأدبية في

المستقبل حيث كُتب عنها: "حبكة روائية ممتازة، وسيجد القارئ، مثلما فعلنا، أنه من المستحيل أن يتوقف عن القراءة حتى يتم حل خيوط اللغز".

كانت جميع هذه الآراء النقدية مشجعة، لأن رواية *العدو الخفي* تختلف تمامًا من حيث الأسلوب والسرعة عن رواية كريستي الأولى. حدد العقد الأول من المسيرة الأدبية لأجاثا كريستي المعادلات الأدبية التي يجب أن تبحث عنها القراء مع مواهبها. على الرغم من أن الروايات البوليسية كانت نوعية الكتب التي ستحصل من خلالها على الشهرة والمال، فإنها لم تؤلف سوى أربع روايات فقط من هذه النوعية ما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٩ وهي: *القضية الغامضة في مدينة ستايلز*، من الذي قتل السيد روجر أكورويد؟ و *لغز القطار الأزرق*؛ حيث قامت بإدراج التشويق داخل كل من هذه الروايات، الأمر الذي أعطى لها بعدًا ذهنيًا إلى جانب البعد العقلي - *العدو الخفي*، الرجل ذو البذلة البنية، *لغز المنبهات السبعة* - والمجموعات القصصية القصيرة - *تحريات بوارو وشركاء في الجريمة*، إلى جانب رواية *العظماء الأربعة*، المكونة من عدة روايات منتقاة من قصص قصيرة سابقة.

كان سوق القصص القصيرة في ذلك الوقت ضخمًا ومربحًا للغاية، حيث كانت هناك الكثير من المجلات الخيالية تملأ أكشاك الكتب. كان الظهور المنتظم للقصص القصيرة أو المجموعات القصصية القصيرة يجعل اسم الكاتب متداولًا بشكل منتظم في الوجدان الشعبي، والأمر الأكثر أهمية بالنسبة للكاتب، أنها لا تملأ مصدرًا سريعًا للحصول على المال. ظهرت أسماء الكثير من كتاب الروايات البوليسية بشكل منتظم على صفحات عدد كبير من المجلات المنشورة في ذلك الوقت - كوثان دويل، شيرلوك هولمز، بايلي والسيد فورتشن، هورنانج ورافيلز - وهي الكثير من الحالات، يُعتبر ظهور قصة جديدة من تأليف أحد الأدباء المفضلين مساعدًا كبيرًا على زيادة مبيعاتها، مع ظهور اسم الكاتب وعنوان القصة على أغلفة المجلات. خلال هذا العقد من المسيرة الأدبية لكريستي، قامت بكتابة عدد هائل من القصص القصيرة لهذا السوق؛ وظهرت أغلب هذه القصص القصيرة فيما بعد في مجموعات قصصية نُشرت على مدار العشرين

عاماً التالية. لذا فإن مغامرات تومي وتوينيس استمرت على الفور بعد ظهور روايتهما الأولى في صورة قصص قصيرة.

نُشرت الرواية الثانية من بطولة تومي وتوينيس تحت عنوان شركاء في الجريمة عام ١٩٢٩، حيث ظهر فيها زوجين سعيدين قاما - بناءً على طلب السيد كارتر الذي ظهر في رواية العدو الخفي - بإنشاء وكالة تحقيقات خاصة أطلقا عليها، بالتواضع المعروف عنهما، محققى بلانت اللامعين. في حقيقة الأمر، كانت الوكالة غطاءً لإفشاء بعض المعلومات السرية المهمة التي تقول إن صاحب الوكالة السابق، السيد تيودور بلانت، كان جاسوساً. بعد أن تمكن كل من تومي وتوينيس من الاستحواذ على عمل بلانت، أصبح من الضروري أن يظلا حذرين وأن يخبرا السيد كارتر بكل ما يجري. على الرغم من أن هذه الحكمة الثانوية تظهر في أحداث الرواية من وقت لآخر في القضايا الفردية التي تكون الكتاب، فإنها لم تكن من الأسباب المهمة أو المقنعة التي جعلتهما يقومان بمغامراتهما. كانت أغلب المغامرات التي قام بها الزوجان مشوقة وممتعة، ولكن بالإضافة إلى ذلك، كانا يقومان بحل خيوط الأنغاز على أنهما محققان شهيران (في الروايات التالية).

على الرغم من أن السلسلة قد نُشرت في المملكة المتحدة في شهر سبتمبر من عام ١٩٢٩، فإن القصص المستقلة كانت قد ظهرت قبل ذلك بست سنوات، خاصة في مجلة ذا سكيتش، المجلة ذاتها التي قام فيها هيركيول بوارو بإطلاقاته في القصص القصيرة. بخلاف قصة *The Unbreakable Alibi*، التي ظهرت عام ١٩٢٨، ظهرت جميع القصص الأخرى ما بين عام ١٩٢٣ و ١٩٢٤، أي في العام التالي لظهور رواية العدو الخفي. تطلب جمع هذه القصص بعض أعمال إعادة الكتابة وإعادة الترتيب قبل إصدار الكتاب. لذا، على سبيل المثال، في الفصل الأول من الرواية، تقول توينيس: "تزوج تومي من توينيس... وبعد ست سنوات ما زالا يعيشان معاً"، يظهر هذا الإطار الزمني عند نشر الكتاب، ولكنه لا يظهر في القصة القصيرة الأصلية.

إن السمة الغالبة على رواية شركاء في الجريمة، هي انتشار عناصر السخرية والمعارضة الأدبية. عزز تومي هذه الفكرة، حيث كان يحاول أن يحاكي أبطال الروايات البوليسية العظام، وكان يحتفظ بمجموعة من الروايات البوليسية

وقد قرر أن يحل كل قضية بنفس أسلوب أحد أبطاله المفضلين. لذا فإن قضية *The Affair of the Pink Pearl* قد حُلّت بطريقة شخصية الطبيب ثورندايك، التي ابتكرها آر. أوستن فريمان رائد مجال التحقيقات العلمية. رواية *The Case of the Missing Lady*، واحدة من الروايات الشبيهة بأسلوب شيرلوك هولمز وهناك أكثر من رواية اشترك فيها شرطي شارع بايكر تدور أحداثها حول البحث عن شخص مفقود. عند قراءة رواية *The Case of the Missing Lady*، لن تجدها تشبه إلى حد كبير رواية *The Disappearance of Lady Frances Carfax*، من روايات هولمز، حيث إنها أخف كثيراً من حيث الأحداث، ولكنها تحتوي على لغز أكثر صعوبة. نسي القراء الجدد بعض شخصيات المعارضات الأدبية، ولكن أغلب معجبي الروايات البوليسية سيتذكرون إدجار والاس الذي ظهر في رواية *The Crackler*، ورجل الدين براون من رواية *The Man in the Mist* (أحد أدق المعارضات الأدبية في الرواية)، ورجل شيرينجهام من ابتكار أنتوني بيركلي في رواية *The Clergyman's Daughter*، والمحقق فريمنس الذي لا يمكن نسيانه، وويلز كروفتس الذي ابتكره الكاتب الأيرلندي فريمان في رواية *The Unbreakable Alibi*، وشخصية الرجل العجوز الجالس في أحد الأركان، والتي ابتكرتها البارونة أوركزي، والذي كان أسلوب عمله يقوم على دراسة الجرائم وحل خيوطها دون أن يغادر مقهى ABC الذي يملكه، والذي ظهر بشكل ماهر في رواية *The Sunningdale Mystery*. في تهجم ذاتي ماهر، كانت القصة الأخيرة من المجموعة القصصية التي تميزت بتشابهها مع أسلوب هيركيول بوارو العظيم في رواية *The Man Who Was No. 16*، والتي تعتبر إشارة ماهرة لرواية العظماء الأربعة.

نُشرت رواية *إن أو إم* عام ١٩٤١، وتعتبر تغييراً كبيراً في وقع أحداث روايات كريستي وروايات تومي وتوينيس. وقعت أحداث القصة أثناء الحرب العالمية الثانية وبدأت كتابتها خلال الأيام الأولى للحرب. كانت كريستي تكتب هذه الرواية بالتبادل مع روايتها البوليسية من نوعية الأنغاز التقليدية تحت عنوان *جثة في المكتبة*، حيث تقول في سيرتها الذاتية: "قررت أن أؤلف روايتين في الوقت ذاته، حيث إن أحد مصاعب تأليف الروايات أنك تشعر فجأة بأن أفكارك

أصبحت قديمة الطراز". يبدو أن تأليف روايتين متناقضتين تماماً قد ساعد على تجدد كل منها.

أصبحت حالة عائلة بيريسفورد سيئة، حيث دخل ابناهما الجيش للمشاركة في الحرب وانقطعت وسائل الاتصال بينهم. عندما طُلب من تومي (تومي وحده) أن يقوم بمهمة بناءً على طلب السيد جرانت، أحد حلفاء صديقهما القديم السيد كارتر، وافق تومي؛ ولكن اكتشفت توبييس، التي لم تنبه كثيراً بالمهمة، الأمر. وعندما وصل تومي إلى وجهته التي من المفترض أنها سرية، وجد توبييس قد استقرت هناك منتحلة شخصية جديدة تماماً. كان المكان، الذي تدور فيه أحداث الرواية، فندقاً متاخماً للبحر، من الأماكن المعتادة في روايات أجاثا كريستي، وعلى الرغم من التواجد الكثيف للجواسيس والعملاء السريين والشفرات والمخبرين السريين في الرواية، فإن السؤال المطروح هنا ليس من ارتكب الجريمة، بل "من هو العقل المخطط لأعمال الجاسوسية"، وعلى الرغم من هذا، تمكنت كريستي بتحديثها الخلائق أن تدرج جريمة قتل غامضة في أحداث الرواية، بل وأن تقدم إجابات ماهرة وغير متوقعة لكل مشكلة.

بعد فترة توقف دامت خمسة وعشرين عاماً، صدرت رواية الزوجين التالية تحت عنوان *By Pricking of My Thumbs*. عندما تلتقي بـ تومي وتوبييس في الفصل الافتتاحي من الرواية، نجدهما زوجين في منتصف العمر يتجاذبان أطراف الحديث في أثناء تناول وجبة الإفطار. ربما لأن كريستي كانت في وقت كتابة الرواية في نهاية العقد الثامن من عمرها، فقد كانت أغلب شخصيات الكتاب في مثل هذا العمر. دفع الخطاب الذي وصل إلى تومي من عمته الزوجين إلى الذهاب لزيارتها في دار المسنين التي تقيم بها، وهناك تلتقي توبييس بالسيدة لانكستر العجوز التي تتحدث معها عن بعض ما تتذكره عن حالات الوفاة الغريبة والمشتومة التي لحقت ببعض نزلاء الدار. بعد ذلك، في أثناء زيارتهما التالية للدار، وجدا أن السيدة لانكستر لم تعد نزيلة في تلك الدار، حيث قام بعض أقربائها الغامضون بنقلها، فزادت شكوكهما في الأمر وقررت توبييس أن تبدأ التحقيق في الأمر.

تحتوي المحادثة مع السيدة لانكستر أيضاً على تسلسل غير عادي، التسلسل الذي تكرر بالشكل ذاته تقريباً في روايتين أخريين لـ كريستي لا تربطهما أية صلة. هي الفصل الثاني من رواية *By Pricking of My Thumbs*، وفي الفصل العاشر من رواية *Sleeping Murder* التي نُشرت في عام ١٩٧٦، وفي الفصل الرابع من رواية *The Pale Horse* التي نُشرت في عام ١٩٦١، نجد سيدة عجوزاً ذات شعر أشيب ترتشف اللبن من كوب وتتجاذب أطراف الحديث عن وجود جثة ملغى مقتول خلف المدفأة. يمكننا أن نجد عبارة "هل هو كان طفلك المسكين؟" ظاهرة في الأمثلة الثلاثة، ولكنها لا تتصل بالحبكة الروائية إلا في رواية *By Pricking of My Thumbs*. في الواقع كانت عبارة "هل كان طفلك المسكين؟" هي عنوان الفصل، أما في الحالتين الأخريين، فتقع أحداث المشهد في مصحة نفسية بدلاً من دار مسنين، ولجعل المحادثة أكثر غرابة، ذُكرت في كل حالة أيضاً أوقات مختلفة من اليوم (مختلفة في كل حالة عن الأخرى). لم تفسر كريستي أبداً الغرض استعانتها بهذا المشهد في ثلاث روايات غير متصلة (رواية من سلسلة الأنسة ماربل، ورواية من سلسلة تومي وتوبييس ورواية مستقلة بذاتها). قد نفترض أن تلك المحادثة، أو حدثاً شبيهاً بها، قد حدثت بالفعل لأجاثا كريستي، أو فُتت عليها، مما خلف لديها انطباعاً بأنه يجب أن تدرجه في رواياتها.

مثلها مثل الكثير من روايات كريستي في سنواتها الأخيرة، كانت أغلب أحداث رواية *By Pricking of My Thumbs* مكررة، وعلى الرغم من المشاهد الافتتاحية والختامية القوية، فقد نفترض أن الإهمال في تحريرها قد ساعد على الوصول إلى تلك النتيجة. على الرغم من هذا، فإن الإهداء في مقدمة الرواية الذي يقول: "إلى الكثير من القراء، داخل هذا البلد وخارجه، الذين يطلبون تومي وتوبييس"، ذكرنا بأنه من الجيد أن نقابل عائلة بيريسفورد مرة أخرى بعد غياب دام حوالي ربع قرن، ولكن "دون الكثير من الحماس".

لم تكن رواية *Postern of Fate*، هي الرواية الأخيرة من سلسلة تومي وتوبييس فحسب، بل كانت الرواية الأخيرة التي ألفتها أجاثا كريستي على الإطلاق. كانت كريستي في وقت تأليف تلك الرواية قد بلغت الثالثة والثمانين من عمرها وكانت حالتها الصحية سيئة، ويُقال إن ناضرها لم يطلب منها رواية

أخرى، ولكن كانت أجانا تكتب رواية في بداية كل عام على مدار خمسين عاماً وثمانين قصة ورواية، لذا كان من الضروري أن تبدأ في كتابة روايتها التالية بمجرد ظهور الرواية السابقة في الأسواق. في حقيقة الأمر، كانت مفكرتها تحتوي على النقاط الرئيسية لكتابتها الذي كان سيلي رواية *Postern of Fate*، ولكن مع الأسف، لم يكن مقدراً له أن يرى النور.

بدأت رواية *Postern of Fate*، مثلها مثل الكثير من روايات كريستي في أيامها الأخيرة، بالتساؤل: انتقل تومي وتوينيس إلى منزل جديد حيث وجدت توينيس، عندما كانت ترتب الكتب على أرفف المكتبة، رسالة مشفرة مخبأة في كتاب جزيرة الكنز للكتاب العظيم روبرت لويس ستيفنسون، وكانت الرسالة تتحدث عن وقوع جريمة قتل في ذلك المنزل منذ سنوات طويلة ماضية. "لم تمت ماري جوردان ميتة طبيعية... كان أحدنا من قتلها". كانت الأحداث تدور في القرى كعادة روايات كريستي جميعها، ولكن كانت الافتتاحية الأسرة هي السمة المميزة لها. وبغض النظر عن جريمة القتل التي حدثت فيما بعد ومحاولة قتل توينيس نفسها، فإن الكتاب في مجمله عبارة عن سلسلة من الحوارات المليئة بالحنين للماضي. فقد كانت الرواية، في الحقيقة، رحلة للماضي اصطحبت فيها الكاتبة قراءها. تظهر الكثير من عناصر طفولة كريستي السعيدة في منزل عائلتها في أشفيلد، في صورة مستترة إلى حد ما - الكتب التي تقرأها، وحصانها الأعرج، وشجرة الأروكاريا في حديقة المنزل، والمشتل - ولكن لا يظهر تقسيم الأراضي المحيطة بالمنزل في تلك الفترة بوضوح. تمكناً أخيراً من لقاء أحفاد عائلة بيريسفورد، ولكن كان الترتيب الزمني للأجيال الثلاثة غير دقيق. أشار التدهور السريع في صحة أجانا كريستي إلى أنه في الأعوام التالية لنشر رواية *Postern of Fate* كانت الروايات والقصص التي تم نشرها قد كتبت في أعوام سابقة عندما كانت كريستي في أوجها - *Poirot's Early Case* في عام ١٩٧٤، و *Curtain: Poirot's Last Case* في عام ١٩٧٥، الجريمة الثامنة في عام ١٩٧٦ - ونُشرت في ذلك الوقت من أجل إسعاد قراءها في جميع أنحاء العالم.

على الرغم من أن اسم أجانا كريستي قد ارتبط بشكل معقد بالروايات البوليسية، فإن رواية *العدو الخفي*، التي تعتبر في الكثير من أوجهها قصة

استثنائية، هي الرواية الأولى التي تتم تهيئتها لتعرض على شاشة السينما، ففي عام ١٩٢٨، عُرض فيلم صامت ألماني الجنسية مقتبس عنها، من غير المرجح أن تكون أجانا كريستي قد شاهدت هذا الفيلم (أو حتى سمعت به) حيث إنه قد ظهرت بعض من نسخه خلال الأعوام العشرين الأخيرة، على الرغم من أن الفيلم ألماني فإن من قام ببطولته ممثلة إنجليزية وممثل إيطالي، وهما إيف فجاري وكارلو ألديني، حيث لعبا دوري المحققين الجريئين، وكان الفيلم، على الرغم من القيود الواضحة، أفضل مما قد تتخيل. تتبع الفيلم في أغلب أحداثه الحكمة الروائية للكتاب، ولكن في نهاية أحداث الفيلم تصبح العلاقة بين الشخصيتين أكثر فتوراً. ولكن يظل هذا الفيلم، كمثال على الاهتمام العالمي بأعمال كريستي، جزءاً رائعاً من تاريخ السينما.

بعد هذا الفيلم، ظلت سلسلة تومي وتوينيس خادمة لسنوات طويلة حتى اقتبس التلفزيون البريطاني مجموعة القصص القصيرة *شركاء في الجريمة* عام ١٩٨٣، كما قدمت في مقدمة المسلسل التلفزيوني *فيلاً* تلفزيونياً مقتبساً من رواية *العدو الخفي* مدته ساعتان. قام ببطولة هذا الاقتباس الغني والمطابق للرواية ممثلون عظام مثل جايمس وارويك وفرانيسكا أنيس، كما أدى جورج بايكر شخصية السيد ويتجتون. حقق هذا الممثل فيما بعد شهرة واسعة عندما أدى دور المحقق ويكسفورد الذي ابتكرته روث ريندل، ولكنه أدى قبل هذا دور المحقق آلين من ابتكار الكاتب ناجيو مارش، كما ظهر في نسخة فيلم *لغز فندق بيرترام* عام ١٩٨٧ التي قام ببطولتها جوان هيكسون، وكان أول من أدى دور نيفيل سترينج في الإنتاج الأول لمسرحية *Towards Zero* عام ١٩٥٦ في ويست إند. شارك في بطولة الفيلم أيضاً الممثلة أونور بلاكمان في دور ريتا هينديماير الشريرة الفاتنة، وأليك ماكوان في دور بيبيل إدجرتون الأنيق. اقتبس المسلسل التلفزيوني، المكون من عشر حلقات، الذي تلا عرض الفيلم، تحت عنوان *Agatha Christie's Partners in Crime* أغلب قصص المجموعة القصصية دون أي تغيير، ولكن، في أغلب الأحيان تمت إزالة العناصر التي تشير إلى المعارضات الأدبية. القصص التي لم يتم اقتباسها في المسلسل هي:

The Man و *Blindman's Buff*، و *The Adventure of the Sinister Stranger* و *Who Was No. 16*. وقد تم عرض المسلسل على التلفزيون البريطاني في الفترة ما بين عامي ١٩٨٣ و ١٩٨٤.

في حين اكتسب المسلسل التلفزيوني شهرة لا بأس بها بين قراء أجاثا كريستي، فإن أغلبهم لم يكن يدرك وجود مسلسل إذاعي من إنتاج هيئة الإذاعة البريطانية مقتبس من رواية شركاء في الجريمة، والذي تمت إذاعته في الفترة ما بين شهري أبريل ويوليو من عام ١٩٥٣. قام ببطولة هذا المسلسل الإذاعي ريتشارد آتينبورو وزوجته الحقيقية شيللا سيم، اللذان ظهرا أيضاً في مسرحية كريستي مصيدة القُتران التي تم عرضها في ويست إند. على الرغم من عدم معرفتنا بوجود أية نسخة من هذا المسلسل حتى الآن، فإن التفاصيل التي توافرت لنا تشير إلى اقتباس جميع قصص تلك المجموعة القصصية، مع إدخال بعض التغييرات على عناوينها.

عموماً، لم يكن إنتاج كريستي من أعمال سلسلة تومي وتوبينس بنفس قدر غزارة سلسلتي ماربل وبوارو. لم تكن قضايا عائلة بيرسفورد تحتوي على الحبكة الروائية المعقدة أو خفة اليد المحيرة أو في بعض الأحيان حل اللغز في نهايتها، الأمور التي ميزت أدب كريستي البوليسي. أشك في أن أيًا من هذه الكتب الخمسة كان سيظل متواجداً حتى الآن إذا كانت من سلسلة البلجيكي الشهير ذي الشعر الأشيب أو العجوز التي تسكن بلدة سانت ماري ميد. ولكن كما يقترح عنوان رواية الزوجين، العدو الخفي، فإن مغامراتهما لا يجب أن تؤخذ على محمل الجد، ولكن يجب الاستمتاع بها كما هي - بعض الحكايات الخفيفة. كما كتبت كريستي في الإهداء في مقدمة الرواية: "إلى جميع الذين يعيشون حياة رتيبة، على أمل أن يجربوا متع المغامرة ومخاطرها".

تمهيد

كانت الساعة تشير إلى الثانية بعد الظهر من يوم السابع من شهر مايو عام ١٩١٤، عندما ضربت السفينة لوزيتانيا بطوربيدين متتاليين، وسرعان ما بدأت في الغرق، في الوقت الذي كان يتم فيه إطلاق زوارق النجاة بأسرع ما يمكن. كانت النساء والأطفال مصطفين في طابور منتظرين دورهم للهبوط إلى زوارق النجاة، كان بعضهن ما زلن ملتصقات بياض أزواجهن وأبائهن، في حين ضمت أخريات أطفالهن بشدة إلى صدورهن. كانت هناك فتاة تقف وحيدة بعيدة عن الباقيين، كانت شابة صغيرة لا يزيد عمرها على ثمانية عشر عاماً. لم تكن تبدو عليها أمارات الخوف، وكانت عيناها السوداوان الحازمتان تنظران للأمام.

"استمع ليك عنراً".

أخرجها صوت رجل بجوارها من شرودها وجعلها تلتفت نحوه. كانت قد رأت الرجل الذي يتحدث إليها أكثر من مرة بين مسافري الدرجة الأولى. كانت هناك لحظة من القموض تكتنفه، الأمر الذي أثار مخيلتها. لم يكن الرجل يتحدث إلى أي شخص كان، وإذا حاول أي شخص محادثته، كان الرجل يصده سريعاً منذ البداية، كما أنه كان دائماً ما ينظر خلفه بعصبية نظرات مريبة خاطفة.

لاحظت في هذا الوقت أنه قلق للغاية، حيث كانت تظهر قطرات العرق على جبينه. كان من الجلي أن الخوف قد تملكه تماماً، إلا أنه لم يبدأ حديثه معها بطريقة الرجل الذي يهاب الموت.

تلاقت عيناها السوداء وان بعينيه في تساؤل قائلة: "ما الأمر؟".

وقف الرجل في مكانه تبدو عليه أمارات الحيرة اليايسة وغمغم قائلاً: "يجب هذا، نعم - هذا هو الحل الوحيد"، ثم صاح بصوت عالٍ مفاجئ قائلاً: "هل أنت أمريكية؟".

قالت الفتاة: "نعم".

قال الرجل: "هل أنت وطنية؟".

احمر وجه الفتاة في غضب وقالت: "لا أعتقد أنه يحق لك أن تطرح عليّ مثل هذا السؤال! بالطبع أنا وطنية".

قال الرجل: "لا تشعرني بالإهانة. لن تشعرني بها إذا ما أدركت كم الأمور التي على المحك، ولكن يجب أن أتق في شخص ما - ويجب أن يكون امرأة".
قالت الفتاة: "لماذا؟".

نظر الرجل حوله وخفض صوته قائلاً: "لأن النساء والأطفال يهبطون إلى زوارق النجاة أولاً. إنني أحمل بعض الوثائق - وثائق مهمة للغاية من شأنها أن تفيد قوات الحلفاء بشكل كبير في الحرب. هل تفهمين ما أقول؟ يجب إنقاذ تلك الوثائق، وقد تكون فرص إنقاذها معك أكبر من فرص إنقاذها معي. هل ستأخذينها؟".

شبهت الفتاة يديها.

فقال الرجل: "مهلاً - يجب أن أحذرک من أمر ما. قد يكون هناك خطر - إذا كان هناك من يتتبعني. أعتقد أنه لا يوجد من يتتبعني، ولكن الحذر واجب. إذا كان الأمر كذلك، فقد تتعرضين للخطر. هل تحتمل أعصابك أن تقومي بمثل هذه المهمة؟".

ابتسمت الفتاة وقالت: "سأقوم بالمهمة على الوجه الأكمل، كما أنني مسرورة لأنك اخترتني. ماذا سأفعل بتلك الوثائق بعد ذلك؟".

قال الرجل: "تابعني الصحف. سأنشر إعلاناً في العمود الشخصي بصحيفة *النايوس* يبدأ بكلمة "رفيق السفينة"، بعد مرور ثلاثة أيام، إذا لم تجدي الإعلان فاعلمي أن أمري قد انتهى، وخذي الوثائق إلى السفارة الأمريكية وسلميها إلى السفير يداً بيد. هل هذا واضح؟".

قالت الفتاة: "واضح تماماً".

أمسك الرجل بيدها وقال: "استعدى إذن - أستودعك الله"، ثم قال بصوت عالٍ: "إلى اللقاء، وحطاً سعيداً".

أملت الفتاة قبضتها على لفافة من القماش المشمع كان يمسكها الرجل في يده.

دادى طاقم سفينة *لويزيانا* على بعض الأسماء من قائمة الركاب ليكونوا صفاً آخر على مينة السفينة. استجابت الفتاة إلى هذا الأمر السريع، وذهبت لتأخذ مكانها في زورق الإنقاذ.

الأول

شركة شباب المغامرين المحدودة

"تومي صديقي القديم".

"توينيس، صديقتي القديمة".

رحب الشابان بعضهما بالآخر بحرارة؛ حيث أغلقا بشكل مؤقت مخرج محطة شارع دوفر لقطار الأنفاق في أثناء ذلك. لم تكن كلمة "قديم" تعبر بحق عن أحدهما، حيث إن مجموع عمريهما معاً لم يكن ليتجاوز الخامسة والأربعين. قال الشاب: "لم أرك منذ زمن طويل. أين كنت؟ تعالي معي لنتناول كعكة معاً. لقد بدأ الناس ينزعجون منا هنا - إننا نعرقل حركة السير في الممر الرئيسي. دعينا نخرج من هنا".

واظفته الفتاة وبدأ في السير في شارع دوفر نحو شارع بيكاديلي.

قال تومي: "والآن، إلى أين نذهب؟".

لم تخف نبذة القلق الخفيفة التي تخللت صوته على أذني الأنسة برودنس أو لسي الماهرة، التي يطلق عليها أصدقاؤها المقربون اسم توينيس لسبب لا يفهمه أحد. لذا أسرعت قائلة: "تومي، إنك مفلس".

قال تومي بشكل غير مقنع: "على الإطلاق، أنا غارق حتى أذني في الأموال"
قالت توبينس بحدة: "لطالما كنت غير ماهر في الكذب، على الرغم من أنك
تمكنت من قبل من إقناع الممرضة جرينبانك بأن الطبيب قد وصف لك الشراب
كمشيط، ولكنه نسي أن يكتب هذا في جدول العقاقير. هل تذكر هذا؟".

أطلق تومي ضحكة خفيفة وقال: "لقد فعلت هذا بالفعل. هل رأيت كم
كانت تلك السيدة العجوز غاضبة عندما اكتشفت الأمر؟ لكنها لم تكن سيئة
على الإطلاق - الأم جرينبانك العزيزة. كان مستشفى قديماً جيداً - أعتقد أنها
خرجت من الخدمة بالجيش مثل كل شيء آخر، أليس كذلك؟".

تنهدت توبينس.

وقالت: "نعم، هل سُرحت أنت أيضاً؟".

أوماً تومي برأسه موافقاً.

وقال: "منذ شهرين".

لمحت توبينس قائلة: "هل حصلت على مكافأة؟".

قال تومي: "أنفقتها كلها".

قالت توبينس: "تومي؟".

قال تومي: "لا يا عزيزتي، لم أنفقتها على المملكات، لم يحالفني الحظ، ولكن
المعيشة أصبحت باهظة - إن الحياة العادية أو الحياة في الحداثق هذه الأيام
أؤكد لك، إذا لم تكوني تعرفين -"

قاطعتها توبينس قائلة: "فتاي العزيز، لا يوجد ما لا أعرفه عن تكاليف
المعيشة. لقد وصلنا إلى مقهى ليونز، وسيدفع كل منا حسابه لنفسه. حسناً
إذن"، وصعدت توبينس الدرج قبل تومي.

كان المقهى مكتظاً بالزبائن، وجالا بصرهما في المكان محاولين إيجاد
طاولة خالية وهما يتجادبان أطراف الحديث.

قالت توبينس: "نعم - أعلم، جلست وبكت عندما أخبرتها بأنها لن تحصل
على الشقة في النهاية. لقد كانت صفقة جيدة، مثل تلك التي أحضرها معه مابل
أويس من باريس -"

قال تومي: "غريبة تلك الأحاديث التي يسمعها المرء بدون قصد. لقد مررت
بشخصين في الشارع اليوم، وكانا يتحدثان عن امرأة تدعى جاين فين. هل
سمعت مثل هذا الاسم من قبل؟".

ولكن في اللحظة ذاتها نهضت سيدتان مستناتان وجمعتا متعلقاتهما، فقامتا
وتوبينس على الفور بالجلوس على أحد المقاعد الفارغة.

طلب تومي بعض الشاي والكمك، وطلبت توبينس بعض الشاي والخبز
المغلي بالزبد.

ناهبت توبينس حديثها بحدة قائلة: "أرجو أن يأتي الشاي في إبريقين
منفصلين".

جلس تومي في المقعد المواجه لـ توبينس، وكشف رأسه الأضلع عن بعض
الشعر الأحمر المصفف للخلف بعناية. كانت ملامح وجهه قبيحة بشكل غير
منطوق - وجه لا يدل على كونه رجلاً نبيلًا أو رياضياً. كانت بذلته البنية أنيقة،
ولكن كان هناك عيب في خياطتها بالقرب من نطاق سرواله.

كانا يبدوان، وهما جالسان في المقهى، يشبهان أزواج العصر الحديث. لم تكن
توبينس بارعة الجمال، ولكن يمكنك أن ترى قوة شخصيتها وفنتتها بادييتين من
سلطان وجهها الصغير الجميلة، مع ذقنها المدبب وعينيها الواسعتين اللتين
أطلان من تحت حاجبين أسودين مستقيمين. كانت ترتدي قبعة صغيرة خضراء
لامعة فوق شعرها الأسود القصير، وكشفت تنورتها القصيرة للغاية والبالية عن
أرجلها راعيتين. كان مظهرها بأكمله يمثل محاولة جريئة لتبدو ذكية.

وصل الشاي أخيراً، فنهضت توبينس من مجلسها وصبت.

قال تومي وهو يأخذ قفزة كبيرة من الكعكة: "والآن، دعينا نقص على بعضنا
الآخر ما حدث في الفترة الأخيرة. أتذكرين، لم أرك منذ كنت في المستشفى عام

وضعت توبينس بعض الزيد على الخبز وقالت: "حسنًا. السيرة الذاتية".
المختصرة للأنسة برودينس كاولي، الابنة الخامسة لرجل الدين كاولي من مدينة ليتل ميسنديل بمقاطعة سافولك. تركت الأنسة كاولي رغد عيشها (وشقاءه) في بيت عائلتها منذ بداية الحرب وانتقلت للعيش في لندن، حيث بدأت العمل في مستشفى الضباط. في الشهر الأول من العمل: قمت بغسل ستمائة وثمانية وأربعين طبقًا. "في الشهر الثالث: ترقيت لأعمل في تششير البطاطس في الشهر الخامس: ترقيت لأصعد للطابق العلوي لأعمل ممرضة في عناية المرضى بدلو وممسحة. في الشهر السادس: ترقيت لأعمل في تقديم الطعام للمرضى. في الشهر السابع: أهلني مظهري الجيد وطريقة تعاملتي الجيدة لأكون ممرضة بديلة. في الشهر الثامن: انحدار بسيط في مسيرتي المهنية. لقد أكلت الممرضة بوند بيض الممرضة ويستيفين. يا له من حدث جلل! وتم اللقاء اللو بأكملة على ممرضات العنابر، حيث إن الإهمال في مثل هذه الأمور المهمة لا يمكن التهاون معها. لذا تسلمت من جديد الدلو والممسحة. في الشهر التاسع ترقيت لأعمال كنس عنابر المرضى. عندما قابلت أحد أصدقاء طفولتي، وهو الملازم توماس بيريسفورد (نحن يا تومي!)، الذي لم أكن قد رأيته منذ خمس سنوات طوال، وكان اللقاء مؤثرًا. الشهر العاشر: وبختني رئيسة الممرضات علي ذهابي للسنيما مع أحد المرضى: المذكور سابقًا، الملازم توماس بيريسفورد. في الشهرين الحادي عشر والثاني عشر: تم استكمال مهام تقديم الطعام للمرضى بنجاح تام. في نهاية العام، تركت العمل في المستشفى بانتصار باهر. بعد ذلك بدأت الأنسة كاولي الموهوبة في قيادة سيارة توصيل تجارية بنجاح، ثم شاحنة كبيرة، ثم السائقة الخاصة لأحد اللوات. العمل الأخير كان الأفضل، فقد كان اللواء صغيرًا في السن إلى حد ما".

قال تومي: "يا له من أمر فضيلع. إن قيادة سيارة من أجل توصيل هؤلاء الضباط الكبار من وزارة الحربية إلى قصر سافوي والعودة مرة أخرى إلى وزارة الحربية، أمر كريه للغاية".
اعترفت توبينس قائلة: "لقد نسيت اسم هذا اللواء، ولكن هذا العمل كان هو أفضل ما شغلته في مسيرتي المهنية. بعد ذلك، بدأت العمل في أحد المكاتب

أولاً توبينس برأسها في عبوس وقالت: "ماذا عن المستعمرات؟".

قال تومي رأسه نضياً وقال: "أنا لا أحب المستعمرات - وأثق بأنهم لن يحبوني

ذلك".

قالت توبينس: "هل هناك أحد ثري من أقرابك؟".

قال تومي رأسه مرة أخرى.

قالت توبينس: "ولا حتى واحدة من عمات والديك؟".

قال تومي: "أحد أعمامي يمتلك بعض المال، ولكنه ليس بالشخص الجيد".

قالت توبينس: "لماذا؟".

قال تومي: "لقد رغب في أن يكفلني من قبل".

قالت توبينس ببطء: "أعتقد أنني سمعت هذه القصة من قبل، وقد رفضت

والدك —

احمر وجه تومي وقال: "نعم، كان هذا سيصبح قسوة كبيرة مني عليها، فتعلمين، كنت كل ما تملك، كان عمي يكرهها - كان يرغب في أن يجرمها من لقد كان مملوءاً بالحقد".

قالت توبينس بلطف: "لقد توفيت والدتك، أليس كذلك؟".

أوماً تومي برأسه موافقاً، وزاغت عينا توبينس الرماديتان وقالت: "لطالما كنت رجلاً طيباً يا تومي، لطالما عرفت هذا".

قال تومي بسرعة: "هراء، حسناً، هذا هو ما ألت إليه حالي. لقد أصبحت عا أعتاب الإحباط".

قالت توبينس: "وأنا كذلك، لقد بحثت عن عمل لأطول فترة ممكنة، درت على جميع المحال والشركات، وتقدمت بطلبات للوظائف المعلن عنها الصحف. لقد جربت جميع الطرق، ووقعت ضحية للاحتيال والنشل والسرقة ولكن لم يفلح مساعي. ربما يجب أن أعود لمنزل عائلتي".

قال تومي: "هل ترغبين في هذا؟".

قالت توبينس: "لا أرغب في هذا بدون أدنى شك. بم ينفعنا أن نكون عاطفيين إن أبي رجل طيب - وأنا أحبه كثيراً - ولكن لا يمكنك أن تتخيل مدى قلقه علم إنه لا يزال يمتنق أفكاراً من العصر الفيكتوري التي تقول إن التناثير القصير والتدخين أمور غير أخلاقية، لا يمكنك أن تتخيل كم القلق الذي أسببه له. لم شعر بكثير من الارتياح عندما بدأت الحرب وتم تجنيدي. هناك سبعة أشقاء المنزل، إنه أمر قذيع أن تقوم بجميع أعمال المنزل واجتماعات الأمهات، لطالما كنت أنا الوحيدة المختلفة عن أشقائي. أنا لا أرغب في العودة إلى هناك، ولكن تومي، ماذا يمكنني أن أفعل أكثر مما فعلت؟".

هز تومي رأسه في حزن، ثم خيم الصمت قليلاً حتى اندفعت توبينس قائلاً "المال، المال، المال! لا يمكنني أن أنفض المال عن فكري في الصباح والظهر والمساء. يمكنني أن أقول إنه قد استحوذ على تفكيري تماماً".

وافهقا تومي قائلاً: "وأنا كذلك".

قالت توبينس: "لقد فكرت في جميع طرق الحصول على المال، ولكني لم أجد سوى ثلاث طرق فقط: أن ترثه أو أن تتزوج من شخص غني أو أن تكسبه. بالطبع، هذه الطريقة الأولى من القائمة، لا يوجد من أقربائي كبار السن أي أحد هن، حيث إن جميع أقرابي يعملون خدماً في منازل النبلاء. لطالما ساعدت السيدات المسنات في عبور الطرق، والتقطت للنبلاء المسنين ما يتساقط منهم في أثناء سيرهم على أمل أن يكون أحدهم مليونيراً غريب الأطوار، ولكن لم يسألني أي منهم حتى عن اسمي - والكثير منهم لم يقل لي حتى كلمة شكر".

ثم توقفت عن الحديث لفترة قصيرة وتابعت حديثها قائلة: "لا شك في أن الزواج هو أفضل فرصي. لقد عقدت العزم على أن أتزوج من شخص غني عندما كنت صغيرة، إن أية فتاة ذكية ستتعلم المثل. أنا لست عاطفية كما تعلم"، ثم توقفت للحظة وأضافت بحدة: "ما الأمر؟ لا يمكنك أن تنعني بالعاطفية".

وافهقا تومي بسرعة قائلاً: "بالطبع لست عاطفية، لا يمكن لأحد أن يفكر في العاطف في وجودك".

ردت عليه توبينس قائلة: "لم يكن ما قلته مهذباً، ولكني أعتقد أنك تعنيه أساساً، حسناً، الأمر هو أنني مستعدة وراغبة - ولكني لم أقابل أي رجل غني حتى الآن، إن جميع الشباب الذين قابلتهم حالتهم المادية مثل حالتي".

سألها تومي: "ماذا عن اللواة؟".

قالت له توبينس: "أعتقد أنه يمتلك متجراً للدراجات الهوائية في فترات المساء، لا، هذا هو ما في الأمر. يمكنك أنت أيضاً أن تتزوج من فتاة ثرية".

قال تومي: "أنا مثلك، لم أقابل أية فتاة ثرية".

قالت توبينس: "لا عليك. يمكنك دائماً أن تقابل واحدة، إذا ما رأيت رجلاً يرمي معطفاً من الضرو خارجاً من فندق ريتز، فإني لا أهرع نحوه قائلة: اسمع، أنت هن، وأنا أرغب في التعرف إليك".

قال تومي: "هل تقترحين أن أفعل المثل لأتعرف على فتاة غنية؟".

قالت توبيننس: "لا تكن أحمق. يمكنك أن تدهس إصبع قدمها أو تلتصق منديلها إذا ما سقط منها أو أمور من هذا القبيل. إذا ما أعتقدت أنك ترغب في التعرف عليها، فإنها ستشعر بالإطراء وستمكنك من هذا بطريقة أو بأخرى".

قال تومي: "لا أعلم، لم أعمل أبداً في إدارة الحسابات".

قالت توبيننس: "عملت أنا فيها - ولكنني عادة ما يختلط علي الأمر؛ حيث كنت أدير الحسابات الدائن في خانات المدين، والعكس بالعكس - لذا طردوني من العمل لعدم تعلمي، تذكرت - رأس مال مشترك. لقد تذكرتها فجأة كما لو كانت عبارة عن عينة ظهرت بين مجسمات عتيقة بالية. إن لهذه العبارة نكهة من عصر النهضة - إنها تجعل المرء يتذكر السفن الشراعية والعملات الذهبية. رأس مال مشترك".

قال تومي: "أي أنك تفكرين في إنشاء شركة تجارية تسميها شركة شباب المغامرين المحدودة، أليس كذلك؟ هل هذا ما تفكرين فيه يا توبيننس؟".

قالت توبيننس: "لا بأس من أن تسخر من الفكرة، ولكنني أشعر بأنها ربما تكون جيدة".

قال تومي: "كيف تعتقدين أنك ستواصلين مع من سيقومون بتوظيفك في المستقبل؟".

ردت عليه توبيننس على الفور: "عن طريق الإعلانات. هل معك قلم وورقة؟ أريد أن أكتب ما يحلمون تلك الأشياء معهم، مثلما نحمل نحن دبابيس الشعر وأدوات التجميل".

أعطاهما تومي فكرة مهترئة خضراء اللون، وبدأت توبيننس في الكتابة بهما، وهي تقول: "يمكننا أن نبدأ بكتابة: ضابط شاب، أصيب في الحرب أثناء القتال".

قال تومي: "بالطبع لا".

قالت توبيننس: "حسناً، يا فتاي العزيز، ولكني أؤكد لك أن هذا الأمر قد يترك مشاعر إحدى العواض المسنات، وقد تقوم بكفالتك، وعندها لن تكون هناك حاجة لأن تكون مغامراً شاباً على الإطلاق".

قال تومي: "لا أرغب في أن يكفني أحد".

قالت توبيننس: "لا تكن أحمق. يمكنك أن تدهس إصبع قدمها أو تلتصق منديلها إذا ما سقط منها أو أمور من هذا القبيل. إذا ما أعتقدت أنك ترغب في التعرف عليها، فإنها ستشعر بالإطراء وستمكنك من هذا بطريقة أو بأخرى".

تابعت توبيننس قائلة: "من ناحية أخرى، من المرجح أن يفر المليونيروا أرغب في الزواج منه بحياته! لا - إن الزواج محفوف بالمصاعب. يتبقى لك كسب المال".

ذكرها تومي قائلاً: "لقد جربت وفشلت".

قالت توبيننس: "لقد جربنا كل الطرق المعتادة، ولكن ماذا لو جربنا الطريقة غير المعتادة. تومي، دعنا تكن مغامرين".

رد عليها تومي مبتهجاً: "بالطبع، من أين سنبدا؟".

قالت توبيننس: "هذه هي المشكلة. إذا ما تمكنا من جعل الناس يعرفوننا فربما يستأجروننا من أجل أن نرتكب جرائم بدلاً منهم".

علق تومي على ما قالت قائلاً: "أمر رائع، خاصة عندما تقوله ابنتي ديد".

أوضحت توبيننس الأمر قائلة: "سيكون الشعور بالذنب من نصيبهم - وليس من نصيبي. يجب أن تعترف بأن هناك فرقاً بين سرقة قلادة ماسية من أحد نفوسك أو أن يتم استئجارك لسرقتها. أليس كذلك؟".

قال تومي: "لن يكون هناك فارق كبير إذا ما تم القبض عليك".

قالت توبيننس: "ربما، ولكن لن يتم القبض علي، أنا ماهرة للغاية".

قال تومي: "لطالما كان تواضعك هو عيبك الوحيد".

قالت توبيننس: "لا تمزح. اسمع يا تومي، هل يجب أن - هل يجب علينا أن نشترك في إنشاء شركة تجارية؟".

قال تومي: "أكون شركاء في سرقة القلادات الماسية؟".

قالت توبيينس: "نسيت أنك تعارض هذا الأمر. لقد كنت أمزح معك الصحف مليئة عن آخرها بهذه الأمور. والآن، اسمع جيداً - ماذا عن التا

مغامران شابان يعرضان خدماتهما للإيجار، على استعداد تام لفعل أي ش

والذهاب إلى أي مكان بمقابل مادي جيد (يجب علينا أن نؤكد هذا الأمر

الهداية). ربما نضيف بعد ذلك: لا يمكننا رفض أي عرض منطقي - مثل إعلان

الشقق والأثاث".

قال تومي: "إنني أفكر في الوقت الحالي في شكل العرض غير المنط

الذي قد نحصل عليه".

قالت توبيينس: "تومي، إنك عبثي. إن هذا سيكون أكثر أناقة. "لن نرفض

العروض غير المنطقية طالما كان المقابل المادي مناسباً"، ما رأيك في هذا؟

قال تومي: "لا يجب أن نذكر المقابل المادي مرة أخرى. إنه يبدو

للغاية".

قالت توبيينس: "لن يكون ملحقاً أكثر من وضعنا الحالي، ولكن ربما كنت

حق، والآن، سأعيد قراءة الإعلان عليك مرة أخرى: "مغامران شابان يعرض

خدماتهما للإيجار، وعلى استعداد تام لفعل أي شيء، والذهاب إلى أي ما

بمقابل مادي جيد. لن نرفض حتى العروض غير المنطقية". ما وقع كلمات

الإعلان عليك إذا ما كنت تقرؤه في الجريدة؟"

قال تومي: "سأعتقد أنه إما مزحة أو أن من كتبه مجنون".

قالت توبيينس: "لن يقل جنوباً عن الإعلان الذي قرأته في الجريدة

اليوم، والذي بدأ بكلمة بيتونيا وموقع باسم الفتى الأفضل - قطعت توبي

الورقة وسلمتها إلى تومي وقالت: "تفضل، جريدة التايمز على ما أعتقد. أتر

أن يكون سعر المربع الإعلاني وخلافه حوالي خمسة شلنات، وما هي حصتي

المبلغ - النصف".

كان تومي يمسك بالورقة وهو يفكر بعمق، وقد احمر وجهه بشدة.

وقال: "هل يجب علينا أن نجرب هذا الأمر بالفعل؟ هل علينا ذلك يا توبيينس

هل الأمر نابع من الشعور بالاستمتاع به؟"

لم تكن قد وصلت إلى منتصف متنزه سانت جايمس عندما جعلها صوت رجل

قائلاً:

قال هذا الصوت يقول: "اعذريني، ولكن هل يمكن أن أتحدث معك قليلاً".

قال الرجل: "على الإطلاق - عدا أنني أعتقد أنني قد أستفيد من خدماتكما".
 طرأت على عقل توبينس فكرة أخرى.
 فقالت: "هل تبعثني إلى هنا؟"
 قال الرجل: "نعم، لقد فعلت".
 قالت توبينس: "وما الذي تعتقد أنني قد أفيدك به؟".

أخرج الرجل بطاقة من جيبه وأعطاه إياها وهو ينحني.
 أخذت توبينس البطاقة منه وقرأتها بعناية. كانت البطاقة تحمل كلمات:
 السيد إدوارد ويتنجتون. تحت الاسم كانت هناك كلمات: شركة إيستونيا
 جلاسواير، وعنوان لمكتب بالمدينة. تحدث السيد ويتنجتون مرة أخرى قائلاً:
 "إذا ما اتصلت بي صباح الغد في الحادية عشرة، سأقدم لك تفاصيل عرضي".
 قالت توبينس بشك: "الحادية عشرة؟".
 قال ويتنجتون: "الحادية عشرة تماماً".
 فكرت توبينس في الأمر.
 ثم قالت: "حسنًا، سأكون هناك".
 قال ويتنجتون: "شكرًا لك، إلى اللقاء".

ثم رفع قبعته في أناقة وانصرف مبتعدًا. ظلت توبينس تبضع دقائق تحديق
 له وهو يبتعد، ثم هزت كتفها بحركة غريبة كما لو كانت كلبًا يهز نفسه.
 ثم غمغت توبينس في نفسها قائلة: "لقد بدأت شركة شباب المغامرين عملها.
 ما الذي يرغبه مني؟ هناك أمر غريب بشأنك يا سيد ويتنجتون، أمر لا يعجبني
 على الإطلاق. ولكن، من ناحية أخرى، أنا لا أشعر بالخوف منك على الإطلاق،
 وكما قلت من قبل، وسأقول مرة أخرى بدون أدنى شك، يمكن لـ توبينس الصغيرة
 أن تعني بنفسها جيدًا، شكرًا لك".

وبإيماءة قصيرة وحادة من رأسها تابعت توبينس سيرها. بعد أن أدارت الأمر
 في رأسها، انحرفت توبينس عن طريقها ودخلت أحد مكاتب البريد، حيث توقفت
 للحظات، وهي تمسك نموذجًا للرسائل التلغرافية في يدها. كانت فكرة إنفاق

الثاني

عرض السيد ويتنجتون

استدارات توبينس بحدة لتواجه محدثها، ولكنها لم تستطع أن تنبس ببنت شفا
 حيث إن مظهر الرجل وطريقة تعامله لم تكن مطابقة لما افترضته توبينس
 فترددت قليلاً، وكما لو كان الرجل قد قرأ أفكارها، فتحدث بسرعة قائلاً:
 "أؤكد لك أنني لم أقصد أن أقلل من احترامك".

صدقته توبينس. وعلى الرغم من أنها لم تعجب بالرجل أو تثق به غريباً
 فإنها كانت تميل إلى أن تبرئه من الدافع الذي ظنت أنه يقصده. كان الرجل
 ضخم الجثة، حليق شعر الوجه، ذا فك عريض، وكانت عيناه صغيرتين وماكرتين
 وقد نظرتا إلى مكان آخر تحت وطأة نظرات توبينس المباشرة.
 سألته توبينس: "حسنًا، ما الأمر؟".

ابتسم الرجل.

وقال: "لقد تصادف أن سمعت جزءاً من حديثك مع ذلك الشاب في مقهى
 ليونز".

قالت توبينس: "حسنًا - هل هناك خطب ما؟".

خمس سنوات بدون ضرورة ملحة لذلك قد دفعتها للتصرف، فقررت أن تخاطر بفقدان تسعة بنسات.

أخرجت توبينس القلم الرصاص الذي أخذته من تومي، حيث إنها كانت عازقة عن استخدام القلم المدبب السميك الأسود الذي وفرته الحكومة في مكتب البريد، وكتبت بسرعة: "لا تنشر الإعلان في الجريدة. سأشرح لك الأمر غداً"، ووجهت الرسالة إلى تومي في الفندق الذي يقيم به، والذي عليه أن يرسل منه في نهاية الشهر، إلا إذا حصل على بعض المال الذي سيسمح له بالاستمرار في الإقامة هناك.

غمغمت توبينس قائلة لنفسها: "قد يفاجئه الأمر. على أية حال، إن الأمر يستحق المحاولة".

بعد أن سلمت توبينس الرسالة إلى موظف البريد، توجهت على الفور نحو مكان سكنها، وتوقفت في طريقها عند مخبز. واشترت بما يساوي ثلاثة بنسات من الخبز المعد حديثاً.

بعد ذلك، جلست في غرفتها الضيقة فوق سطح المنزل تتناول الخبز وتفكر في المستقبل. ما هي شركة إيستونيا جلاسواير، وما الأمر الذي قد يرغب هذا الرجل في الحصول على خدماتها لتحقيقه؟ ارتعش جسد توبينس من فرط الإشارة، فقد تراجعت فكرة عودتها لمنزل والدها رجل الدين الريفي إلى مؤخرة عقلها. إن الغد يعد بالكثير من الاحتمالات.

مر وقت طويل قبل أن تتمكن توبينس من الخلود للنوم في هذه الليلة، وعندما نامت أخيراً، حلمت بأن السيد ويتنجتون قد أسند لها مهمة غسل كمية كبيرة من الأدوات الزجاجية التي تنتجها شركة إيستونيا جلاسواير، والتي تشبه أطباق المستشفى إلى حد كبير.

وصلت توبينس إلى المبنى الذي تقع به مكاتب شركة إيستونيا جلاسواير في حوالي الحادية عشرة إلا خمس دقائق. كان الوصول قبل الموعد بديل على اللهفة الشديدة، لذا قررت توبينس أن تمشي حتى نهاية الشارع وأن تعود مرة أخرى، وفعلت ما قررت. عندما دقت الساعة تمام الحادية عشرة

سباحاً، دلفت توبينس إلى المبنى. كانت شركة إيستونيا جلاسواير تقع في المطابق الأخير من المبنى، وكان هناك مصعد ولكنها اختارت أن تصعد الدرج.

وصلت توبينس، وهي تحاول التقاط أنفاسها، إلى باب زجاجي مكتوب عليه: شركة إيستونيا جلاسواير.

طرقت توبينس الباب، وعندما سمعت صوتاً من الداخل يدعوها للدخول، أدارت مقبض الباب ودخلت مكتباً صغيراً ومتسخاً إلى حد ما.

نهض أحد الموظفين، وكان في منتصف العمر تقريباً، من على مقعد مكتبه بجانب النافذة وتوجه نحوها متسائلاً.

فقالت توبينس: "لدي موعد مع السيد ويتنجتون".

قال الموظف: "تفضلي من هذا الطريق"، وتوجه نحو باب فاصل مكتوب عليه: خاص، وطرقة، ففتحت الباب، ووقف الموظف على أحد جانبيه ليسمح لها بالعبور.

كان السيد ويتنجتون جالساً خلف مكتب ضخم مغطى بالأوراق. شعرت توبينس بأن حكمها الأولي عليه كان في محله. هناك خطب ما بشأن السيد ويتنجتون، فقد كان مزيج رفاهيته الماكرة وعينيته المراوغتين لا يبعث على الارتياح.

نظر السيد ويتنجتون لأعلى وأومأ برأسه.

وقال: "لقد وصلت إذن؟ هذا جيد. اجلسي من فضلك".

جلست توبينس على المقعد المواجه له، كانت تبدو ضئيلة ووقورة في هذا الصباح بالذات، فجلست في هدوء وعيناها مثبتتان لأسفل، في حين كان السيد ويتنجتون يرتب أوراقه بصوت عالٍ. في النهاية، أزاح جميع الأوراق جانباً ومال فوق مكتبه، وقال: "والآن، أيتها الشابة العزيزة، دعينا نتحدث عن العمل"، وعلت وجهه الضخم ابتسامة عريضة، واستطرد قائلاً: "أنت بحاجة للعمل، أليس كذلك؟ حسناً، سأعرض عليك عملاً. ما رأيك في راتب يصل إلى مائة جنيه، إلى جانب تحمل جميع المصروفات؟"، واضطجع السيد ويتنجتون في مقعده وقد أدخل إبهاميه داخل فتحتي الذراعين في صدرتيه.

نظرت له توبينس بقلق.

وقالت: "وما نوعية العمل الذي سأقوم به؟"

قال السيد ويتنجتون:

"عمل شكلي - شكلي تمامًا. رحلة ممتعة، ليس أكثر."

قالت توبينس: "إلى أين؟"

ابتسم السيد ويتنجتون مرة أخرى.

وقال: "باريس".

قالت توبينس باهتمام: "أوه"، ثم قالت لنفسها: "إذا سمع والدي هذا سيصاب بنوبة قلبية، ولكني لا أعتقد أن السيد ويتنجتون مخادع".

تابع السيد ويتنجتون حديثه قائلاً: "نعم، أليس هذا رائعاً أن تعيدي الزمن للوراء لبضعة أعوام - أعوام قليلة، أنا على يقين من هذا - وأن تعودي للالتحاق بمدرسة داخلية للفتيات التي تزدهم بها باريس —"

قاطعته توبينس قائلة:

"مدرسة داخلية؟"

قال السيد ويتنجتون: "بالضبط. مدرسة السيدة كولومبييه في شارع دي نيوييلي".

كانت توبينس تعلم هذا الاسم جيداً. لا توجد مدرسة داخلية أفضل منها. كان هناك الكثير من أصدقائها الأمريكيين قد درسوا فيها، وشعرت توبينس بحيرة شديدة.

قالت توبينس: "أنت تريدني أن ألتحق بمدرسة السيدة كولومبييه، أليس كذلك؟ لكم من الوقت؟"

قال السيد ويتنجتون: "ربما، ثلاثة أشهر".

قالت توبينس: "هل هذا كل شيء؟ لا توجد أية شروط أخرى؟"

قال السيد ويتنجتون: "لا، ستهببن إلى هناك على أنك ابنتي بالوصاية، كما أنك لن تقيمي أية صداقات مع زملائك. كما أطلب منك أن يظل هذا الأمر سرّاً بيننا في الوقت الحالي. بالمناسبة، هل أنت إنجليزية؟"

قالت توبينس: "نعم".

قال السيد ويتنجتون: "ولكنك تتحدثين بلكنة أمريكية قليلاً، أليس كذلك؟"

قالت توبينس: "لقد كانت أعز صديقاتي في المستشفى أمريكية، ويمكنني القول إنني قد تأثرت بلكنتها. سرعان ما سأعود للكنتي الأصلية مرة أخرى".

قال السيد ويتنجتون: "على العكس، سيكون من الأسهل أن تنجح في الأمر إذا ما انتحلت شخصية فتاة أمريكية، ربما كانت بعض التفاصيل عن حياتك الماضية في إنجلترا صعبة الإخفاء. نعم، أعتقد أنه سيكون من الأفضل أن تكوني أمريكية. ثم —"

قالت توبينس: "لحظة واحدة، سيد ويتنجتون. يبدو أنك قد أخذت موافقتي كشيء مسلم به".

ظهرت المفاجأة على وجه ويتنجتون وقال: "لا شك في أنك لا تفكرين في الرفض، أليس كذلك؟ أؤكد لك أن مدرسة السيدة كولومبييه مؤسسة متدبنة للغاية ومخصصة للطبقات الراقية، كما أن شروط العمل متحررة للغاية".

قالت توبينس: "بالضبط، هذا ما في الأمر. شروط العمل متحررة للغاية يا سيد ويتنجتون. لا أرى سبباً يجعلك تنفق هذا الكم من الأموال عليّ".

قال ويتنجتون بلطف: "حقاً حسناً، سأخبرك بالأمر. لا شك في أنه يمكنني أن استعين بشخص آخر يكلفني مبلغاً أقل من المال. إن من أرغب في دفع هذا المال له يجب أن يكون شابة على قدر عالٍ من الذكاء والحضور الذهني لتتمكن من أداء دورها ببراعة، وكذلك شابة تمتلك قدرًا من الفطنة يجعلها لا تطرح الكثير من الأسئلة".

هلت ابتسامة خفيفة وجه توبينس، فقد شعرت بأن ويتنجتون قد تمكن من إقناعها.

فقالت: "هناك أمر آخر. إنك لم تذكر السيد بيريسفورد حتى الآن. متى سيحين دوره؟".

قال ويتنجتون: "السيد بيريسفورد؟".

قالت توبينس باعداد: "شريكي. لقد رأيتنا معاً أمس".

قال ويتنجتون: "أه، نعم. أخشى أننا لسنا بحاجة لخدماته".

قالت توبينس وهي تنهض واقفة: "إذن، لن أقوم بالعمل. إما أن يعمل كلانا أو لا أحد منا. أسفة - ولكن هكذا يجري الأمر. إلى اللقاء سيد ويتنجتون".

قال ويتنجتون: "انتظري لدقيقة. دعينا نر ما إذا كان بمقدورنا القيام بأمر ما بهذا الشأن. اجلسي من فضلك يا آسة -"، ثم توقف عن الحديث متسائلاً.

تذكرت توبينس فجأة والدها رجل الدين، لذا فقد قالت أول اسم مر بخلدها: "جاين فين"، ثم توقفت مفتوحة الفم لترى تأثير هاتين الكلمتين.

اختفى كل البود من وجه ويتنجتون وحل محله احمرار شديد بفعل الغضب، وبرزت عروق جبهته، وخلف كل هذا كانت هناك علامات فرغ غير مفهومة. مال ويتنجتون نحو الأمام وقال بصوت كالضحك وبقسوة شديدة:

"هل هذه لعبتك الصغيرة التي تمارسيتها عليّ إذن؟".

شعرت توبينس بالخوف قليلاً ولكنها حافظت على هدوئها. لم تكن لديها أدنى فكرة عما يقصده، ولكنها كانت سريعة البديهة، لذا فقد شعرت بأن عليها ألا تقول أي شيء آخر.

تابع ويتنجتون حديثه قائلاً:

"هل كنت تلعبين معي طوال هذا الوقت، مثل القط والفأر؟ هل كنت تعلمين طوال الوقت ما كنت أريدك من أجله، ولكنك واصلت التمثيل، أليس كذلك؟"، ثم بدأ يهدأ، وبدأ احمرار وجهه يخفت، ونظر لها بحدة وقال: "من كان يثرثر عن هذا الأمر؟ ريتا؟".

هزت توبينس رأسها نفيًا، حيث إنها لم تكن تعلم إلى متى ستكون قادرة على الاستمرار في خداعه، ولكنها أدركت أنه من المهم ألا تورط ريتا، التي لا تعرف من هي، في الأمر.

قالت توبينس: "لا، إن ريتا لا تعلم أي شيء عني".

كانت عيناه لا تزالان ترمقانها بشدة.

وقال بحدة: "ما الذي تعرفينه عن الأمر؟".

أجابته توبينس: "أقل القليل"، وكانت سعيدة بأن قلق ويتنجتون قد زاد ولم يقل، حيث إن قولها إنها تعلم الكثير سيزيد من شكوكه حولها.

مال ويتنجتون: "على أية حال، إنك تعلمين القدر الكافي الذي جعلك تأتين إلى هنا وتقولين هذا الاسم".

قالت توبينس: "ربما كان هذا اسمي الحقيقي".

مال ويتنجتون: "احتمال وارد أن تكون هناك فتاتان تحملان الاسم ذاته، أليس كذلك؟".

تابعت توبينس حديثها وهي منتشية بنجاح صدقها: "أو ربما أكون قد توصلت له بمحض المصادفة".

شرب السيد ويتنجتون سطح مكتبه بقبضته بقوة.

وقال: "لا تخدعيني! ماذا تعرفين عن الأمر؟ وكم تريدين؟".

جعلت الكلمات الأخيرة خيال توبينس يجمع، خاصة بعد الإفطار الهزيل هذا الصباح والعشاء المكون من الخبز في الليلة السابقة. كان الجزء الأخير نابغًا من طبيعتها الأنثوية المغامرة، ولكنها لم تتجاهل جميع الاحتمالات. لذا اعتدلت في

جاسيتها وابتسمت بطريقة من فكر في الأمر جيدًا.

وقالت: "عزيزي السيد ويتنجتون، دعنا تكشف جميع أوراقنا، وأن ندعو الله ألا نكون غاضبًا بشدة. لقد سمعني أمس وأنا أقول إنه قد عُرض عليّ أن أعيش

باربسا لما يهديني إليه تفكيري. يبدو أنني قد أثبت الآن أنني أمتلك بعضًا من

رجاحة التفكير لأعيش طبقاً لها. لقد اعترفت لك بأني أعرف اسماً بعينه، ولكن ربما كانت معرفتي به تنتهي عند هذا الحد".

قال ويتنجتون: "نعم - وربما لا".

قالت توبينس وهي تتنهد تنهيدة خفيفة: "إنك تصر على إساءة الحكم علي". قال السيد ويتنجتون بغضب: "قلت من قبل إنك تحاولين خداعي، وأفشيت بمكنونات صدرك. لا يمكنك الآن أن تلعب دور البريئة معي. إنك تعرفين عن الأمر أكثر مما تفصحين".

توقفت توبينس عن الحديث للحظة لتزيد من براعتها وقالت بلطف:

"أنا لا أحب أن أعارضك يا سيد ويتنجتون".

قال ويتنجتون: "إذن وصلنا إلى السؤال الممعد - كم تريدين؟".

كانت توبينس متحيرة، لقد تمكنت، حتى هذه اللحظة، من خداع ويتنجتون بنجاح، ولكن إن قامت بطلب مبلغ من المال مبالغ فيه فقد يزيد ذلك من ارتياحه، ولكن طرأت عليها في تلك اللحظة فكرة مفاجئة.

فقالت: "ما رأيك في أن تدفع مبلغاً متواضعاً من المال الآن، ونحدث عن المبلغ الكامل فيما بعد".

رمقها ويتنجتون بنظرة فضلية.

وقال: "أنت تقومين بابتزازي، أليس كذلك؟".

ابتسمت توبينس بعذوبة وقالت: "لا، يمكنك أن تقول إنها مقدم أعاب".

أصدر ويتنجتون صوتاً غير مفهوم.

فتابعت توبينس حديثها مفسرة: "كما ترى، أنا لست مغرمة كثيراً بالمال".

صاح ويتنجتون بمقت شديد: "لقد تعديت حدودك. لقد خدعتني بمهارة.

لقد اعتقدت أنك فتاة صغيرة وديعة تمتلك الذكاء الكافي لتحقيق الغرض الذي أسعى إليه".

قالت توبينس: "إن الحياة مليئة بالمفاجآت".

تابع ويتنجتون حديثه قائلاً: "حسناً، هناك من تحدث عن الأمر، وأنت تقولين إنها ليست ريتا، هل هو؟، هيا".

طرق الموظف الباب طرقاً خفيفة ودلف إلى الغرفة، ووضع ورقة على مرفق رب عمله.

وقال: "لقد وصلت رسالة هاتفية للتو يا سيدي".

جذب ويتنجتون الورقة وبدأ في قراءتها، وقطب حاجبيه بشدة.

وقال: "شكراً براون، يمكنك الذهاب".

خرج الموظف من الغرفة وأغلق الباب خلفه، فنظر ويتنجتون إلى توبينس.

وقال: "تعالى غداً في الوقت ذاته. أنا مشغول في الوقت الحالي. خذي خمسين جنيه كدفعة مقدمة".

أخرج بسرعة بعض العملات الورقية ووضعها على الطاولة في اتجاه توبينس، ثم نهض واقفاً، وكان يبدو أنه يرغب بشدة في أن تنصرف.

أخذت الفتاة العملات وعدتها بطريقة رجال الأعمال، ووضعتها في حقيبتها ونهضت واقفة.

وقالت بأدب: "إلى اللقاء سيد ويتنجتون، أو ربما علي أن أقول أراك لاحقاً".

بدا ويتنجتون ودوداً مرة أخرى، الأمر الذي جعل توبينس ترتاب قليلاً في الأمر، وهو يقول: "بالطبع، أراك لاحقاً، أراك لاحقاً أينها الفتاة الماهرة الفاتنة".

أسرعت توبينس قليلاً في أثناء هبوطها الدرج. كانت مختالة بنفسها كثيراً، وكانت إحدى الساعات تشير خلال هبوطها الدرج إلى الثانية عشرة إلا خمس دقائق.

شمغمت توبينس قائلة: "هيا نضاجئ تومي"، وأوقفت إحدى سيارات الأجرة.

خرجت توبينس من سيارة الأجرة خارج محطة قطار الأنفاق، وكان تومي قد وصل للتو إلى مدخلها. اتسعت عينا تومي عن آخرهما في دهشة واندفع ليساعد

توبينس على الهبوط من السيارة. ابتمت له توبينس في حب وقالت بصوت خافت منفل:

"ادفع أجرة السيارة، هل يمكنك هذا يا عزيزي؟ حيث إن أقل عملة أمتلكها هي خمسة جنيهاً".

الثالث

العقبة

لم تكن اللحظة تحمل الكثير من مشاعر النصر كما كان من المفترض أن تكون. بادئ ذي بدء، لم يكن تومي يمتلك الكثير من المال. في النهاية تم دفع أجرة سيارة الأجرة، حيث أخرجت السيدة بنسين، وكان سائق السيارة الأجرة الذي كان لا يزال يحمل العملات في يده، يرغب في الرحيل، ورحل بالفعل بعدما أطلق صيحة بصوت أجش جعلت تومي يعتقد كما لو كان السائق هو من يعطيه الأجرة. قالت توبينس: "أعتقد أنك أعطيتك الكثير من المال يا تومي. أعتقد أنه يرغب في إعادة بعضه لك".

ربما كانت هذه المقولة هي ما دفع السائق للانصراف.

قال السيد بيريسفورد ليرضي فضوله: "حسنًا، ماذا بحق السماء دفعك لأن تستقلي سيارة أجرة؟".

قالت توبينس بلطف: "كنت أخشى أن أتأخر عن موعدنا وأجعلك تنتظرني لوقت طويل".

قال السيد بيريسفور: "تخشين من أن تتأخري عن موعدنا، يا إلهي! لا أصدق أذني".

تابعت توبينس حديثها وقد اتسعت عينها عن آخرهما: "الحق يُقال، لم أكن أمتلك بالفعل عملة أقل من خمسة جنيهات في حقيبتي".

قال تومي: "لقد أدبت دورك ببراعة يا عزيزتي، ولكن الرجل لم يستوعب الأمر على الإطلاق".

قالت توبينس: "لا، إنه لم يصدق ما قلت. هذا هو الأمر الغريب المتعلق بقول الصدق. لا أحد يصدق المرء عندما يقول الحقيقة. لقد اكتشفت هذا الأمر هذا الصباح. وآآ، دعنا نذهب لتناول الغداء. ما رأيك في مطعم سافوي؟".

ابتسم لها تومي.

وقال: "ماذا عن الريتز؟".

قالت توبينس: "بعد أن أدت تفكيرتي، أفضل مطعم بيكاديللي. إنه أقرب. لا يجب علينا أن نستقل سيارة أجرة أخرى. تعال".

قال تومي: "هل هذا نوع جديد من المزاح؟ أم أنك أُصِبت بالجنون؟".

قالت توبينس: "فرضيتك الثانية هي الصحيحة. لقد حصلت على بعض لمال، وكانت الصدمة أكبر مما يتحمل عقلي، وقد نصحني الطبيب بأنه عندما صاب بهذا النوع من الاختلال العقلي يجب أن أتناول كمية غير محدودة من لمقبلات وسرطان البحر بالطريقة الأمريكية، والدجاج بطريقة نيوبرج مثلجات الفواكه، دعنا نذهب لتناول بعضها".

قال تومي: "توبينس، عزيزتي، ماذا حدث لك حقيقة؟".

فتحت توبينس حقيبتها وقالت: "حسنًا، أنت لا تصدقني. انظر هنا، وهنا، هنا".

قال تومي: "عزيزتي، لا تلوحي بالجنيهات عاليًا هكذا".

قالت توبينس: "إنها ليست عملات من فئة الجنيه، بل إنها أفضل بخمس مرات، وهذه العملة أفضل بعشر مرات".

صاح تومي بغبطة:

"يبدو أنني كنت أشرب بدون أن أدرك هذا. هل أحلم يا توبينس، أم أنني أملك بيدي كمية كبيرة من ورقات العملة فئة الخمسة جنيهات؟".

قالت توبينس: "لست تحلم يا تومي، وآآ، هل ستأتي معي لتناول الغداء؟".

قال تومي: "سأذهب معك إلى أي مكان، ولكن كيف حصلت على هذا المال، هل سطوت على بنك؟".

قالت توبينس: "سأخبرك بكل شيء في حينه. إن سيرك بيكاديللي هذا مكان الطليع. هناك حافلة ضخمة تتجه نحونا. سيكون من الفظيع أن تدهس أوراق العملة من فئة الخمسة جنيهات".

سألها تومي عندما وصلا إلى الرصيف في الجهة الأخرى من الطريق: "ماذا عن مطعم جريلرووم؟".

اعترضت توبينس قائلة: "أسعاره أعلى من المطعم الآخر".

قال تومي: "لا تبالغي في الأمر. دعينا ندخل".

قالت توبينس: "هل أنت واثق من أنني سأتمكن من الحصول على ما أرغب فيه في هذا المطعم؟".

قال تومي: "هل ترغيبين في قائمة الطعام الشاملة تلك التي ذكرتها منذ قليل؟ بالطبع يمكنك الحصول على ما تريدين - أو على الأقل ما يمكن لمعدتك استيعابه على أية حال".

قال تومي، وهو غير قادر على تمالك فضوله لفترة أطول، عندما جلسا إلى إحدى الطاولات وتحيط بهما المقبلات التي كانت تحلم بها توبينس: "وآآ، أخبريني بما حدث".

أخبرته الآتسة كاولي بما حدث.

اختتمت توبينس حديثها قائلة: "الأمر الغريب هو أنني ابتكرت اسم جاين آين. لم أكن أرغب في أن أخبره باسمي الحقيقي بسبب والدي المسكين - إذا ما أوردت في أي عمل غير قانوني".

قال تومي ببطء: "ربما فعلت الصواب، ولكنك لم تبكتري هذا الاسم".
قالت توبينس: "ماذا؟".

قال تومي: "لا، لقد أخبرتك به. ألا تتذكرين، لقد قلت لك أمس إنني سمعت محض المصادفة شخصين يتحدثان عن امرأة تدعى جاين فين؟ هذا ما جعل هذا الاسم يكون حاضراً في ذهنك".

قالت توبينس: "نعم، لقد فعلت. لقد تذكرت الآن. يا له من أمر غريب"، ثم صممت لبضع لحظات واستطردت قائلة: "تومي".
قال تومي: "نعم؟".

قالت توبينس: "ماذا كان شكل الرجلين اللذين سمعتهما يتحدثان عنهما؟".
قطب تومي حاجبيه محاولاً التذكر وقال:
"كان أحدهما شاباً ضخماً وبدينًا، حليق الوجه، وأعتقد أنه كان كئيب المظهر".

صاحت توبينس صيحة عالية مخالفة للقواعد القائلة: "هذا هو. هذا هو ويتجتون. كيف كان يبدو الرجل الآخر؟".

قال تومي: "لا أذكر. لم أنظر له مطولاً. لقد كان الاسم الغريب هو ما لفت انتباهي".

قالت توبينس وهي تقلب في طبق مثلجات الفواكه أمامها بغبطة: "الناس يقولون إن المصادفات لا تحدث".

ولكن في ذلك الوقت، أصبح تومي أكثر جدية وهو يقول:
"اسمعي يا توبينس. إلى ماذا سيقودك هذا الأمر؟".

ردت عليه توبينس قائلة: "إلى الحصول على المزيد من المال".

قال تومي: "أعلم هذا. إنك لا تفكرين إلا في أمر واحد. ما أنيه هو، ما خطوتك التالية؟ كيف ستمكنين من مواصلة خداعه؟".

وضعت توبينس ملعقتها جانباً وقالت: "أوه، إنك على حق يا تومي، يا له من أمر محير".

قال تومي: "إنك تعلمين أنك لست قادرة على خداعه للأبد، من المؤكد أنك خططين إن أجلاً أو عاجلاً. على أية حال، أنا لا أعتقد أن ما فعلينيه - الابتزاز - أمر قانوني".

قالت توبينس: "هراء، يعني الابتزاز أنك ستكشف الأمر إلا إذا حصلت على المال. والآن، لا يوجد لدي ما أكشفه، لأنني لا أعلم أي شيء".

قال تومي بشك: "همم، حسناً، على أية حال، ما الذي سنفعله؟ كان ويتجتون عاجلاً لتتصرف في هذا الصباح، ولكنه في المرة القادمة سيرغب في معرفة المزيد عما تعرفينه قبل أن يعطيك المزيد من المال. سيرغب في معرفة المعلومات التي تعرفينها، ومن أين حصلت عليها، والكثير من الأمور الأخرى التي لا يمكنك مجاراتها. ماذا ستفعلن حيال هذا الأمر؟".

أعطيت توبينس حاجبها بشدة، وقالت: "يجب أن تفكر فيما ستفعل. اطلب بعض القهوة التركية يا تومي، فإنها تحفز العقل. يا إلهي، لقد أتخمت بالطعام".

قال تومي: "لقد تناولت ما يزيد على طاقتك، وكذلك فعلت أنا، ولكني مسرور لأن اختياري الأطعمة التي تناولتها كان أكثر حكمة من اختياريك". ثم قال للنادل: "قدحان من القهوة من فضلك، أحدهما قهوة تركية والآخر فرنسية".

رشت توبينس القهوة من قدحها وهي تفكر بعمق، ووبخت تومي عندما تحدث معها قائلة:
"اصمت، أنا أفكر".

قال تومي: "ظلال تمارين الذاكرة"، ولاذ بالصمت التام.

قالت توبينس أخيراً: "اسمع، لدي خطة. يبدو أنه لا طريق أمامنا سوى اكتشاف المزيد عن ذلك الأمر".

صفق لها تومي.

قالت: "لا تسخر مني. السبيل الوحيد لمعرفة المزيد هو من خلال ويتجتون نفسه. يجب أن نكتشف أين يسكن، وماذا يفعل - أي أن نتجسس عليه. لا يمكنني أنا أن أقوم بهذه المهمة لأنه يعرفني، ولكنه لم يرك سوى لدقيقة أو

دقيقتين في مقهى ليونز، ومن غير المرجح أن يتذكرك. إن الشباب يشبهون بعضهم بعضاً كثيراً."

قال تومي: "أنا لا أتفق معك على الإطلاق، حيث إن ملاحي الوسيمة ومظهري المتميز سيجعلانني أظهر بوضوح من بين أي مجموعة كانت."

تابعت توبينس حديثها في هدوء قائلة: "خطتي كالتالي، سأذهب لمقابلته بمفردي غداً، وسأخذه كما فعلت اليوم. لا يهم إذا لم أحصل على المزيد من المال في تلك المرة. إن الخمسين جنبها ستكوننا لبضعة أيام."

قال تومي: "وربما أكثر."

قالت توبينس: "سأظل أتسكع على مقربة منك خارج المبنى، وعندما أخرج لن أتحدث معك خشية أن يكون يراقبني، ولكني سأختفي في مكان قريب، وعندما يخرج هو من المبنى سألقي بمنديلي أو أي شيء آخر على الأرض، فتنتقل أنت."

قال تومي: "انطلق إلى أين؟"

قالت توبينس: "تنتقل خلفه بالطبع أيها الأحق. ما رأيك في هذه الفكرة؟"

قال تومي: "تشبه الأفكار التي نقرؤها في الروايات. أعتقد أنه في الحياة الواقعية، قد يظل المرمء واقفاً في الشارع كالأحمق لساعات بدون أن يفعل أي شيء، وسيستاءل الناس عما أرغب في القيام به."

قالت توبينس: "ليس في المدينة. إن الناس في عجلة من أمرهم، ربما لن يلحظ أي شخص وجودك."

قال تومي: "هذه هي المرة الثانية التي تقولين فيها مثل هذا الأمر. لا عليك، أنا أسامحك. على أية حال إنها مزحة. ماذا ستفعلن اليوم في فترة ما بعد الظهر؟"

قالت توبينس وهي تفكر: "حسناً، كنت أفكر في شراء بعض القبعات أو الجوارب الحريرية، أو ربما —"

قاطعتها تومي قائلاً: "مهلاً مهلاً، إن كل ما معنا خمسون جنبها فقط، ولكن دعينا نتناول العشاء ونر ما تقدمه المدينة الليلية من أحداث."

قالت توبينس: "حسناً."

مر اليوم بشكل رائع، وكانت الأمسية أكثر من رائعة، وقاما باتفاق اشتتين من الأوراق المالية فئة الخمسة جنيهات.

لقابلاً في الصباح التالي كما اتفقا وتوجها نحو المدينة. ظل تومي واقفاً في الجهة المقابلة من الطريق، في حين دلفت توبينس إلى المبنى.

سار تومي ببطء نحو نهاية الشارع وعاد مرة أخرى. بمجرد أن اقترب من المبنى، وجد توبينس تخرج مسرعة من المبنى وتعبّر الطريق قائلة:

"تومي."

قال تومي: "نعم، ما الأمر؟"

قالت توبينس: "المكتب مغلق، ولا يمكنني سماع أي شخص بالداخل."

قال تومي: "هذا أمر غريب."

قالت توبينس: "أليس كذلك؟ اصعد معي لأعلى ودعنا نحاول مرة أخرى."

لعبها تومي، وعندما عبرا الطابق الثالث كان هناك أحد الموظفين الشباب يخرج من أحد المكاتب. تردد للحظة ثم توجه إلى توبينس قائلاً:

"هل تريدان شركة إيسوتيا جلاسواير؟"

قالت توبينس: "نعم، من فضلك."

قال الموظف: "لقد أغلقت، منذ عصر أمس. يُقال إنه قد تمت تصفية الشركة، ولكني لم أسمع بهذا الأمر بنفسي، ولكن على أية حال، لقد قاموا بعرض المكاتب للإيجار."

قالت توبينس: "شكراً لك. أعتقد أنك لا تعرف عنوان منزل السيد ويتنجتون، أليس كذلك؟"

قال الموظف: "أخشى أنني لا أعرفه. لقد رحلوا بشكل مفاجئ."

قال تومي: "شكراً جزيلاً لك. هيا بنا يا توبينس."

هبطا الدرج إلى الطابق السفلي مرة أخرى، حيث حديق كل منهما في الآخر بنظرات زائغة.

قال تومي أخيراً: "هذا ينهي الأمر".

قالت توبينس: "أنا لم أتوقع حدوث هذا على الإطلاق".

قال تومي: "لا عليك، إن الأمر ليس بيدك".

برز ذقن توبينس الصغير في تحدّ وقالت: "ليس الأمر بيدي بالفعل، ولكن هل تعتقد أن هذه نهاية المطاف؟ إذا كنت تعتقد هذا، فأنت مخطئ. إنها البداية". قال تومي: "بداية ماذا؟".

قالت توبينس: "بداية مغامرتنا. تومي، ألا ترى أنهم كانوا خائفين للغاية ليهربوا بتلك الطريقة، مما يؤكد أن هناك الكثير لا نعلمه بشأن موضوع جاين فين. حسناً، سنكتشف الأمر بأكمله، وسنوقع بهم. سنكون جواسيس بكل ما تحمله الكلمة من معنى".

قال تومي: "نعم، ولكن لا يوجد من نتجسس عليه".

قالت توبينس: "نعم، ولهذا السبب علينا أن نبدأ من جديد. أقرضني قلمًا، الرصاص. شكرًا لك. انتظر قليلاً - لا تقاطعني. تفضل". أعطته توبينس قلمه الرصاص مرة أخرى، ومسحت الورقة التي خطت عليها الكلمات للتو بنظرات زائغة.

فقال تومي: "ما هذا؟".

قالت توبينس: "إعلان".

قال تومي: "أمازلت مصرة على نشر ذلك الإعلان؟".

قالت توبينس: "لا، إنه إعلان مختلف تمامًا"، وأعطته الورقة.

قرأ تومي الكلمات بصوت عالٍ قائلاً:

"مطلوب أية معلومات تخص جاين فين، أرسلوا الخطابات إلى واي.ايه."

الورقة فقالت:

الرابع

من هي جاين فين؟

في اليوم التالي ببطة شديد، فقد كان من الضروري أن يرشد بطلانا هير وفاتهما، فمع الاقتصاد الجيد، يمكن لمبلغ الأربعين جنيهًا الذي معهما أن يفسد لوقت طويل. لحسن الحظ كان الجورائعا، وكان "السير رخيص الثمن"، أما امرت توبينس، وكانا قد قاما بقضاء الأمسية في أحد دور السينما النائية.

كان اليوم الذي خاب فيه أملهما هو يوم الأربعاء، وفي يوم الخميس، ظهر إعلانهما في الصحيفة. في يوم الجمعة، كانا يتوقعان أن تصلهما الخطابات على الفور إقامة تومي.

كان تومي قد قطع على نفسه عهدًا ألا يفتح أيًا من تلك الخطابات إذا ما وصلت، بل سيقوم بالتوجه إلى صالة عرض اللوحات القومية حيث ستقابلته هير وكنه في تمام العاشرة.

وصلت توبينس أولاً إلى مكان اللقاء، وجلست على مقعد مخملي أحمر اللون. وكانت في مشاهدة لوحات تيرنر بعينين زائفتين حتى رأت شخصًا تعرفه يدخل الغرفة فقالت:

"ما الأمر؟"

قال تومي باستفزاز: "حسنًا، ما هي لوحاتك المفضلة؟"

قالت توبينس: "لا تكن سخيًا. هل وصلتك أية خطابات؟"

هز تومي رأسه بحزن عميق مبالغ فيه وقال:

"لم أكن أرغب في إحباطك يا عزيزتي بأن أقول لك ما حدث على الفور إن الأمر سيئ للغاية. لقد أضعنا مالنا هباءً"، ثم تنهد بعمق وقال: "ولكن واقع الأمر أن إعلاننا ظهر في الصحيفة ولم يصلنا سوى خطابين".

كادت توبينس تصرخ من فرط الانفعال وقالت: "تومي، يا لك من ماهر أعطني إياهما. كيف يمكن أن تكون على هذا القدر من الدناءة؟"

قال تومي: "حقائبك يا توبينس، حقائبك. إنها لا تناسب معرض اللوحات القومي على الإطلاق. إنه معرض حكومي كما تعلمين. وتذكري، كما قلت لك من قبل، أن ابنة رجل الدين يجب أن —"

أكملت توبينس جملته فجأة قائلة: "أن تكون على المنصة".

قال تومي: "ليس هذا ما كنت أنوي قوله، ولكن إن كنت واثقة من أنك استمتعت تمامًا بالشعور بالسعادة بعد لباس، الشعور الذي أعطيتك إياك من طيب خاطر بدون مقابل، فدعينا نعد إلى رسلنا".

خطف توبينس الخطابين الغاليين من يده بدون تكلف وفحصتهما بدقة وقالت:

"هذا الخطاب مكتوب على ورق سميك. يبدو أنه من شخص ثري. سنتركه جانبًا وسنفتح الخطاب الآخر أولاً".

قال تومي: "كما ترغيبين. واحد، اثنان، ثلاثة، افتحي".

فتحت توبينس ظرف الخطاب بإيهاهما الصغير وأخرجت محتوياته، وقرأت الخطاب الذي كان يقول:

سيدتي العزيز،

بالإشارة إلى الإعلان المنشور في الصحيفة صباح اليوم، قد أفيدك ببعض المعلومات. ربما يمكنك أن تحضر لمقابلتي في العنوان على ظرف الخطاب في تمام الحادية عشرة من صباح الغد.

المخلص،

إيه. كارتر

قالت توبينس وهي تشير إلى العنوان المكتوب على ظرف الخطاب: "المتزل رقم ٢٧ في مجمع كارشالتون السكني. إن هذا المجمع يقع في طريق جلوسيستر. ستغرق وقتًا طويلاً للوصول إلى هناك إذا ما ركبنا قطار الأنفاق".

قال تومي: "سأعرض عليك خطتي لما سنفعل. إنه دوري لأخطط للتعامل معه. عندما أذهب للقاء السيد كارتر، سنحبي بعضنا الآخر كالعادة. بعد ذلك سنقول: تفضل بالجلوس يا سيد -؟، فأرد عليه على الفور: إدوارد ويتجتون، أينما يبدأ وجه السيد كارتر في الاحمرار ويقول لي: كم تريد؟ ويخرج المبلغ المعتاد، خمسين جنيهًا، ثم أخرج لأقابلك في الخارج لنذهب إلى العنوان التالي ونقرر العملية".

قالت توبينس: "لا تكن أحمق يا تومي. دعنا نفتح الخطاب الثاني. أوه، إنه يرسل من فندق الريتز".

قال تومي: "سنحصل على مائة جنيه بدلًا من خمسين".

قالت توبينس: "سأقرأ الخطاب:

سيدتي العزيز،

بخصوص الإعلان المنشور في الصحيفة، سأكون مسرورًا إذا ما جئت لمقابلتي على الغداء.

المخلص،

جولوس بي. هيرشايمر.

قال تومي: "هل هذا الاسم ألماني، أم مجرد مليونير أمريكي من أصول ألمانية؟ على أية حال، سنذهب إليه في موعد الغداء، إنه وقت مناسب - حيث إنه يؤدي عادة إلى الحصول على وجبة مجانية من أجل شخصين".

أومات توينيس برأسها موافقة وقالت:

"والآن، فلنذهب للقاء كارتر. هيا، علينا أن نسرع".

كان مجمع كارشالتون السكني عبارة عن صف، على حد تعبير توينيس، من المنازل الأنيقة. قرعا جرس باب المنزل رقم ٢٧، وفتحت الباب خادمة أنيقة كانت الخادمة تبدو محترمة للغاية مما جعل قلب توينيس يهبط في قدميه. عندما سأل تومي عن السيد كارتر، أشارت لهما الخادمة بدخول غرفة مكتب صغيرة في الطابق الأرضي، حيث تركتهما. لم تمر دقيقة حتى فتح الباب ودخل رجل طويل القامة ذو وجه نحيف يشبه وجه الصقر، وكان يبدو مرهقاً.

قال الرجل وهو يتسهم ابتسامة بدت جذابة للغاية: "السيد واي. إيه. اجلسا من فضلكما".

أطاعاه، وجلس هو الآخر في المقعد المقابل لتوينيس وابتسم لها مشجعاً. كان في ابتسامته شيء ما جعل استعداد الفتاة المعتاد يذللها.

عندما بدا أن الرجل لن يبدأ بالحديث عن الموضوع، شعرت توينيس بأنها مجبرة على أن تفعل، فقالت:

"كنا نرغب في معرفة، أعني، هل نتكرم وتخبرنا بأي شيء تعرفه عن جاين فين؟".

بدا أن السيد كارتر يفكر في الأمر وقال: "جاين فين؟ نعم. حسناً، السؤال هو، ما الذي تعرفانه عن جاين فين؟".

اعتدلت توينيس في جلستها وقالت:

"لا أعتقد أن هذا ما جئنا من أجله".

ابتسّم كارتر مرة أخرى بطريقته المنهكة وتابع حديثه قائلاً: "حقاً؟ بل هو ذلك في حقيقة الأمر. لذا فإن هذا يعود بنا إلى السؤال المطروح مرة أخرى، ما الذي تعرفانه عن جاين فين؟".

ثم قال عندما لاذت توينيس بالصمت: "هيا. يجب أن تكوني على علم بأمر ما من جاين فين حتى تنشري إعلاناً بالصحيفة مثلما فعلت، أليس كذلك؟"، ثم

قال للأمام، وحمل صوته نبرة مقنعة وهو يقول: "افترضي أنك أخبرتني —"

كان هناك شيء جذاب بشأن شخصية السيد كارتر، وبدا أن توينيس تحاول

التحرر من تلك الجاذبية بصعوبة وهي تقول:

"لا يمكننا فعل هذا، أليس كذلك يا تومي؟".

ولكن لدهشتها، لم يساندها تومي، فقد كانت عيناه مثبتتين على السيد

كارتر، وحمل صوته نبرة الإذعان وهو يقول:

"يمكنني أن أقول إن المعلومات القليلة التي نعرفها لن تفيدك كثيراً يا

تومي، ولكن لأنك ترغب في أن تعرفها، فسنبخبرك بها عن طيب خاطر".

صرخت توينيس في دهشة قائلة: "تومي".

استدار السيد كارتر في مقعده ونظر بعينين متساثلتين. تومي أوما برأسها

وقال:

"نعم يا سيدي، لقد عرفتك على الفور. لقد رأيتك في فرنسا عندما كنت

أخدم مع جهاز الاستخبارات. بمجرد أن رأيتك تدخل الغرفة، عرفت على الفور

ذلك —"

أمسك السيد كارتر بيده وقال:

"لا أسماء من فضلك. أنا أعرف هنا باسم السيد كارتر. بالمناسبة، هذا

مثير لإحدى بنات عمومتي. إنها على استعداد تام لأن تقرضني إياه في بعض

الأيام عندما أعمل بصورة غير رسمية. حسناً، والآن —" ونقل بصره بينهما

وقال: "من منكما سيخبرني بالقصة؟".

قال تومي: "هيا يا توينيس، إنها قصتك".

قال السيد كارتر: "نعم، أيتها الشابة، قصي علي الأمر".

أطاعتها توبينس وقصت القصة بأكملها منذ تكوين شركة شباب المغامرين المحدودة وحتى النهاية.

استمع السيد كارتر للقصة في صمت وقد استعاد هيئته المرهقة، ومن حين لآخر كان يضع يده على فمه كما لو كان يحاول أن يخفي ابتسامته. عندما انتهت توبينس من قصتها أوما برأسه برزاة وقال:

"ليست بالقصة الطويلة، ولكنها توحى بالكثير. اعتذرائي فيما سأقول، إنكما زوج من الشباب مثير للاهتمام. لا أعلم إن كنتما ستجحان فيما فشل فيه الآخرون... إنني أؤمن بالحدث، ولطالما فعلت..."

ثم صمت للحظة وتابع قائلاً:

"حسنًا، ماذا عن الآتي؟ إنكما بصدد القيام بمغامرة. ما رأيكما أن تعملنا معي؟ بشكل غير رسمي، كما تعلمان. وسأتحمل جميع المصروفات بالإضافة إلى راتب معقول؟".

حدقت به توبينس وفغرت فاهما، وقد اتسعت عيناها عن آخرهما، وقالت: "وما الذي علينا أن نفعله؟".

ابتسم السيد كارتر وقال:

"أن تستمرا في فعل ما فعلاناه في الوقت الحالي، أن تجدوا جاين فين".

قالت توبينس: "حسنًا، ولكن من هي جاين فين؟".

أوما السيد كارتر برأسه في رزاة وقال: "نعم، أعتقد أنه من حقا أن تعرفا من هي".

اضطجع السيد كارتر في جلسته ووضع ساقًا فوق الأخرى، وشبك أصابع يديه وقال في صوت خفيض:

"إن السياسة السرية (التي، بالمناسبة، عادة ما تكون سياسة سيئة) لا تهكم كما كثيرًا. سيكتفي أن أقول إنه في بداية عام ١٩١٥، ظهرت وثائق معينة كانت عبارة عن مسودة لاتفاق سري - معاهدة - أيًا كان ما ستطلقانه عليها، وكانت

بمرة ليتم التوقيع عليها من عدد من ممثلي الدول، تمت صياغتها في أمريكا التي كانت في ذلك الوقت دولة محايدة. تم إرسالها بعد ذلك إلى إنجلترا مع وثائق اختيار خصيصًا لهذا الغرض، شاب يُدعى دانفرز. كنا نأمل أن يظل الأمر سريًا حتى لا تتسرب أية معلومات من هذه الوثائق، ولكن هذا النوع من الآمال نادر ما يخيب، حيث إن هناك دائمًا من يُفشي السر.

أبحر دانفرز إلى إنجلترا على متن السفينة لوزيتانيا، وكان يحمل الوثائق الثمينة في لفافة من القماش المشمع تحت ملابسه، وكانت تلك الرحلة التي سبقت فيها السفينة لوزيتانيا بالطوربيد وأغرقت. كان دانفرز من بين قائمة المفقودين، وفي النهاية أنجرفت جثته إلى أحد الشواطئ، وتم التأكد من هويته، ولكن لفافة القماش المشمع كانت مفقودة.

السؤال هو: هل أخذت اللفافة منه، أم أعطاه شخصًا آخر ليحتفظ بها؟ وقد قصت بعض الأحداث التي تؤكد صحة النظرية الثانية. بعد ضرب الطوربيد السفينة، وفي خلال اللحظات القليلة التي سبقت إطلاق زوارق النجاة، شوهد دانفرز يتحدث مع شابة أمريكية. لم يره أحد وهو يعطيها أي شيء، ولكن من المرجح أنه فعل. يبدو لي أنه قد أعطى الأوراق لتلك الفتاة، إيمانًا منه بأنها، امرأة، لديها فرصة أكبر للوصول بها إلى بر الأمان.

ولكن، إن كان هذا صحيحًا، فأين هي تلك الفتاة، وماذا فعلت بتلك الوثائق؟ أخبرنا السلطات الأمريكية فيما بعد بأنه من المرجح أن دانفرز قد تم تعقبه بالزوارق رحلته. هل كانت الفتاة من الأعداء؟ أم تم تعقبها هي الأخرى وتم خداعها أو إجبارها على تسليم تلك الوثائق الثمينة للأعداء؟

"بدأنا العمل من أجل تعقبها، ولكننا واجهنا صعوبات كثيرة غير متوقعة. فإن اسم الفتاة جاين فين، قد ظهر بين قائمة الركاب الذين نجوا من الحادث، ولكن الفتاة نفسها اختفت من دون أثر. عند الاستفسار عن أقاربها لم نتوصل إلى الكثير من المعلومات عنها، فقد كانت يتيمة، وكانت تعمل في الوظيفة التي أطلق عليها هنا مدرسة روضة في مدرسة صغيرة في الغرب الأمريكي. كان مثبِتًا في جواز سفرها أنها متوجهة إلى باريس، حيث كانت ستعمل ضمن طاقم عمل

أنها أن تضر التجارة البريطانية بشكل كبير، ولكن هذا لا يُعتبر شيئاً يُذكر بالمقارنة بالخطر الحقيقي".

سمعت للحظة ثم قال بهدوء:

"ربما تكونان قد سمعتما أو قرأتما عن وجود أيدٍ بلشفية تعمل على زيادة احتجاجات العمال، أليس كذلك؟"

أومات توينيس برأسها.

فانبع السيد كارتر حديثه قائلاً: "هذه هي الحقيقة، إن البلشفيين يضحون أولاً بالمائلة داخل البلاد بفرض إثارة ثورة. كما أن هناك رجلاً بعينه، رجلاً لا يعرف اسمه، يعمل في الخفاء من أجل الوصول لهذا الغرض. إن البلشفيين هم الذين يثير احتجاجات العمال - ولكن هذا الرجل هو من يثير البلشفيين. من هو هذا الرجل؟ لا نعلم من هو. عادة ما يتم الحديث عنه بمسمى السيد براون، ولكن هناك أمراً واحداً مؤكداً، إنه أبرع مجرمي هذا العصر. إنه يرأس مؤسسة ضخمة، كانت أغلب الدعاية من أجل السلام خلال الحرب من طرفه وممولة من أمواله. إن جواسيسه منتشرون في كل مكان".

سأله تومي: "هل هو ألماني؟"

قال السيد كارتر: "على العكس، إن لدي الكثير من الأسباب التي تدفعني للاعتقاد بأنه إنجليزي، ولكنه موالٍ للألمان، كما كان موالياً للهنولنديين. إننا نسعى لتحقيقه أمراً لا نعرفه - ربما كان يسعى للحصول على السلطة لنفسه، وهذا أمر فريد من نوعه في التاريخ. لا نمتلك أي دليل يدلنا على هويته، وقد وردنا تقارير تنص على أنه حتى تابعوه لا يعلمون من هو. كلما اعترضنا طريقه، فإننا ما يلعب دور أحد التابعين، ويتظاهر شخص آخر بأنه هو الزعيم، ولكننا نكتشف أنه شخص تافه - خادم أو موظف ظل يعمل في الخفاء بدون أن نلاحظه، ويتمكن السيد براون المراوغ من الهرب منا مرة أخرى".

قهرت توينيس قائلة: "أوه، إنني أتساءل —"

قال كارتر: "ماذا؟"

إحدى المستشفيات. كانت الفتاة قد تطوعت للعمل في المستشفى، وبعد عدة من المراسلات، تم قبولها للعمل. بعدما رأى طاقم العمل في المستشفى اسمها بين قوائم الناجين من حادث السفينة لوزيتانيا، شعروا جميعاً بالدهشة لأنها لم تتوجه للمستشفى لتسلم عملها التطوعي، ولم يعرفوا عنها أي شيء منذ ذلك الحين.

حسناً، لقد بذلنا أقصى ما بوسعنا لتعقب هذه الفتاة - ولكن من دون طائل تعقبناها وصولاً إلى أيرلندا ولكن لم يسمع بها أحد منذ وطلت قدمها أرض إنجلترا. لم يتم استخدام مسودة المعاهدة - كما كان من المفترض أن يحدث - لذا فقد توصلنا في النهاية إلى استنتاج أن دانفرز قد لجأ إلى تدميرها. بعد ذلك انتقلت الحرب إلى مرحلة جديدة، وتغيرت الهيئة الدبلوماسية طبقاً لذلك، ولم يتم إعداد مسودة أخرى للمعاهدة. تم إنكار جميع الشائعات عن وجود مثل هذه المعاهدة، وتم نسيان اختفاء جاين فين وذهب الأمر بأكمله طي النسيان".

توقف السيد كارتر عن الحديث، فقالت توينيس في نفاذ صبر:

"ولكن، لماذا تمت إثارة هذا الأمر مرة أخرى؟ لقد انتهت الحرب".

بدأ السيد كارتر أكثر انتباهاً من ذي قبل وهو يقول: "لأنه يبدو أن الأورال لم يتم تدميرها، وظهورها مرة أخرى في الوقت الحالي قد يكون له معنى جديد وخطير".

اتسعت عينا توينيس، فأوماً السيد كارتر برأسه وقال:

"نعم، منذ خمس سنوات، كانت تلك المعاهدة سلاحاً بين أيدينا، ولكنها الآن سلاح مسلط علينا. لقد كانت خطأ فادحاً. إذا ما تمت إذاعة شروطها على العامة، ستحل الكارثة... ومن المحتمل أن تنشب حرب جديدة، ولكن ليس ضد ألمانيا هذه المرة. هذا احتمال بعيد، وأنا عن نفسي لا أعتقد بحدوثه، ولكن هذه الوثائق تمس بعضاً من رجال دولتنا الذين لا يمكننا التخلي عنهم بأية حال من الأحوال في الوقت الحالي. عندما تدعو جماعة إلى فوز حزب العمال فإن هذا الأمر لا يمكن مقاومته، ولكن حكومة من حزب العمال في هذه المرحلة، في رأيي، من

قالت توبينس: "لقد تذكرت. في مكتب السيد ويتنجتون كان الموظف يُدعى براون. ألا تعتقد أن —"

أوماً كارتر برأسه مفكراً وقال: "من المحتمل جداً أن يكون هو. هناك أمر غريب. وهو أن الاسم عادة ما يُذكر. إنها سمة مميزة للعباقرة. هل يمكنك تصفيه لي؟"

قالت توبينس: "لا يمكنني هذا، لقد بدا شخصاً عادياً - يشبه أي شخص آخر."

تهند السيد كارتر بطريقته المرهقة وقال:

"هذا هو الوصف الثابت للسيد براون، وقد أحضر رسالة هاتفية لويتنجتون. أليس كذلك؟ هل لاحظت وجود أي هاتف في المكتب الخارجي؟"

فكرت توبينس ثم قالت:

"لا، لا أعتقد هذا."

قال كارتر: "بالضبط. هذه الرسالة هي طريقة السيد براون لتوجيه الأوامر لمرعوسه. لقد سمع المحادثة التي دارت بينكما بأكملها. بعد ذلك أعطاك ويتنجتون المال وأخبرك أن تأتي في اليوم التالي، أليس كذلك؟"

أومات توبينس برأسها موافقة.

قال السيد كارتر: "لا شك في أن هذا هو أسلوب السيد براون". ثم توقف عن الحديث للحظة واستمر قائلاً: "حسناً، هذا ما في الأمر. لقد رأيت ما قد تندم عليه في المستقبل، ربما رأيت أذكى العقول الإجرامية في هذا العصر. أنا لا أخاف، ولكنكما ما زلتما شابين يافعين، ولا أرغب في أن يقع لكما مكروه."

طمأنته توبينس قائلة: "لن يحدث لنا شيء."

قال تومي: "سأعني بها يا سيدي."

قالت توبينس معترضة على الثقة الرجولية لـ تومي: "أنا من سيعتني بك"

قال السيد كارتر وهو يبتسم: "حسناً، اعتنيا بعضكما بالآخر، وآلان دعونا

نعد للعمل. هناك أمر غريب بشأن مسودة المعاهدة تلك لم نكتشفه بعد. لقد لم

لقد بدا بها - كانت هناك شروط واضحة وصريحة. لقد أعلنت العناصر الثورية أنها لملك مسودة المعاهدة، وأعلنت أنها بصدد نشرها في لحظة محددة. من جهة أخرى، أخطأت العناصر الثورية في ذكر الكثير من بنودها. تعتقد الحكومة في هذا الأمر مجرد خداع من جانبهم، والتزمت بسياسة الإنكار التام، سواء كانت صحيحة أم خاطئة. أنا لست واثقاً من هذا. هناك بعض التلميحات والإشارات العنصرية التي تشير إلى أن الأمر حقيقي. إن الوضع يشبه كما لو كنت تمتلك وثائق لـ دين شخصاً ما، ولكنك لم تستطع قراءتها لأنها مشفرة - ولكننا نعلم أن مسودة المعاهدة لم تكن مشفرة - لم تكن هناك حاجة لذلك - لذا لم ينطَل الأمر علينا. ولكن هناك أمراً ما، قد تكون جاين فين قد توفيت - ولكني لا أعتقد ذلك. الأمر الغريب هو أنهم يحاولون أن يحصلوا على معلومات عن الفتاة منا".

قالت توبينس: "ماذا؟"

قال كارتر: "نعم، فقد طرأ أمر أوثان، وكذلك قصتك تؤكد الأمر. إنهم يحاولون أن نبحث عن جاين فين. حسناً، سيحاولون أن يوجدوا جاين فين خاصة بهم - ربما في مدرسة داخلية في باريس"، شهقت توبينس وابتسم السيد كارتر وقال: "لا أحد يعلم كيف تبدو تلك الفتاة، لذا فلا بأس من هذا. ستكون مسلحة بحسبة بطولية، ولكن غرضها الحقيقي هو الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات منا. هل فهمت؟"

أوقفت توبينس للحظات لتستوعب الأمر بأكمله ثم قالت: "هل تعتقد أنهم كانوا سيرسلونني إلى باريس على أنني جاين فين؟"

قالت ابتسامة السيد كارتر تبدو مرهقة أكثر من ذي قبل وهو يقول:

"أنا أو من بالمصادفات، كما تعلمين."

أملت توبينس حاجبها في عدم فهم.

فأبغ كارتر حديثه قائلاً: "عندما التقيت بهذا المدعو ويتنجتون، كان أمامهم الكثير من الوقت ليتمكنوا من التصرف. لقد وصلتني بعض المعلومات عن حدوث انقلاب كبير مخطط له أن يحدث في وقت مبكر من العام الجديد، وليس الحكومة فكرت ملياً في أعمال تشريعية من شأنها أن تتعامل بفاعلية مع التهديدات بالإضرابات، مما سيمنعهم من اكتشاف ما يحدث، إن لم يكونوا قد فعلوا بالفعل، ومن المحتمل أن يوصلهم هذا إلى العقل المدبر. أمل هذا. كلما في الوقت المستغرق لتنفيذ مخططاتهم، كان ذلك أفضل. إنني أنيهما فقط إلى أنهما لا تمتلكان الكثير من الوقت، وألا تشعرنا بالإحباط إذا ما فشلنا. إنه ليس بالمرض السهل على أية حال".

نهضت توبينس واقفة وقالت:

"أعتقد أنه يجب علينا أن نتصرف بطريقة عملية. ما الذي يمكننا الاعتماد عليه، فيه يا سيد كارتر؟"

ارتعشت شفنا السيد كارتر قليلاً ولكنه قال باقتضاب:

"تمويل في حدود المعقول، معلومات مفصلة عن أية نقطة ترغبونها، ولكن بدون أي قرار رسمي بعملكم معي، بمعنى أنه إذا ما تورطنا في مشكلات مع الشرطة، فلن يمكنني مساعدتكم بشكل رسمي. إنكما بمفردكما في هذا الأمر".

أومات توبينس برأسها وقالت:

"أنا أتفهم هذا. سأدون قائمة بالأمر التي أرغب في معرفتها إذا ما توافر لي وقت للتفكير، والآن، بالنسبة للمال —"

قال السيد كارتر: "نعم، آنسة توبينس. هل ترغبين في تحديد مبلغ معين؟"

قالت توبينس: "ليس بالتحديد. إننا نمتلك بعض المال الذي سيكفيها في الوقت الحالي، ولكن إذا ما احتجنا إلى المزيد —"

قال السيد كارتر: "سأكون في انتظاركما".

الخامس

السيد جوليس بي. هيرشايمر

قالت توبينس وهي تجمع شتات نفسها: "حسنًا، يبدو أن القدر قد وضعنا على هذا الطريق".

أوما كارتر برأسه موافقًا وقال:

"أعلم ما قصدينه، إنني أؤمن بالقدر أنا أيضًا - الحظ وأمور من هذا القبيل. يبدو أن القدر قد اختاركمَا لتتورطا في هذا الأمر".

غرق تومي في الضحك وقال:

"يا إلهي، لا أعجب من ثورة ويتنجتون الشديدة عندما سمع توبينس تتلصص بالاسم، كنت سأفعل المثل لو كنت في مكانه، ولكن اسمع يا سيدي، إننا نضيق الكثير من وقتك، هل توجد أية تعليمات ترغب في توجيهها إلينا قبل أن نغادر؟"

قال كارتر: "لا أعتقد هذا. إن الخبراء الذين يعملون معي، والذين يعملون بطريقة مكررة، فشلوا في تحقيق أي نجاح. ربما يمكنكما أن تتعاملتا مع تلك المهمة بسعة الخيال والافتتاح. لا تشعرنا بالإحباط إذا لم تحققا النجاح أنتم أيضًا، حيث إن هناك احتمال أن تُجبرا على مواكبة سرعة الأحداث".

أطاعها السيد بيريسفور.

فأ قالت: "آه، هذا يكفي، نعم، إننا لا نحلم. لقد حصلنا على عمل".

قال تومي: "ويا له من عمل! إن المغامرة المشتركة قد بدأت بالفعل".

قالت توبينس: "إنه عمل محترم أكثر مما كنت أتخيل".

قال تومي: "لحسن الحظ، لم تنتقل لي عدوى اشتياقك لارتكاب الجرائم.

ما الساعة الآن؟ دعينا نتناول الغداء - أوه".

طُرأت الفكرة ذاتها على عقليهما، فقال تومي أولاً: "جوليوس بي. هيرشايمر".

قالت توبينس: "إننا لم نخبر السيد كارتر به".

قال تومي: "حسناً، لا تعلم الكثير عنه لنخبر به السيد كارتر - ليس حتى

أنا، هيا، من الأفضل أن نستقل سيارة أجرة".

قالت توبينس: "من المسرف الآن؟".

قال تومي: "أتذكرين؟ هناك من يتحمل جميع مصروفاتنا. هيا اركبي".

قالت توبينس وهي تضطجع للخلف في أناقفة: "على أية حال، من الأفضل أن

نصل إلى هناك بهذه الطريقة. أنا واثقة من أن المبتزين لا يستقلون الحافلات".

وضع لها تومي الأمر قائلاً: "إننا لم نعد مبتزين".

قالت توبينس بغموض: "لا أعتقد هذا".

عندما سالا عن السيد هيرشايمر، تم اصطحابهما على الفور إلى جناحه،

وسمعا صوتاً غير صبور يقول: "تفضلاً بالدخول"، عندما طرق الساعي الباب،

والذي تنحى جانباً ليسمح لهما بالدخول.

كان السيد جوليوس بي. هيرشايمر أصغر سناً بكثير من الصورة التي رسمها

ال من تومي وتوبينس في مخيلتهما، فقد قدرت توبينس عمره بأنه في الخامسة

والثلاثين تقريباً. كان رجلاً متوسط الطول عريض المنكبين بما يتناسب مع

فقه العريض. كانت ملامحته تحمل بعض العدوانية ولكنها تحمل قدراً من

الوسامة. كان يبدو أنه من المؤكد أن يكون أميريكياً، على الرغم من تحدته ولكنه

ضعيف، حين قال: "هل وصلتكما رسالتني؟ أخبراني بكل ما تعرفانه عن ابنة

قالت توبينس: "نعم، ولكن - لا أرغب في أن أتحدث بوقاحة عن الحكومة أمامك، ولكنك تعلم أن المرء يقضي الكثير من الوقت حتى يحصل على أي شيء منها، وإذا ما كان علينا أن نملأ استمارة زرقاء ونرسلها للموظف المختص الذي سيرسل لنا واحدة أخرى خضراء بعد ثلاثة أشهر، وهكذا دواليك - حسناً، فإن هذا لن يفيدنا كثيراً، أليس كذلك؟".

ضحك السيد كارتر وقال:

"لا تقلقي يا آنسة توبينس. سترسلين طلباً شخصياً إليّ هنا، وسيُرسل لك المال نقداً عبر البريد. أما بالنسبة للراتب، ما رأيكما في ثلاثمائة جنيه كل عام؟ والمبلغ ذاته للسيد بيريسفور بالطبع".

ابتسمت له توبينس وقالت:

"هذا رائع، يا لك من رجل كريم. أنا أحب المال! سأدون جميع مصروفاتنا - الدائن والمدين، والفرق بينهما على الجانب الأيمن، وسأرسم خطاً أحمر واتجاهين مع وضع المجموع في الأسفل. أنا أعلم كيف يمكنني القيام بهذا عندما أفكر فيه".

قال السيد كارتر: "أنا على ثقة من ذلك، حسناً، إلى اللقاء، وحظاً سعيداً". ثم صافحهما، وفي الدقيقة التالية، كانا يهبطان الدرج خارجين من المنزل رقم ٢٧ في مجمع كارشالتون السكني وكانا يبدوان كما لو كانا مصابين بالدوار. قالت توبينس: "تومي، أخبرني على الفور، مَنْ يكون السيد كارتر؟".

همس لها تومي بالاسم في أذنها.

فقالت توبينس مبهورة: "يا إلهي".

قال تومي: "ويمكنني أن أقول لك يا عزيزتي إنه —"

قالت توبينس مرة أخرى: "يا إلهي، إنه يعجبني، وأنت أيضاً، أليس كذلك؟ إنه يبدو مرهقاً ومتململاً للغاية، ولكنك تشعر بأنه تحت هذا المظهر هناك رجل صلب، وصارم وحاد الذكاء"، ثم وثبتت وهي تقول: "الكزني يا تومي، الكزني، لا يمكنني أن أصدق أنني لا أحلم".

عمتي".

قالت توبينس: "ابنة عمك؟".

قال جوليوس: "نعم، جاين فين".

قالت توبينس: "هل هي ابنة عمك؟".

وضع لها السيد هيرشايمر الأمر قائلاً: "والدي ووالدتها كانا أخوين".

صاحت توبينس قائلة: "أوه، إذن، هل تعرف أين هي؟".

قال السيد هيرشايمر وهو يضرب سطح الطاولة بقبضته: "لا، اللعنة علي إن كنت أعرف مكانها، أليس كذلك؟".

قالت توبينس بحدة: "لقد نشرنا إعلاننا بغرض الحصول على المعلومات وليس من أجل تقديمها".

قال السيد هيرشايمر: "أعتقد أنني أدرك هذا، فأنا أعرف القراءة، ولكني اعتقدت أنه ربما كنتم تبحثان في تاريخها الماضي، وأنكما تعرفان أين هي الآن".

قالت توبينس بحذر: "حسناً، ربما لا يكون لديك مانع في إخبارنا بتاريخها الماضي".

ولكن بدا أن ارتياب السيد هيرشايمر قد تزايد بشكل مفاجئ فقال:

"اسمعي. إننا لسنا في صقلية، لا توجد أية فدية أو تهديد بقطع أذنيها إذا ما رفضت دفعها. إننا هنا في الجزر البريطانية، لذا توقفي عن العبث معي، وإلا سأطلب رجل الشرطة البريطاني الوسيم هذا الذي يسير في شارع بيكاديللي".

أسرع تومي بشرح الأمر له قائلاً:

"إننا لم نختطف ابنة عمك، بل على النقيض، إننا نحاول إيجادها. لقد تم إسناد هذا العمل لنا".

اتكأ السيد هيرشايمر في جلسته.

وقال باقتضاب: "أخبرني بالأمر".

لم يتمكن تومي من التملص من هذا الطلب، لذا أعطاه نسخة منمقة من بطاقة اختفاء جاين فين، واحتمالية أن تكون قد تورطت، بدون وعي منها، في بعض الصراعات السياسية". قدم نفسه وتوبينس على أنهما "كلاء تحقيقات خاصة" تم إسناد مهمة العثور عليهما إليهما، وأضاف بأنهما سيكونان سعيدين بآية معلومات قد يقدمها لهما السيد هيرشايمر.

وأما الرجل النبيل برأسه موافقاً.

وقال: "أعتقد أن الخطأ خطئي، لقد كنت متسرعاً في الحكم عليكما، ولكن لندن تضايقتني كثيراً، فأنا لم أغادر نيويورك من قبل. اطرحا أسئلتكما وسأجيب عليهما".

في تلك اللحظة تجمد المفامران الشابان، ولكن جمعت توبينس رباطة ألسنها، وبدأت بطرح الأسئلة بجرأة اكتسبتها من قراءة الروايات البوليسية:

"متى كانت آخر مرة رأيت فيها القتيلة - أقصد ابنة عمك؟".

أجابها السيد هيرشايمر: "أنا لم أرها في حياتي".

قال تومي بدهشة شديدة: "ماذا؟".

نظر السيد هيرشايمر إليه وقال:

"لا يا سيدي، كما قلت من قبل كان والدي ووالدتها أخوين، كما يمكن أن يحدث في عائلتك - لم يحاول تومي تصحيح هيئة علاقتهما - ولكنهما لم يولوا على وفاق دائماً. عندما قررت عمتي أن تتزوج من أموس فين، الذي كان مجرد مدرس فقير من الغرب، جن جنون أبي، وقال إنه إن كون ثروة كبيرة، فإنها إن تحصل على سنت منها، وكانت النتيجة أن عمتي جاين ذهبت للغرب ولم تعرف شيئاً عنها منذ ذلك الحين".

وبالفعل، تمكن والدي من تكوين ثروة ضخمة، فقد بدأ العمل في مجال البترول والحديد والصلب وعمل قليلاً في السكك الحديدية، ويمكنني أن أقول لك أنه من أقام شارع وال ستريت"، ثم توقف عن الحديث قليلاً وعاد ليقول: "ثم مات - الخريف الماضي - وورثت أنا كل ثروته، ولكن، استيقظ ضميري، فقد ظل يؤرقني ويقول: ماذا عن عمك جاين التي تعيش في الغرب؟ لقد أرقتني

ذلك كثيراً. اعتقدت أن أموس فين لم يتمكن قط من تكوين ثروة، حيث إنه لم يكن من هذه النوعية من الناس. في النهاية استأجرت رجلاً لبحث عنها، وعلم أنها ماتت، وأن أموس فين قد مات، ولكنهما تركا خلفهما ابنة - جاين - التي تم إطلاق الطوربيد على السفينة لوزيتانيا التي كانت تستقلها في طريقها إلى باريس. لقد تم إنقاذها، ولكن لم يعرف أي شخص أي شيء عنها منذ ذلك الحين. اعتقدت أن السلطات هنا لم تبذل الجهد الكافي لإيجادها، لذا فكرت في الحضور وأحاول أن أسرع من الأمور. لقد اتصلت بشرطة سكوتلانديارد وديوان البحرية الملكية في البداية. ردني ديوان البحرية الملكية خائباً، في حين كانت شرطة سكوتلانديارد متحذرة للغاية - قالوا إنهم سيقومون بالتحقيق في الأمر، حتى إنهم أرسلوا لي رجلاً هذا الصباح ليحصل على صورتها. سأسافر إلى باريس غداً لأرى ما تفعله السلطات هناك بهذا الشأن، فأنا أعتقد أنني إن ذهبت إلى هناك وتعاملتهم فربما يهتمون بالأمر".

كانت حيوية السيد هيرشايمر هائلة مما زاد من احترامهما إياه.

اختتم السيد هيرشايمر حديثه قائلاً: "يجد بري القول الآن، إنكما لا تحاولان العثور عليها من أجل شيء محدد، أليس كذلك؟ من أجل أمر فعلته مخالف للقانون أو أمر لا يفهمه سوى البريطانيين؟ إن الفتاة الأمريكية الضخورة بذاتها قد تجد قواعدهم وقوانينكم في حالة الحرب مزعجة، وربما تنهض لتتحدىها. إذا كان الأمر على هذا المنوال، وكان هناك أمر ما مثل الرشوة في هذه البلاد، فسأقوم بدفعها عن طيب خاطر".

طمأنته توبينس قائلة:

"هذا جيد، يمكننا إذن أن نعمل معاً. ماذا عن تقديم الغداء لنا؟ هل يمكننا تناوله هنا في جناحك أم نهبط لتناوله في المطعم؟".

لمحت توبينس لتفضيلها للخيار الثاني واتفق معها جولويس في القرار الذي اتخذته.

كان طابق المحار قد أخذ مكانه بجانب طابق صوص سول كوبرت على الطاولة عندما وصلت بطاقة تعريف إلى السيد هيرشايمر الذي قال:

"المحقق جاب، كبير محققين آخر من سكوتلانديارد. رجل مختلف هذه المرة. ماذا قد يتوقع هذا الشخص أن أقول له ولم أقله للرجل الأول؟ أمل ألا يكونوا قد أضاعوا تلك الصورة. إن أستوديو التصوير الذي التقطت فيه الصورة في الغرب الأمريكي قد أُحرق ودمرت جميع الأفلام السلبية التي كان يحتويها - إنها الصورة الوحيدة التي أملكها. لقد حصلت عليها من رئيس الكلية التي كانت تدرس بها هناك".

شهرت توبينس بشعور مبهم بالقلق فقالت:

"هل تعلم اسم الرجل الذي حضر هذا الصباح؟".

قال السيد هيرشايمر: "نعم، أعلمه. لا، لا أعلمه. أمهليني ثانية. لقد كان الاسم مكتوباً على بطاقته. آه، لقد تذكرت. المحقق براون. شاب بسيط للغاية".

كانت نتيجة هذه العلاقات الجديدة أن تومي وتوبينس اتخذوا من فندق الريتز
الفرع مكان إقامة لهما لكي - كما قالت توبينس - يظلوا على اتصال مع آخر
معارف جاين فين الأحياء، حيث أضافت لـ تومي قائلة في صوت منخفض: "بهذه
الطريقة لن يناقشنا أحد في المصروفات".

ولم يفعل أحد، الأمر الذي كان رائعاً.

قالت الفتاة الشابة في الليلة التالية لتعيينهما: "والآن، إلى العمل".

نحى السيد بيريسفورد جريدة *الديلي ميل* التي كان يقرأها، وصفق بحبور
غير ضروري، فطلبت منه زميلته بأدب ألا يكون أحمق، حيث قالت:

"دعك من كل هذا يا تومي، يجب أن نفعل شيئاً ما مقابل ما نحصل عليه
من أموال".

تهد تومي وقال:

"نعم، أخشى أنه حتى الحكومة العزيرة لن ترضى ببقائنا في فندق الريتز
الأيدي".

قالت توبينس: "لهذا السبب أقول لك إنه علينا أن نفعل شيئاً ما".

قال تومي وهو يمسك بجريدة *الديلي ميل* مرة أخرى: "حسناً، هيا، لن
أمنحك".

تابعت توبينس حديثها قائلة: "اسمع، لقد كنت أفكر—"

قطع حديثها وصلة جديدة من التصفيق.

قالت: "إنك مسرور بجلوسك ها هنا لتتصرف بشكل فكاخي يا تومي. لن
يعضرك أن تفكر في الأمر قليلاً".

قال تومي: "نقابتي يا توبينس هي السبب. إن النقابة لا تسمح لنا بالعمل قبل
الحادية عشرة صباحاً".

قالت توبينس: "تومي، هل تريد أن أقذف عليك شيئاً ما؟ من الضروري،
بدون أي احتمال للتأخير، أن نضع خطة محكمة لأداء مهمتنا".

قال تومي: "حسناً".

السادس

التخطيط للمهمة

كشفت أحداث نصف الساعة التالية النقاب عن الكثير من الحقائق. يكفي القول
إنه لم يكن هناك شخص يُدعى المحقق براون في شرطة سكوتلانديارد، وأن
صورة جاين فين التي كانت ستفيد الشرطة كثيراً في مهمة البحث عنها قد
فُقدت دون رجعة. لقد انتصر السيد براون مرة أخرى.

كان لهذه العقبة تأثير إيجابي فوري على التقارب بين السيد هيرشايمر
والمغامرين الشابين، فقد سقطت جميع الحواجز التي كانت تفصل بينهم، وشعر
كل من تومي وتوبينس بأنهما يعرفان هذا الشاب الأمريكي طوال عمريهما، لذا
فقد تخليا عن انتحال شخصية "وكلاء التحقيقات الخاصة"، وأماطوا اللثام عن
القصة الكاملة للمغامرة المشتركة، حيث أعلن الشاب أنه قد "يضحك حتى
الموت".

في نهاية الحديث، التفت الشاب نحو توبينس وقال:

"لطالما راودتني فكرة أن الفتيات الإنجليزيات مكسوات بالطحالب
محافظات وفاتنات، ولكنهن يخفن من التحرك بمفردهن بدون اصطحاب أحد
الخدم أو عمه عائس. أعتقد أن هذا الوقت قد ولى".

قالت توبينس: "لنبدأ في وضعها إذن".

وضع تومي الجريدة جانباً أخيراً وقال: "إنك تتمتعين بقدر كبير من الذكاء يا توبينس، هيا، كلي أذان مصغية".

قالت توبينس: "بادئ ذي بدء، ماذا نملك في الوقت الحالي؟".

قال تومي: "لا شيء على الإطلاق".

قالت توبينس وهي تلوح بإصبعها: "خطأ. إننا نملك دليلين مختلفين".

قال تومي: "وما هما؟".

قالت توبينس: "الدليل الأول هو أننا نعرف أحد أفراد العصاية".

قال تومي: "ويتنجتون؟".

قالت توبينس: "نعم، يمكنني أن أعرفه إذا رأيته".

قال تومي متشككاً: "لا يمكنني أن أطلق على هذا الأمر دليلاً. إنك لا تعرفين أين تبحثين عنه، وهناك احتمال ضئيل للغاية أن تلتقيه بالمصادفة".

قالت توبينس: "لست واثقة من هذا، لطالما لاحظت أنه بمجرد أن تبدأ المصادفات في الحدوث، فإنها تستمر بالحدوث بطرق استثنائية. أعتقد أن هذا أحد مبادئ علم الطبيعيات التي لم نكتشفها بعد. ولكن، كما قلت، لا يمكننا الاعتماد على هذا الأمر كدليل، ولكن هناك بعض الأماكن في لندن يجب أن يظهر فيها الجميع إن أجلاً أو عاجلاً - سيرك بكاديللي على سبيل المثال. فكرتني هي أنني سأقف هناك كل يوم حاملة بعض الأعلام".

سألها تومي: "وماذا عن الطعام؟".

قالت توبينس: "يا لك من رجل! فيم يهمننا الطعام حالياً؟".

قال تومي: "يهمننا كثيراً. لقد تناولت الكثير من الطعام على الإفطار. لا يوجد على وجه الأرض من يمتلك مثل شهيتك للطعام يا توبينس، وبحلول وقت الشاي ستكونين قد التهمت الأعلام والدبابيس وكل شيء، ولكن، صراحة، لا تعجبني هذه الفكرة، فربما يكون ويتنجتون قد رحل عن لندن".

قالت توبينس: "هذا صحيح. على أية حال، أعتقد أن الدليل الثاني سيكون أفضل".

قال تومي: "أخبريني به".

قالت توبينس: "إنه ليس بالأمر الصعب، مجرد اسم - ريتا. لقد ذكر ويتنجتون هذا الاسم في أثناء لقائنا".

قال تومي: "هل ترغبين في نشر إعلان آخر يقول: مطلوب محتالة اسمها ريتا؟".

قالت توبينس: "بالطبع لا، بل أحاول أن أفكر في الأمر بطريقة منطقية. هذا الرجل دافرنز، تم تتبعه طوال رحلته، أليس كذلك؟ ومن الأكثر ترجيحاً أن يكون من تتبعه امرأة وليس رجلاً —"

قال تومي: "لا يمكنني تأكيد هذا".

قالت توبينس: "أنا واثقة من أن من تتبعه امرأة، وامرأة جميلة أيضاً".

قال تومي: "في مثل هذه الأمور التقنية، لا يسعني سوى الانحناء لك احتراماً".

قالت توبينس: "يبدو أن هذه المرأة، أيًا كانت، قد نجت من الحادثة".

قال تومي: "كيف تقين في هذا؟".

قالت توبينس: "إن لم تكن قد نجت، فكيف عرفوا أن جاين فين قد حصلت على الوثائق؟".

قال تومي: "صحيح، أكملني يا شيرلوك".

قالت توبينس: "أعتقد أن هناك فرصة، مجرد فرصة، أن تكون هذه المرأة هي ريتا".

قال تومي: "وماذا لو كانت هي؟".

قالت توبينس: "إذا كانت هي، فعلينا أن نبحث في قوائم الناجين من لوزيتانيا حتى نعثر عليها".

قال تومي: "إذن، علينا أولاً أن نحصل على قائمة الناجين من السفينة الغارقة".

قالت توبينس: "لقد حصلت عليها. لقد كتبت لائحة طويلة بالأمور التي أُرغب في معرفتها وأرسلتها للسيد كارتر، وقد وصلني رده هذا الصباح، ومن بينها القائمة الرسمية بأسماء الناجين من السفينة لوزيتانيا. ما رأيك في توبينس الماهرة؟".

قال تومي: "أعطيك الدرجة النهائية في الحرفية وصغراً في التواضع، ولكن الأمر المهم هو، هل يوجد اسم ريتا بين قوائم الناجين؟".

أقرت توبينس قائلة: "هذا ما لا أعلمه".

قال تومي: "لا تعلمين؟".

قالت توبينس: "نعم، انظر"، وانحنى كلاهما على القائمة وقالت توبينس: "هناك عدد قليل من الأسماء الأولى هنا، جميعها تقريباً أسماء عائلات".

أوما تومي برأسه موافقاً.

وقال: "لقد زاد الأمر تعقيداً".

هزت توبينس رأسها بطريقتها المعتادة التي تشبه طريقة الكلاب وقالت: "حسناً، سيكون علينا أن نعرف من هي، هذا كل ما في الأمر. حدد فقط جميع عناوين النساء اللواتي يسكن في لندن أو حولها بينما أرتدي أنا قبعتي".

بعد خمس دقائق كان الشبان قد خرجوا إلى شارع بيكاديلي، وبعد لحظات كانا قد استقلا سيارة أجرة متوجهين نحو منزل لوريلز رقم ٧ بشارع جليندور، حيث تسكن السيدة إدجار كيث التي حل اسمها على رأس القائمة المكونة من سبعة أسماء دونها تومي في مفكرته.

كان منزل لوريلز منزلاً قديماً، وكانت تحيط به بعض الشجيرات المتسخة تعطي مظهر الحديقة الأمامية. دفع تومي أجرة السيارة، وسار بجانب توبينس صولاً إلى جرس الباب، وبينما كانت على وشك قرع الجرس، أمسك تومي بيدها قائلاً: "بم ستخبرينها؟".

قالت توبينس: "بم سأخبرها؟ سأقول - يا إلهي، لا أعلم، يا له من أمر مزعج".

قال تومي برضا: "لقد فكرت في الأمر. يا لك من امرأة! إنك لا تملكين بعد نظر على الإطلاق. تنحي جانباً، وشاهدي كيف يتعامل الرجال في مثل هذه المواقف"، ثم قرع جرس الباب، وتحت توبينس جانباً.

فتحت الباب خادمة قدرة ذات وجه قذر وكانت حولاء.

أخرج تومي مفكرة وقلماً.

وقال: "صباح الخير، نحن من مجلس مقاطعة هامبستيد، ونعمل على سجلات التصويت الجديدة. هل تسكن السيدة إدجار كيث هنا؟".

قالت الخادمة: "نعم".

قال تومي وهو يبرز قلمه الرصاص: "ما هو اسمها الأول من فضلك؟".

قالت الخادمة: "السيدة؟ إليانور جاين".

قال تومي: "إليانور. هل هناك أي أبناء قد تخطوا العشرين عاماً؟".

قالت الخادمة: "لا".

أغلق تومي مفكرته بصوت عالٍ وقال: "شكراً لك، عمت صباحاً".

عبرت الخادمة عن أول تعليق لها وقالت:

"لقد اعتقدت أنكما قد أتيتما من أجل الغاز"، ثم أغلقت الباب.

عاد تومي إلى زميلته وقال:

"هل رأيت كيف يبلي الرجال عندما يفكرون في الأمر".

قالت توبينس: "لا أمانع في الاعتراف بأنك قد تصرفت على نحو رائع. إنني لم أفكر في هذا أبداً".

قال تومي: "تمثيلية جيدة، أليس كذلك؟ ويمكننا تكرارها مراراً وتكراراً".

بحلول وقت الغداء، كان الشبان يلتهمان شرائح اللحم والبطاطس المقلية بشراهة في أحد المطاعم، وكانا قد استعلما عن كل من جلاديس ماري ومار جوري، ولكن حيرهما أن إحداهما كانت قد انتقلت من مسكنها، واضطرا

إلى الاستماع إلى محاضرة طويلة عن نظام الاقتراع الشامل من امرأة أمريكية مفعمة بالنشاط، التي كان اسمها الأول سادي.

قال تومي وهو يرتشف رشفة طويلة من شرابه: "أشعر بأنني في حال أفضل إلى أين سذهب بعد ذلك؟"

كانت المفكرة موضوعة على الطاولة بينهما، فالتقطتها توبينس وقالت: "السيدة فينديماير، المنزل رقم ٢٠ عمارات ساوث أودلي السكنية. الأنسة ويلز، المنزل رقم ٤٣ شارع كلابينجتون، حي باتريسيا. إنها خادمة على ما أتذكر، لذا ربما لا تكون متواجدة في هذا العنوان، على أية حال من غير المرجح أن تكون هي."

قال تومي: "إذن فإن السيدة الأنثى هي محطتنا التالية".

قالت توبينس: "تومي، لقد بدأت أشعر بالإحباط".

قال تومي: "تشجعي يا عزيزتي. لطالما عرفنا أن فرصنا في النجاح ضئيلة. وعلى أية حال، لقد بدأنا للتو. إذا لم نحالفنا الحظ في لندن، فهناك الكثير من الأسماء التي تعيش في أنحاء أخرى من إنجلترا، وكذلك إسكتلندا وأيرلندا".

قالت توبينس وهي تستعيد معنوياتها العالية: "هذا صحيح. كما أن هناك من يتحمل جميع مصروفاتنا، ولكنني يا تومي أحب أن أحصل على نتائج سريعة. حتى الآن، نجحت المغامرة في أن تكون مغامرة، ولكن هذا الصباح كان كثيباً للغاية".

قال تومي: "يجب أن تكبتي لهفكت السوقية تلك، تذكرني أن السيد براون رجل خطير للغاية، ومن العجيب أنه لم يقتلنا حتى الآن. إنها جملة جميلة، بها حس أدبي جيد".

قالت توبينس: "إنك أكثر مني غروراً - ولكن بدون مهارة تُذكر. ولكن الأمر الغريب بالفعل هو أن السيد براون لم ينتقم منا حتى الآن (أترى، يمكنني أن أكون جملة جميلة مثلما فعلت). إننا نواصل طريقنا دون أن نصاب بأذى".

قال تومي: "ربما كان يعتقد أننا لا تشكل أية خطورة".

اعترضت توبينس على عبارته بشدة قائلة:

"يا لك من مزعج، يا تومي، كما لو أننا لسنا في حسابان أحد".

قال تومي: "أسف يا توبينس، ولكن ما كنت أعنيه هو أننا نعمل في الخفاء وأنه لا يرتاب فيما فعله، هاها".

حاكت توبينس كلماته الأخيرة وهي تنهض واقفة: "ها، ها".

كانت عمارات ساوث أودلي السكنية عمارات فخمة بالقرب من طريق المتنزه، وكانت الشقة رقم ٢٠ تقع في الطابق الثاني.

كان تومي في تلك اللحظة قد أصبح متمرساً في لعب دوره، حيث كان يتحدث بثقة مع امرأة مسنة كانت تبدو مديرة منزل أكثر من كونها خادمة، والتي كانت قد فتحت الباب له، حيث قال:

"الاسم الأول من فضلك؟"

قالت السيدة: "مارجريت".

بدأ تومي في تهجئة الاسم عندما أوقفته السيدة قائلة:

"مارجريت".

قال تومي: "مارجريت، بالنطق الفرنسي، لقد فهمت"، ثم توقف قليلاً عن الحديث، وتابع حديثه بجرأة قائلاً: "لقد دون هنا أن اسمها ريتا فاندراير، ولكنني أعتقد أن هذا صحيح؟".

قالت السيدة: "إنها عادة ما يُطلق عليها هذا الاسم، ولكن مارجريت هو اسمها الحقيقي".

قال تومي: "شكراً جزيلاً، هذا كل شيء، وداعاً".

تمالك تومي نفسه بصعوبة، وهبط الدرج مسرعاً ووصل إلى حيث كانت توبينس تنتظره على حافة الدرج وقال:

"هل سمعت؟"

قالت توبينس: "نعم يا تومي".

ضغط تومي على ذراعها في شفقة وقال:

"أنا أعلم يا عزيزتي، فأنا أشعر بمثل ما تشعرين".

صاحت توينيس بحماس: "من الجيد أن تفكر في الأمر - ثم يتحقق ما خططت له تمامًا".

كانت يدها لا تزال في يد تومي إلى أن وصلا إلى مدخل المبنى، وكان هناك صوت خطوات وأصوات تأتي على الدرج من الطابق الذي يعلوهما.

فجأة، ولدهشة تومي، جذبته توينيس داخل فراغ صغير مظلم بجانب المصعد، فقال تومي:

"ما الأمر —"

قالت توينيس: "صه!".

هبط رجلان الدرج ومرا من أمامهما وخرجا من مدخل المبنى، وضغطت توينيس بيدها على ذراع تومي بشدة وهي تقول:

"أسرع - اتبعهما. أنا لا يمكنني هذا، فربما يعرفني. أنا لا أعرف من الرجل الآخر، ولكن الرجل الأضخم هو ويتنجتون".

السابع

منزل في سوهو

كان ويتنجتون والرجل الذي معه يسيران بسرعة. بدأ تومي في تتبعهما على الفور، حيث رآهما في ذلك الوقت يدوران حول ناصية الشارع. سرعان ما مكنته خطواته النشطة من أن يلحق بهما، وفي اللحظة التي وصل فيها إلى ناصية الشارع، كانت المسافة بينهما قد تقلصت إلى حد كبير. كانت الشوارع الصغيرة مليئة بالمشاة من المارة، وقرر أن يحتفظ بمسافة معقولة بينه وبينهما.

كان الأمر جديدًا على تومي، فعلى الرغم من أنه قد اطلع على بعض تقنيات التتبع من الروايات البوليسية، إلا أنه لم يحاول من قبل أن "يتتبع" شخصًا ما على أرض الواقع، وبدا له الأمر على الفور، عند ممارسته على أرض الواقع، محققًا بالصعوبات. ماذا لو استقلا سيارة أجرة بشكل مفاجئ؟ في الروايات، كل ما على البطل فعله هو أن يقفز في سيارة أجرة أخرى، وأن يعد السائق بجنيته ذهبي - أو ما يعادله في العصر الحديث - وتبدأ الملاحقة. على أرض الواقع، الواقع تومي أنه من غير المرجح أن يتمكن من العثور على سيارة أجرة أخرى، لذا سيكون عليه أن يعدو خلف سيارتهما. ماذا قد يحدث على أرض الواقع إذا ما قام بساب بالعدو في شوارع لندن بمثابرة بدون انقطاع؟ قد يأمل أن يترك انطباعًا،

في الشوارع الرئيسية، بأنه يبدو للحاق بالحافلة، ولكن في هذه الشوارع الجانبية الأرستقراطية، من المتوقع أن يوقفه أحد رجال الشرطة ليستطلع سبب عدوه، عندما راودته هذه الأفكار، رأى تومي سيارة أجرة راقعة العلم الذي يدل على أنها خالية من الركاب تدور حول ناصية الشارع أمامه، فحبس تومي أنفاسه وفكر في نفسه، هل سيوقفهاها؟

تتهدد تومي في راحة عندما لم يلتفت الرجلان لها. كان مسارهما المتعرج مصمماً لأن يوصلهما بسرعة إلى شارع أوكسفورد. عندما رآهما من بعيد يستديران للدخول إلى شارع أوكسفورد ويتوجهان نحو الشرق، زاد تومي من سرعته ليلحق بهما. على الرصيف المزدهج، كان من غير المرجح أن يلتفت وجود تومي انتباههما، وكان يسعى لأن يسمع بعضاً من كلمات محادثتهما، ولكنه لم يتمكن من هذا؛ فقد كانا يتحدثان بصوت منخفض، كما أن ضوء السيارتين كانت أعلى كثيراً من صوتهما.

قبل أن يصلا إلى محطة قطار الأنفاق بشارع بوند، عبرا الطريق إلى الجهة الأخرى، وعبر تومي هو الآخر الطريق بدون أن يلاحظاه، ودخل مقهى ليونز الكبير، حيث كان الرجلان قد صعدا إلى الطابق الأول وجلسا إلى إحدى الطاولات الصغيرة بجوار النافذة. كان الوقت متأخراً وكان المقهى مزدحماً عن آخره. جلس تومي إلى إحدى الطاولات المجاورة لهما واتخذ المقعد الذي يقع خلف ويتجنبون مباشرة ليقفل من فرص ملاحظته له. مكن له موقعه من أن يفضح الرجل الآخر بدقة. كان الرجل أشقر ذا وجه ضعيف وقبيح، وقد توقع تومي أن يكون إما روسياً أو بولندياً. كان الرجل يبلغ من العمر خمسين عاماً تقريباً، وكانت كفاه تنكمشتان قليلاً عندما يتحدث، وكانت عيناه صغيرتين وماكرتين وكانتا تتحركان في جميع الاتجاهات بدون توقف.

كان تومي قد تناول غداء جيداً، لذا فقد طلب طبقاً من الجبن الأيرلندي المذاب وقدحاً من القهوة. طلب ويتجنبون غداءً ضخماً لنفسه ومن معه، وبعد أن انصرفت النادلة، قام ويتجنبون بسحب مقعده بالقرب من الطاولة وبدأ في التحدث مع الرجل الآخر بجديّة وبصوت منخفض، وانخرط الرجل الآخر معه

في الحديث. لم يتمكن تومي من أن يلتقط من حديثهما سوى بضعة كلمات وفارقة استخلص منها تومي أن الرجل الضخم كان يحاول إقناع الرجل الآخر بأمر ما كان يبدو الرجل الآخر من وقت لآخر غير موافق عليه. كان ويتجنبون ينادي الرجل باسم بوريس.

التقطت أذنا تومي كلمة "أيرلندا" بضعة مرات، وكذلك كلمة "دعاية"، ولكنهما لم يذكرنا جابن فين على الإطلاق. فجأة، هدأت الضوضاء في الغرفة فتمكن تومي من سماع عبارة كاملة قالها ويتجنبون: "آه، ولكنك لا تعرف فلوسي، إنها النعمة للدرجة أن رجل الدين قد يُقسم إنها والدته، إنها قادرة على تقليد الأصوات بدقة في كل مرة، وهذا أمر لا يمكن تجاهله".

لم يتمكن تومي من سماع رد بوريس، ولكن كان رد ويتجنبون على ما قاله بوريس أن قال: "بالطبع - عند الطوارئ فقط..."

ثم فقد تومي مسار الحديث مرة أخرى، ولكن بدأت العبارات تتضح مرة أخرى، إما بسبب أن الرجلين قد بدأ صوتهما يعلو بدون إدراك منهما، أو لأن أذني تومي قد بدأت في الاعتياد على استراق السمع، ولكنه لم يتمكن من تحديد السبب بدقة. كانت هناك كلمتان قد أثارتا كل حواسه، وكان قد قالهما بوريس: "السيد براون".

كان يبدو أن ويتجنبون يعترض عليه، ولكنه ضحك بدون اهتمام وقال:

"ولم لا يا صديقي؟ إنه اسم يحظى بالكثير من الاحترام - كما أنه شائع للغاية. أتم يقيم باختياره لهذا السبب؟ آه، كما أنني أرغب في لقاء السيد براون".

كانت هناك نبذة حادة في صوت ويتجنبون وهو يقول:

"من يعلم؟ ربما تكون قد قابلته بالفعل".

أجاب بوريس بالنبرة ذاتها قائلاً: "هراء، هذا كلام أطفال! إنها قصة قد يصدقها الشرطة. هل تعلم ما أخبر به نفسي في بعض الأحيان؟ أنه مجرد قصة ابتكرتها الجماعة الداخلية - وحش ليخيفنا. ربما يكون كذلك بالفعل".

قال ويتجنبون: "وربما لا".

باعتها، ثم نظر إلى لوحة مواعيد القطارات. كان القطار المتجه إلى بورتموث سيغادر في تمام الثالثة والنصف، وكانت الساعة الآن تشير إلى الثالثة إلا عشر دقائق. كان ويتجتون وبوريس يتحركان جيئة وذهاباً بجانب كشك الكتب. ألقى نظرة خاطفة عليهما ثم أسرع إلى داخل كشك أحد الهاتف العمومية القريبة. لم يمارس بإذاعة الوقت في محاولة العثور على توبيس، فربما كانت لا تزال في الحسي الذي تقع فيه عمارات ساوث أودلي السكنية، ولكن كان هناك حليف آخر، لذلك اتصل هاتفياً بفندق الريتز وطلب التحدث مع السيد جوليوس هيرشايمر. بعد ذلك سمع صوت طقطقة ثم صوت طنين. آه لو كان الأمريكي الشاب في غرفته. سمع بعد ذلك صوت طقطقة أخرى، ثم صوتاً يقول: "مرحباً"، وكانت لغة الصوت مأثوفة على أذني تومي.

قال تومي: "هل أنت هيرشايمر؟ أنا بيريسفورد. أنا في محطة قطار واترلو. كنت أتبع ويتجتون وشخصاً آخر. لا يوجد وقت للشرح. سيغادر ويتجتون إلى بورتموث في الثالثة والنصف. هل يمكنك أن تأتي إلى هنا على الفور؟" كان رد هيرشايمر مطمئناً حيث قال: "سأتي على الفور".

وضع تومي سماعة الهاتف مكانها وهو يتنهد في راحة، فقد كان واثقاً من فكرة جوليوس على الحضور بسرعة معقولة. كان يشعر بأن الأمريكي سيصل في الوقت المناسب.

كان ويتجتون وبوريس لا يزالان في المكان نفسه الذي تركهما فيه تومي قبل قليل. إذا ما انتظر بوريس ليودع صديقه، فإن كل شيء سيسير على خير كما يرام. وضع تومي يده في جيبه بعد ذلك. على الرغم من التصريح المالي المفتوح الذي أعطى له، إلا أنه لم يمتد بعد التجول وهو يحمل مبالغ معقولة من المال. إن شراء تذكرة الدرجة الأولى إلى بورتموث لم تترك معه سوى بضعة جنيهات. بدأ يأمل في أن يصل جوليوس وهو يحمل بعض المال.

في الوقت ذاته، كانت الساعة تقترب من: الثالثة والرابع، الثالثة والثلث، الثالثة والنصف إلا خمس دقائق، الثالثة والنصف إلا ثلاث دقائق. ماذا لو لم

قال بوريس: "إني أتساءل... هل هو موجود بالفعل معنا وبيننا، وأن لا أحد يعرفه سوى قلة مختارة؟ إذا كان الأمر كذلك، فهو بارع في إخفاء سره، كما أن الفكرة جيدة، نعم. لن نعرف هذا أبداً. إننا ننظر لبعضنا ونقول - أحدهما هو السيد براون - من هو؟ إنه يامر - ولكنه يخدم أيضاً. بيننا - وسطننا، ولا يعلم أحد من هو..."

تمكن الرجل الروسي من أن ينزع نفسه من أوهامه بصعوبة، ونظر إلى ساعته.

فقال ويتجتون: "نعم، علينا أن ننصرف الآن".

استدعى ويتجتون النادلة وطلب منها الحساب، وفعل تومي المثل، وبعد لحظات كان يتبع الرجلين هابطاً على الدرج.

في الخارج، أوقف ويتجتون سيارة أخرى، وأخبر السائق بأن يتوجه إلى واترلو.

كانت سيارات الأجرة كثيرة في هذه المنطقة، وقبل أن تبدأ السيارة التي استقلها ويتجتون في الحركة، كان تومي قد أوقف سيارة أخرى وقفز داخلها.

قال تومي للسائق: "أتبع سيارة الأجرة تلك، ولا تجعلها تغيب عن ناظريك". لم يبدِ الاهتمام على السائق الممن، فكل ما فعله هو أن أطلق صوتاً غير مفهوم وقام بإزالة علمه. كانت الرحلة بالسيارة هادئة للغاية، فقد وصلت سيارة الأجرة التي يستقلها تومي إلى محطة القطار بعد سيارة ويتجتون مباشرة. كان تومي يقف خلف ويتجتون أمام شباك حجز التذاكر. قام ويتجتون بحجز تذكرة إلى بورتموث، ففعل تومي مثلهما فعل، وعندما خرج من الطابور، قال بوريس وهو ينظر إلى ساعته: "لقد وصلنا مبكراً، ما زال أمامنا نصف الساعة على موعد القطار".

أيقظت كلمات بوريس سلسلة من الأفكار في عقل تومي، كان من المؤكد أن ويتجتون سيقوم بالرحلة بمفرده، في حين سيبقى الرجل الآخر في لندن، لذا، فقد أصبح أمام خيارين. من الواضح أنه لن يتمكن من ملاقة الرجلين في الوقت ذاته، إلا إذا - فعل في ذلك الوقت مثلهما فعل بوريس، حيث نظر إلى

يصل جوليوس إلى هنا في الوقت المحدد. الثالثة والنصف إلا دقيقة واحدة بدأت أبواب القطار في التخييط استعداداً لتُغلق، وشعر تومي بموجة باردة من الإحباط تجتاح جسده حين شعر بيد توضع على كتفه.

قال جوليوس: "ها أنا ذا. إن ازدحام المرور في لندن يفوق الوصف. أخبرني بالمحتملين اللذين كنت تتحدث عنهما".

قال تومي: "هذا ويتنجتون - هناك، الذي يصعد للقطار الآن، والآخر هو الرجل الأجنبي الذي يتحدث معه".

قال جوليوس: "لقد رأيتهما، من منهما سأتابع؟".

كان تومي قد قرر ما سيفعله إجابة على هذا السؤال.

فقال لـ جوليوس: "هل معك بعض المال؟".

هز جوليوس رأسه نفياً، فامتتح وجه تومي بشدة.

فقال الأمريكي: "أعتقد أنني لا أحمل سوى ثلاثمائة أو أربعمائة دولار أمريكي في الوقت الحالي".

تنهد تومي في ارتياح وقال:

"يا إلهي، أنت مليونير، إنك لا تتحدث لفتي. اصعد إلى القطار، ها هي تذكريك. ستتابع ويتنجتون".

قال جوليوس بحزن وقد بدأ القطار في التحرك بمجرد أن صعد إليه: "أنا سأتابع ويتنجتون، إلى اللقاء يا تومي"، ثم غادر القطار المحطة.

تنهد تومي بعمق. كان بوريس يتوجه نحوه على رصيف محطة القطار، فتركه تومي يمر ثم بدأ في ملاحظته مرة أخرى.

من محطة وأترلو، استقل بوريس قطار الأنفاق حتى شارع سيرك بيكاديلي، ثم توجه سيراً على الأقدام نحو شارع شافتنسيري، ثم دخل متاهة من الشوارع الجانبية التي تحيط بـ سوهو. كان تومي يتبعه من مسافة معقولة.

وصلاً بعد ذلك إلى ميدان متهدم، وكانت المباني في تلك المنطقة تحمل مظهرًا شريزاً من فرط القذارة والقدم. نظر بوريس حوله، فاختمت تومي داخل

الأروقة القريبة التي كانت مقفرة، فقد كانت عبارة عن شارع ضيق مسدود، فلم يكن هناك من يسير فيه. كانت الطريقة المتسللة التي نظر بها بوريس حوله قد أثارت مخيلة تومي. عندما وصل تومي إلى المدخل المنزل، كان بوريس يصعد درجات منزل قبيح الشكل ويطرق بشدة، وينغمات محددة، على الباب. ففتح الباب على الفور، وقال كلمة أو كلمتين إلى حارس الباب، ثم دخل، وأغلق الباب من خلفه مرة أخرى.

في تلك اللحظة شعر تومي بالحيرة. ما الذي عليه أن يفعله الآن، ما الذي يفعله أي رجل عاقل في هذا الموقف، هل ينتظر بصبر حتى يخرج الرجل الذي يتبعه مرة أخرى. كان ما فعله تومي مخالفاً رزانة التفكير التي كان يتمتع بها، فقد كانت هناك فكرة ما تلح على عقله. بدون أن ينتظر اللحظة ليفكر في الأمر، صعد هو الآخر درجات السلم، وطارق الباب بالانغمات نفسها التي طرده بها بوريس.

الفتح الباب على الفور مثلما حدث في المرة الأولى، وكان هناك رجل يبدو على وجه الشر ذا شعر قصير يقف على عتبة.

قال الرجل: "نعم؟".

في تلك اللحظة انتبه تومي إلى الخطأ الفظيع الذي ارتكبه، ولكنه لم يجرؤ على التردد، فقال الكلمات الأولى التي خطرت على عقله:

"السيد براون من فضلك؟".

لدهشته الشديدة قال الرجل وهو يشير بإبهامه للخلف:

"في الطابق العلوي، الباب الثاني على اليسار".

الملك اللحظة هو وجود مخبأ صغير على يمينه مباشرة، وكانت تخفيه ستارة عملية ممزقة. كان المخبأ يواجه الغرفة التي على اليسار وكان يسمح بالنظر داخلها، كما أنه يسمح برؤية جيدة للجزء العلوي من الدرج. كان المخبأ واسعاً لدرجة أنه كان يتسع لرجلين، لقد كان مثاليًا، فقد كان بعمق قدمين وبعرض ثلاثة أقدام. جذب هذا المخبأ انتباه تومي بشدة. توقف تومي ليفكر في الأمور بطريقة البطيئة المنظمة، وتوصل إلى أن ذكر السيد براون لم يكن يعني طلب رؤية شخص ما، بل كان كلمة السر التي تستعملها العصابة. لقد سمح له ذكرها ببعض المصادفة بأن يدخل المنزل، ولم يثر ريبه أي أحد حتى الآن، ولكن يجب عليه أن يقرر بسرعة خطواته التالية.

ماذا لو دخل بجرة الغرفة التي على يسار الممر. هل تعتبر حقيقة تمكنه من دخول المنزل كافية لعدم إثارة الشبهات حوله؟ ماذا لو كانت هناك كلمة سر أخرى مطلوبة لدخول الغرفة، أو على الأقل أي إثبات للهوية. من الطبيعي أن حارس الباب لا يعرف أشكال جميع أفراد العصابة، وربما كانت هناك أدوار أخرى في الأعلى. في الممجل، اعتقد تومي أن الحظ قد خدمه جيدًا حتى الآن، ولكن أن هناك أمر واحد يثق به، وهو أن دخول هذه الغرفة يعد مخاطرة كبيرة. لم يكن يعتقد أنه سيتمكن من حيك دوره بشكل جيد، فعاجلاً أو آجلاً سيكشف نفسه بطل يقة أو بأخرى، وحينها سيكون قد أضاع فرصة ذهبية برعونته.

سمع تومي صوت الطرقة المنفوخ على الباب بالأسفل، فقرر على الفور أن ينسحب إلى داخل المخبأ، وأن يسحب الستارة بحذر لتخفي جسده بالكامل عن الأنظار. كانت هناك ثقوب كثيرة منتشرة في القماش القديم مكنته من أن يرى ما حوله بشكل جيد. يمكنه الآن أن يشاهد ما يحدث، وفي أي وقت يختاره يمكنه أن ينضم للمجموعة متظاهراً بما لو كان وافداً جديداً.

لم يكن تومي يعرف الرجل الذي صعد الدرج بخطوات صامتة ناعمة، وكان يبدو عليه من دون شك أنه من حثالة المجتمع. لم يكن تومي قد رأى من قبل مثل هذين الحاجبين الكثرين، والفك الإجرامي والمظهر العام الذي يدل على الوحشية، ولكنه كان من النوعية التي يميزها رجال سكوتلانديارد على الفور.

الثامن

مغامرات تومي

على الرغم من الدهشة التي شعر بها تومي من كلمات الرجل، لم يتردد للحظة إذا كانت جراته قد أوصلته إلى هنا، فمن المرجح أن تساعد على المواصله. دخل تومي المنزل في هدوء وبدأ في صعود الدرج المتداعي. كان كل شيء في المنزل يوحي بالقنارة الشديدة. ورق الحائط القذر، الذي يحمل رسومات لم يعد من الممكن تمييزها، كانت أطرافه متدلية، وكانت خيوط العنكبوت تتدلى من جميع أركان المنزل.

واصل تومي صعوده الدرج بترؤ، وفي اللحظة التي وصل فيها إلى منحني الدرج، سمع الرجل في الطابق السفلي يدخل الحجرة الخلفية. يبدو أن أحداً لم يرتب أمره بعد. يبدو أن الحضور إلى المنزل والسؤال عن السيد براون أمر معتاد الحدوث.

عندما وصل تومي إلى قمة الدرج، توقف ليفكر في الخطوة التالية. كان يوجد أمامه ممر ضيق، وكان هناك عدد من الأبواب المفتوحة على جانبيه. صدر من الباب الأقرب له من ناحية اليسار، أصوات خافتة تحدث. كانت هي الغرفة ذاتها التي وجهه الرجل في الطابق السفلي بدخولها، ولكن ما لفت انتباهه في

بعد ذلك، كان هناك رجلان قاما بالطرق، بالتتابع، على الباب السفلي. ثم عرف الرجل الأول، والذي اعتقد تومي أنه موظف حكومي، فقد كان رجلاً تبدو عليه أمارات الذكاء، على الرغم من ملابسه الرثة. كان الرجل الثاني من الطبقة العاملة، وكان وجهه مأثوفاً ل تومي.

بعد ثلاث دقائق وصل رجل آخر، رجل يبدو قيادي الهيئة، يرتدي ملابس جيدة، ويبدو أنه من عائلة نبيلة، وكان وجهه هو أيضاً مأثوفاً ل تومي، ولكنه لم يمكن للوهلة الأولى من أن يتذكر اسمه.

بعد وصول الرجل الأخير، كانت هناك فترة طويلة من الانتظار، فاستنتج تومي أن التجمع قد اكتمل، وكان على وشك أن يتسلل خارجاً من مخبئه عندما أمدته طرقات أخرى على الباب السفلي إليه مرة أخرى.

سعد الواقد الجديد درجات السلم بهدوء شديد، لدرجة أنه أصبح أمام تومي قبل أن يدرك الأخير وجوده.

كان رجلاً ضئيل الحجم، شاحباً لدرجة كبيرة، وكان شعره أملس كما لو كان شعر امرأة. دل شكل ذقنه على أصوله السلوفانية، ولم تكن هناك أية دلالة أخرى على جنسيته. بعدما عبر الرجل المكان الذي يختبئ فيه تومي، استدار للخلف، وكانت عيناه تبدوان كما لو كانتا تخترقان الستارة التي تحجب المخبأ. قاد تومي يصدق أن الرجل يعلم بوجوده، واقتصر بدنه رغماً عنه. لم يكن تومي بذلك خيلاً جامحاً يزيد عن أقرانه من الشباب الإنجليز، ولكنه لم يستطع أن يتخلص من فكرة أن هناك نوعاً من الطاقة يشع من هذا الرجل الذي ذكره بالأفهامي السامة.

بعد لحظات، أثبت انطباعه صحته، فقد طرق الرجل الباب مثلما يفعل الجميع، ولكن استقباله كان يختلف عن الجميع، فقد نهض الرجل ذو اللحية واقفاً على قدميه وفعل الآخرون مثله، وتقدم الرجل الألماني وصافح الرجل وسرب كعبي حذائه أحدهما بالآخر، وقال:

"لقد شرفتنا بحضورك، شرفتنا بشدة بحضورك. كنت أخشى ألا تأتي".

مر الرجل من أمام المخبأ وهو يتنفس بصوت عالٍ، ثم توقف أمام باب الغرفة وطرقه بالطريقة ذاتها. دعاه صوت من داخل الغرفة للدخول، ففتح الباب ودخل مما سمح ل تومي بالبقاء نظرة خاطفة عليها من الداخل. اعتقد أنه رأى أربعة أو خمسة رجال يجلسون حول طاولة تشغل أغلب مساحة الغرفة، ولكن ما لم ينتباهه هو ذلك الرجل الطويل ذو الشعر القصير واللحية القصيرة المدهية المحددة بطريقة البحارة، والذي كان يجلس على رأس الطاولة وأمامه كمية من الأوراق. عندما دخل الواقد الجديد الغرفة، نظر الرجل الطويل لأعلى وقال بلغة صحيحة ولكنها غريبة للكنة، الأمر الذي لفت انتباه تومي: "ما رقمك أيها الرقيق؟".

قال الرجل: "أربعة عشر أيها الحاكم".

قال الرجل الطويل: "صحيح".

وانطلق الباب مرة أخرى.

قال تومي لنفسه: "إن لم تكن هذه اللكنة هولندية فأنا لست إنجليزياً، ساكون هولندياً. إنه يدير الأمر بطريقة منظملة - كما يفعلون دائماً. إنني محظوظ لأنني لم أحاول دخول الغرفة. ربما كنت سأخبره برقم خاطئ، وربما كنت تورطت في عراك عنيف معهم. لا، هذا هو المكان المناسب، مهلاً، هناك شخص آخر يطرق الباب".

كان الواقد الجديد مختلفاً تمام الاختلاف عن سيقه، فقد لاحظ تومي أنه قد يكون تابعاً لحزب شين فين الأيرلندي. من المؤكد أن منظمة السيد براون تسعى لتوسيع نشاطها، فقد كانت تتكون من معتادي الإجرام والرجل الأيرلندي النبيل والروسي الشاحب والسيد الألماني زعيم المراسم. يا له من تجمع غريب وشريـر. من الرجل الذي يمسك بين يديه بجميع الخيوط التي تتحكم في تلك الحلقة المبهمة؟

هذه المرة، كانت خطوات الدخول للغرفة تماثل سابقتها - طريقة الطرق ذاتها على الباب، والسؤال عن الرقم، والإجابة بكلمة "صحيح".

أجابه الرجل الآخر بصوت يشبه الفحيح:

"كانت هناك بعض التعقيدات. وأخشى أنه لن يكون من الممكن أن أحضر مرة أخرى، ولكن كان يجب أن ألتقي بكم لمرة واحدة لتحديد سياستي في العمل لا يمكنني أن أقوم بأي شيء دون السيد براون. هل هو هنا؟"

تغيرت حالة الرجل الألماني بوضوح وهو يجيبه في تردد:

"لقد بعث لنا برسالة. كان من المستحيل أن يأتي بنفسه"، ثم توقف عن الحديث ليثير فضول الموجودين بجملته التي لم تنته.

ابتسم الرجل الآخر ببطء ونظر حوله إلى الوجوه غير المريحة وقال:

"نعم، لقد فهمت. لقد قرأت عن أساليبه. إنه يعمل في الخفاء ولا يثق بأحد. ولكن من المحتمل أن يكون بيننا في هذه اللحظة"، قالها ونظر حوله مرة أخرى ومرة أخرى ظهر تعبير الخوف على أوجه الحاضرين، فقد كان كل رجل ينظر لمن يجاوره بريية.

ضرب الرجل الروسي وجنته وقال:

"حسنًا، دعونا نواصل العمل".

بدا أن الرجل الألماني يحاول أن يجمع شتات نفسه، فقد أشار للرجل الروسي بأن يجلس مكانه على رأس الطاولة، ولكن الرجل الروسي رفض هذا، فزاد إصرار الألماني أكثر، وقال:

"إنه المكان الوحيد الذي يلائم الرقم واحد. ربما سيقوم رقم أربعة عشر بإغلاق الباب".

ومرة أخرى، أصبح تومي يحدق في الباب الخشبي، وخفتت الأصوات في الداخل مرة أخرى لتصبح مجرد غمغمة غير مفهومة. شعر تومي بالاضطراب فقد أشار الحديث الذي سمعه فضوله، وشعر بأنه يجب أن يستمع لما يجري في الداخل بطريقة أو بأخرى.

لم يكن هناك أي صوت يصدر من الطابق السفلي، ولم يكن من المرجح أن يصعد الحارس في الطابق السفلي إلى أعلى. بعد أن سمع تومي ما حوله

الغريبة أو دقيقتين، أخرج رأسه من خلف الستارة، وكان الممر خاليًا. انحنى تومي وخلق حذاءه وتركه خلف الستارة وسار متسللاً بقدميه اللتين لا يكسوهما سوى جوربيه، وانحنى خلف الباب المغلق ووضع أذنه على فتحة المفتاح. كان ما يجب له الضيق هو أنه لم يتمكن من سماع الكثير، فقط بضع كلمات متفرقة إذا ما تصادف وتحدث أحد الحاضرين في الداخل بصوت عالٍ، الأمر الذي استثار فضوله أكثر فأكثر.

انظر إلى مقبض الباب بفضول وفكر، هل يمكنه أن يديرها بضع درجات بهدوء بحيث لا يمكن لأي من المتواجدين في الداخل ملاحظتها؟ قرر أنه يمكنه هذا إذا ما قام به بحذر شديد. بدأ تومي يدير مقبض الباب ببطء شديد، جزء من الوسوسة في كل مرة، وكان يحبس أنفاسه من فرط الانفعال. هناك القليل بعد - ألم الغليل - أن ينتهي هذا الأمر؟ نعم، لقد وصل المقبض لنهايته.

انتظر تومي لدقيقة أو دقيقتين، ثم سحب نفسًا عميقًا، ثم ضغط على مقبض الباب بحذر شديد، ولم يتحرك الباب من مكانه، وشعر تومي بالضيق. إذا ما استخدم الكثير من القوة فقد يُصدر صوتًا يدل على مكانه. انتظر تومي على عتبات الأصوات قليلًا، ثم حاول مرة أخرى، ولكن شيئًا لم يحدث. ضغط تومي بقوة أكبر. هل انحسر الباب؟ وأخيرًا، ضغط على مقبض الباب بكل ما أوتي من قوة، ولكن الباب لم يتحرك عن مكانه، ثم أدرك الحقيقة: لا بد أن الباب مغلق من الداخل.

لمالك تومي السخط لدقيقة أو دقيقتين، فقال:

"حسنًا، أنا سيئ الحظ. يا لها من خدعة سيئة".

بعد ما هذا سخطه، استعد تومي لمواجهة الموقف. كان أول شيء عليه فعله هو أن يعيد مقبض الباب إلى حالته الأولى. إذا تركه على هذه الحال، فقد يتمكن الرجال في الداخل من ملاحظته، لذا قام بإعادته إلى حالته الأولى بالقدر نفسه من الحذر. مر كل شيء بسلا، فنهض تومي واقفًا على قدميه وهو يتنهد في راحة. كان تومي يتمتع بقدر كبير من العناد، الأمر الذي منعه من أن يقر بالفشل. بعدما شعر باليأس للحظات، عاد مرة أخرى ليفكر في طريقة أخرى.

كان لا يزال مصرًا على سماع ما يدور داخل الغرفة المغلقة. بعدما فشلت خطة الأولى، أصر على أن يفكر في خطة بديلة.

نظر تومي حوله فرأى بابًا آخر على يسار الممر ليس ببعيد عن الباب الأول فتحرك بخفة متوجهاً نحوه، ثم أصاع السمع لدقيقة أو اثنتين، ثم جرب أن يدير مقبضه، فافتح الباب ودخل تومي الغرفة.

كانت الغرفة عبارة عن غرفة نوم خالية إلا من الأثاث. كانت الغرفة، مثلها مثل كل ما في المنزل، مهترئة الأثاث وكان هناك الكثير من الأتربة.

ولكن كان ما يثير اهتمام تومي هو الشيء الذي كان يأمل في العثور عليه باب يصل بين الغرفتين والذي كان يقع على اليسار بجانب النافذة. أغلق تومي باب الغرفة بحذر خلفه وعبر الغرفة نحو الباب الآخر وبدأ يفحصه. كان الباب مغلقًا بمزلاج صديء بدا أنه لم يستخدم منذ فترة طويلة. بدأ تومي في خلخلة المزلاج للأمام والخلف بحذر حتى تمكن من فتحه بدون إحداث الكثير من الضوضاء، ثم كرر ما فعله مع مقبض باب الغرفة الأولى مرة أخرى - ولكنه نجح هذه المرة. فتح تومي الباب فتحة صغيرة للغاية، ولكنها كانت كافية ليتمكن من سماع ما يدور في الداخل. كانت هناك ستارة مخملية موضوعة على الجانب الداخلي من الباب منعت من رؤية أي شيء، ولكنه كان قادرًا على تمييز الأصوات بدقة معقولة.

كان الرجل الأيرلندي يتحدث، فقد كان صوته الأيرلندي مميزًا:

"هذا كل شيء، ولكننا بحاجة للمزيد من المال. بدون أموال - لن توجد نتائج".

قال صوت آخر اعتقد تومي أنه صوت بوريس:

"هل تضمن التوصل إلى نتائج؟".

قال الأيرلندي: "بعد شهر من الآن - وربما أكثر أو أقل - سأضمن لك حدود فوضى عارمة في أيرلندا من شأنها أن تزلزل قواعد الإمبراطورية البريطانية بأكملها".

خيم بعض الصمت، ثم قال الرقم واحد بصوته الناعم الذي يشبه الضحيق: "حسنًا، ستحصل على المال. بوريس، اهتم بهذا الأمر".

سأله بوريس: "عبر الأيرلنديين الأمريكيين، والسيد بوتر كالعادة؟".

قال الصوت جديد ولكنه أمريكي: "أعتقد أن هذا سيكون جيدًا، إلا أنني أرغب في توضيح أمر ما، هنا والآن، وهو أن الأمور قد زادت صعوبتها. لم يعد هناك القدر نفسه من التعاطف الذي كان موجودًا من قبل، وأصبح هناك ميل لأن ندع الأيرلنديين يهتمون بشئونهم دون تدخل من أمريكا".

شعر تومي بأن بوريس لابد أن يكون قد هز كتفيه وهو يجيب:

"هل يهم هذا، حيث إن الأموال تأتي من أمريكا في الظاهر فقط؟".

قال الأيرلندي: "إن الصعوبة الكبرى تكمن في الحصول على الذخيرة. إن الأموال تصل لنا بسهولة كبيرة - بفضل أصدقائنا هنا".

قال صوت آخر، اعتقد تومي أنه صوت الرجل الطويل الأنيق الذي بدا وجهه بالوفاء لتومي:

"فكر في مشاعر الناس في بلفاست إذا ما سمعوا ما تقول".

قال الصوت الذي يشبه الضحيق: "قضي الأمر إذن. والآن، فيما يخص الفرض الذي طلبته الصحيفة الإنجليزية، هل أعددت التفاصيل بشكل مرضٍ يا بوريس؟".

قال بوريس: "أعتقد هذا".

قال رقم واحد: "جيد. سيأتي إنكار رسمي من موسكو إذا كانت هناك حاجة لذلك".

خيم الصمت قليلاً، ثم كسر صوت الرجل الألماني الواضح الصمت قائلاً: لقد أخبرني السيد براون بأن أضع ملخصات تقارير الاتحادات المختلفة بين يديك. إن التقارير التي قدمها عمال المناجم هي الأكثر إرضاءً. يجب علينا أن ننحوض على السلك الحديدية، ولكننا قد نواجه بعض الصعوبات مع المؤسسة المسئولة عن إشارات المرور".

خيم الصمت لفترة طويلة، لم يسمع تومي خلالها سوى صوت الأوراق وبعض الكلمات التوضيحية المتفرقة التي كان يقولها الرجل الألماني. ثم سمع تومي طرقات خفيفة بالأصابع على سطح الطاولة.

وكان صوت رقم واحد يقول: "متى يا صديقي؟".

قال الألماني: "في التاسع والعشرين".

قال الرجل الروسي الذي بدا وكأنه يفكر:

"لقد اقترب الموعد".

قال الألماني: "أعلم هذا، ولكن تم تحديد هذا الموعد من قبل قادة حرب العمال، ولا يمكننا أن نتدخل في الأمر. يجب أن يعتقدوا أن ما سيحدث من غير أيديهم هم".

ضحك الروسي بسعادة وقال:

"نعم، نعم. هذا صحيح. يجب ألا يرتابوا في أننا نستخدمهم لتحليل مصالحنا الخاصة، إنهم رجال شرفاء - وهذه هي قيمتهم بالنسبة لنا. هذا أمر غريب - ولكن لا يمكنك أن تقوم بثورة بدون رجال شرفاء. إن غريزة العامة مؤكدة النجاح"، ثم توقف عن الحديث قليلاً كما لو كانت العبارة قد أعجبته واستطرد قائلاً: "كل الثورات كان بها رجال شرفاء، ثم يتم فضحهم بعد ذلك. كانت هناك نبرة خبيثة في صوته.

أكمل الألماني حديثه قائلاً:

"يجب أن يذهب كلايمس أيضاً، إنه يتمتع ببصيرة رائعة. سيهتم رقم أربعة عشر بالأمر".

سمع تومي صوتاً عالياً يقول:

"حسناً أيها الحاكم"، ثم بعد لحظات عاد ليقول: "ماذا لو تم القبض علي؟"

أجابته الألماني بهدوء: "ستحصل على أفضل المحامين ليدافعوا عنك، ولكن على أية حال سترتدي قفازات تحمل بصمات أحد لصووص المنازل المشهورين لا تخف".

قال الرجل باستمتاع غاضب: "أنا لست خائفاً أيها الحاكم. أنا فداء للقضية. الشوارع ستسبح في بحر من الدماء. أنا أحلم بهذا في بعض الأوقات، وستكون الأساسات والأثاث منتشرة في كل مكان تنتظر من يفتنهم".

سمع تومي صوت معقد يتحرك، ثم تحدث رقم واحد قائلاً:

"حسناً، لقد تم ترتيب كل شيء. هل نحن واثقون من النجاح؟".

قال الألماني بدون أن يحمل صوته نبرة الثقة المعتادة: "أعتقد هذا".

حمل صوت رقم واحد بشكل مفاجئ نبرة خطرة وهو يقول: "ما الأمر؟".

قال الألماني: "لا شيء، ولكن —"

قال الرقم واحد: "ولكن ماذا؟".

قال الألماني: "قادة العمال - بدونهم لن يمكننا القيام بأي شيء، كما قلت، إذا

لم يعلنوا إضراباً عاماً في يوم التاسع والعشرين —"

قال رقم واحد: "وما الذي سيمنعهم من هذا؟".

قال الألماني: "لقد قلت إنهم شرفاء، وعلى الرغم من كل ما فعلناه لننقمهم

بفضل الحكومة، فأبني لست على يقين بأن ثقتهم وإيمانهم بها قد اهتزت".

قال رقم واحد: "ولكن —"

قال الألماني: "أعلم هذا، إنهم يسبون الحكومة دون توقف، ولكن بوجه عام،

الراي العام الشعبي في صالح الحكومة، ولن يثوروا ضدها".

طرقت أصابع الرجل الروسي الطاولة مرة أخرى.

وقال: "ما الأمر يا صديقي، لقد تبادر إلى علمي وجود وثائق معينة من

هأنها أن تضمن لنا النجاح".

قال الألماني: "هذا صحيح. إذا ما تم تقديم هذه الوثائق للقادة، فستكون

النتائج فورية. ربما ينشرونها في جميع أرجاء إنجلترا، ويعلمون قيام الثورة بدون

لعلة واحدة من التردد، وستنكسر الحكومة في النهاية من دون رجعة".

قال رقم واحد: "ما الذي تريده إذن؟".

قال الألماني: "الوثائق نفسها".

قال رقم واحد: "إنها ليست بحوزتك، أليس كذلك؟ هل تعلم أين هي؟".

قال الألماني: "لا".

قال رقم واحد: "هل يعلم أي شخص مكانها؟".

قال الألماني: "ربما يعرف مكانها رجل واحد، حتى إننا لسنا واثقين من

هذا".

قال رقم واحد: "من هذا الشخص؟".

قال الألماني: "إنها فتاة".

حبس تومي أنفاسه، وارتفع صوت الروسي في حدة قائلاً: "فتاة؟، ولم تجعلها

تتحدث بعد؟ إننا في روسيا نمتلك طرقاً تجعل الفتيات يتكلمن".

قال الألماني: "هذه الحالة مختلفة".

قال الروسي: "مختلفة - كيف؟"، ثم توقف عن الحديث للحظات وقال: "أين

هي هذه الفتاة الآن؟".

قال الألماني: "الفتاة؟".

قال الروسي: "نعم".

قال الألماني: "إنها —"

ولكن لم يسمع تومي أي شيء آخر، فقد هبطت ضربة كالصاعقة على رأسه

وأحاط به الظلام من كل جانب.

التاسع

توبينس تدخل الخدمة السرية

عندما بدأ تومي في تعقب الرجلين، تطلب الأمر من توبينس أن يمتلك كامل

إرادتها لتمتنع عن الذهاب برفقته. فتمكنت من احتواء نفسها بأقصى ما تملكه

من قوة عن طريق موازنة نفسها بأنها تفكر في الأمور طبقاً لسير الأحداث. لا

سلك في أن الرجلين قد هبطا من الشقة في الطابق الثاني، وكان هذا الخيط

الواهي الذي يحمل اسم ريتا هو ما جعل شباب المغامر ين يدركون أنهم عادوا

مرة أخرى إلى الطريق الصحيح في تتبع مختطفي جاين فين.

كان السؤال الذي يدور برأسها هو: وماذا بعد؟ لم تكن توبينس تحب التآني.

كان تومي يقوم بمهمة تعقب الرجلين، ولم تصحبه توبينس في هذه المهمة،

فلمعرت الفتاة بأنها حرة، فعادت أدراجها نحو مدخل المبنى الذي كان يقف به

سببي صغير يعمل على تشغيل المصعد، والذي كان يقوم بتلميع إطارة النحاسي

وهو يندندن نغمة أحدث الأغاني بحبور شديد ودقة متناهية.

نظر الصبي نحو توبينس عندما دخلت المبنى. كانت توبينس تجيد التعامل

مع الصبية الصغار، وبدأ أن رابطة ودية قد قامت بينهما على الفور. فكرت

توبينس بأن وجود حليف في معسكر العدو أمر لا يجب تجاهله.

قالت توبينس بأقصى ود أمكنها أن تعرضه: "ويليام، هل تستمتع بتلميذ الإطار النحاسي؟".

ابتسم الصبي ردًا على سؤالها.

وقال: "اسمي ألبرت يا آنسة".

قالت توبينس: "حسنًا ألبرت"، ثم نظرت بغموض إلى الردمة من حولها بطريقة لا يمكن أن تخفى على ألبرت، ثم انحنت على الصبي وقالت بصوت منخفض: "أريد أن أحدث معك يا ألبرت".

توقف ألبرت عن تلميع إطار المصعد وفتح فمه قليلاً.

فقالت توبينس وهي تزيح الطرف الأسير من معطفها لتريه شارة لامعة، "اسمع، هل تعلم ما هذا؟". كان يبدو أن ألبرت لا يعلم أي شيء عن هذه الشارة - كان من المؤكد أنه لو كان ألبرت يعلم أي شيء عن الشارات لكانت خطتها بأكملها قد انهارت من أساسها، فقد كانت الشارة تابعة لبرنامج تدريب محلي أسسه أحد رجال الدين في أيام الحرب الأولى. كانت توبينس قد حصلت على الشارة كدليل على أنها قد غرست بعض الزهور قبل يوم أو يومين. كانت توبينس قوية الملاحظة، فقد لاحظت طرف الرواية البولييسية الرخيصة الذي يظهر من جيب ألبرت، وأشار اتساع عينيه إلى نجاح خطتها، وأن ألبرت قد ابتلع الطعم. همست توبينس قائلة: "إنها تابعة لقوة المحققين الأمريكيين".

صدق ألبرت ما تقول.

وغمغم في حماس: "يا إلهي".

أومأت توبينس برأسها بطريقة من يمكنه فهم شعور من يتحدث معه، وقالت: "هل تعرف عمن أرغب في أن أسألك؟".

سألها ألبرت وما زالت عيناه زائغتين:

"عن واحدة من الشقق؟".

أومأت توبينس برأسها ورفعت إبهامها لأعلى.

وقالت: "الشقة رقم ٢٠ التي تطلق صاحبها على نفسها اسم فانديميير. فانديميير. ها ها".

وضع ألبرت يده في جيبه.

وقال: "هل هي محتالة؟".

قالت توبينس: "محتالة؟ نعم، يمكنني أن أقول هذا عنها. إنهم يطلقون عليها ريتا الجاهزة في الولايات المتحدة الأمريكية".

كرر ألبرت قولها: "ريتا الجاهزة بالضبط مثلما يحدث في الأفلام".

بالفعل، فقد كانت توبينس تقلد ما رآته في دور السينما.

تابع الصبي حديثه قائلاً: "لطالما قالت آني إن هناك خطاباً ما بشأن هذه المرأة".

قالت توبينس: "من هي آني؟".

قال ألبرت: "إنها خادمة المنزل. إنها سترحل اليوم. لقد أخبرتني مراراً وتكراراً: تذكر كلماتي يا ألبرت، لن أتعجب أبداً إذا ما حضرت الشرطة في يوم من الأيام للقبض عليها - أمور من هذا القبيل، ولكنها امرأة بارعة الجمال، أليس كذلك؟".

قالت توبينس بحذر: "نعم، إنها جميلة. إنها تستخدم جمالها في الوصول لأشخاصها. بالمناسبة، هل من عاداتها أن ترتدي الحلي المرصعة بالزمرد؟".

قال الصبي: "الزمرد؟ إنها تلك الأحجار الخضراء، أليس كذلك؟".

أومأت توبينس برأسها.

وقالت: "هذا ما نبحث عنه. هل تعرف رايسدايل العجوز؟".

هز ألبرت رأسه نفيًا.

فتابعت توبينس حديثها قائلة: "بيتر رايسدايل، ملك البترول".

قال ألبرت: "يبدو الاسم مأثوفاً بالنسبة لي".

قالت توبينس: "هذه الأحجار الكريمة ملك له. إنها أفضل مجموعة أحجار (مرد في العالم، إنها تساوي مليون دولار".

قال ألبرت بانبهار: "يا إلهي، إن الأمر يزداد شبهًا بالأفلام كل دقيقة".

ابتسمت توبينيس برضا عن نجاح خططها وقالت: "إننا لم نتمكن بعد من إثبات أن الأحجار معها، ولكننا نراقبها. و—، قالتها وغمزت له وتابعت: "أعتقد أنها لن تتمكن من الفرار بالمسروقات هذه المرة".

هتف ألبرت بشيء ما ينم عن السعادة.

فقالت توبينيس فجأة: "أرجوك، يا بني، ألا تذكر كلمة واحدة عن هذا الأمر لأي شخص. أعتقد أنه لم يكن من المفترض أن أخبرك بأي شيء، ولكننا في أمريكا نعرف الشخص الذكي بمجرد رؤيته".

قال ألبرت بحماس: "لن أنيس ببنت شفة. هل يوجد ما يمكنني أن أساعدك به؟ بعض المراقبة أو أمور من هذا القبيل؟".

أطرقَت توبينيس مفكرة ثم هزت رأسها. وقالت: "ليس الآن، ولكنني سأضع مساعدتك في الاعتبار يا بني. ما أمر تلك الفتاة التي سترحل؟".

قال ألبرت: "أني؟ لا شيء، مجرد التغيير الروتيني للخدم. كما تقول أني، إن الخدم مهمون هذه الأيام ويجب أن تتم معاملتهم بهذه الطريقة، وأعتقد أنها لن تحصل على عمل آخر وهي تضع هذه الأفكار في رأسها".

قالت توبينيس وهي تفكر: "حقًا؟ أنا أتساءل —"

كانت الفكرة تسيطر على عقل توبينيس، ففكرت للحظات ثم ربتت كتف ألبرت وقالت: "اسمع يا بني، أنا أفكر في أمر ما. ما رأيك لو قلت إن هناك واحدة من قريباتك أو صديقاتك من المرجح أن تناسبها هذه الوظيفة؟ هل فهمت؟".

قال ألبرت على الفور: "نعم، أتركي هذا لي يا آنسة، وسأعالج الأمر بأكمله على الفور".

قالت توبينيس وهي تومئ موافقة:

"يا لك من فتى رائع! يمكنك أن تقول إن الفتاة الشابة يمكنها أن تبدأ العمل على الفور، وأخبرني بما حدث، وإذا مر كل شيء على خير ما يرام، فسأكون متواجدة هنا في الحادية عشرة صباحًا".

قال ألبرت: "وكيف سأخبرك بأنني نجحت؟".

قالت توبينيس: "راسلني على فندق الريتز، باسم كاوتي".

نظر لها ألبرت بحسد.

وقال: "لا بد أن عملك عمل رائع، عمل الشرطة هذا".

قالت توبينيس ببسطة: "إنه كذلك بالفعل، خاصة عندما يتحمل رجل مثل إيسدايل العجوز مصروفاتي، ولكن لا تقلق يا بني. إذا كان كل شيء على خير ما يرام، فستكون من أوائل من يشهدون نهايته".

بعد هذا الوعد، تركت توبينيس حليفها الجديد، وغادرت مباني ساوث أودلي السكنية، وكانت مسرورة بما فعلته هذا الصباح.

ولكن لم يكن هناك أي وقت لتضييعه، فقد توجهت مباشرة إلى الريتز وكتبت رسالة مختصرة إلى السيد كارتير، بعدما أرسلت الرسالة، وتومي لم يكن قد عاد بعد - الأمر الذي لم يفرحها. بدأت في حملة تسويق لتخلتها راحة تناولت فيها بعض الشاي والكعك بالكرامة، الأمر الذي شغلها حتى تخطت الساعة السادسة مساءً، ثم عادت إلى الفندق مرهقة ولكنها كانت راضية عما اشترته. كانت قد بدأت جولتها في متجر للملابس الرخيصة، ثم مرت على متجر أو متجرين للأشياء المستعملة، ثم أنهت يومها عند مصفف شعر شهير. والآن، في أثناء بقائها بمفردها في غرفة نومها، قامت بفتح غلاف الشيء الأخير الذي اشترته. بعد لمس دقاتي، ابتسمت في أثناء نظرها إلى الزجاج. قامت بعد ذلك باستخدام قلم تحديد لتغيير شكل حاجبيها، الأمر الذي ساهم، مع تغيير شكل شعرها الأشقر، في تغيير شكلها بالكامل لدرجة أنها كانت واثقة من أنها إن وقفت وجهًا لوجه أمام ويتنجتون فإنه لن يتعرف عليها. قامت بتركيب روافع في حذاءيها، كما أن القبعة والمئزر سيكونان أدوات التنكر القيمة. من متطلق خبرتها العملية في المستشفيات، كانت تدرك أن الممرضة التي لا ترتدي ثوب العمل، لا يمكن للمرضى التعرف عليها.

قالت توبينيس بصوت عال: "نعم"، وأومأت برأسها إلى انعكاس صورتها على الزجاج وقالت: "ستنجح". ثم أعادت هيتها مرة أخرى لحالتها الأولى.

تناولت توبينس العشاء بمفردها، وكانت منهشة من عدم عودة تومي حتى الآن. لم يكن جوليوس هو الآخر متواجداً في غرفته - ولكن كان تفسير اختلافه أسهل بالنسبة لها. لم تكن أنشطته "المتعجلة" مقصورة على لندن، وكان ظهوره واختفاؤه المفاجئ أمراً معتاداً بالنسبة لشباب المغامرين كجزء من عمله اليومي. كان من المعتاد أن يعلموا أن جوليوس بي. هيرشايمر قد غادر إلى القسطنطينية إذا ما تصور أن دليلاً يقوده إلى اختفاء ابنة عمته قد ظهر هناك. لقد نجح الشاب النشط في تحويل حياة العديد من ضباط سكوتلانديارد إلى جحيم، وأصبحت عاملات الهاتف في ديوان البحرية معتادات سماع كلمة "مرحباً" بلهجته الأمريكية. لقد قضى ثلاث ساعات في باريس يستحث الحاكم هناك على العمل، وعاد من باريس يحمل فكرة، ربما ألهمه بها المسئول الفرنسي المرهق، أن الدليل الحقيقي للغز قد يكون في أيرلندا.

فكرت توبينس في نفسها: "أعتقد أنه قد ذهب إلى أيرلندا الآن. أمر جيد، ولكنه ممل بالنسبة لي. ها أنا ذا أمتلك الكثير من الأخبار الجديدة ولكن لا يوجد من أخبره بها. ربما أرسل تومي لي رسالة تلغرافية أو شيئاً من هذا القبيل. أنا لا أعلم أين هو. على أية حال، لا يمكنه أن يفقد أثر الرجلين. هذا يذكرني بـ" ، ثم انتهت الأنسة كاولي من تأملاتها واستدعت صديقاً صغيراً.

بعد عشر دقائق كانت الأنسة كاولي جالسة بهدوء في فراشها، وأشعلت لفاقة تبغ، وهي تقرأ بعناية رواية *The Boy Detective*، من تأليف بارنابي ويليامز، والتي اشترت مجموعة من رواياتها رخيصة الثمن. شعرت بأنه يجب عليها، قبل أن تواصل حديثها مع أثبرت، أن تدعم أفكارها بمجموعة من الأفكار التي تروقه في الصباح وصلتها رسالة من السيد كارتر تقول:

عزيزتي الأنسة توبينس

لقد كانت بدايتكما رائعة، وأهنتكما على هذا. أود أن أوضح لكما مرة أخرى المخاطر التي قد تواجهها، خاصة إذا ما تبعتما الطريق الذي تشيران إليه. إن هؤلاء الأشخاص يشعرون بالياس وقد نُرعت من قلوبهم

الرحمة والشفقة. أعتقد أنكما لا تقدران الخطر الذي يواجهكما حقاً ابداً، وأرغب في أن أنبهكما مرة أخرى إلى أنه لا يمكنني أن أعدكما بأية حماية. لقد أعطيتكما معلومات قيمة للغاية، وإذا ما اخترتما أن تنسحبا الآن فلن يلومكما أحد. على أية حال، فكرا في الأمر جيداً قبل أن تتوصلا إلى قرار.

إذا - على الرغم من تحذيراتي - قررتما أن تستمرا في العمل، فستجدان كل شيء مجهزاً. لقد عشت لعامين كاملين مع الأنسة دوفراين، التي تعمل حالياً في منزل رجل الدين في لانيللي، وقد تلجأ السيدة فاندبيماير إليها لتسأل عنك.

هل يمكنني أن أسديك بعض النصائح؟ كوني صادقة قدر الإمكان - حيث إن هذا يقلل من النسيان. أقترح عليك أن تقدمي نفسك على ما أنت عليه بالفعل، ممرضة متطوعة سابقة اختارت أن تعمل في الخدمات المنزلية. هناك الكثير من الممرضات السابقات اللواتي اخترن هذه المهنة. هذا من شأنه أن يفسر تباينات اللهجة أو السلوك التي قد تثير الشبهات.

أيًا كان ما ستقررينه، أتمنى لك الحظ السعيد.

صديقك المخلص،

السيد كارتر

ارتفعت روح توبينس المعنوية كثيراً لدرجة أنها لم تلق انتباهاً للتحذيرات السيد كارتر. كانت توبينس فتاة شابة تثق كثيراً في نفسها، لذا فلم تلتفت للتحذيراته.

ترددت توبينس قليلاً قبل أن تتخلى عن المظهر الذي كانت قد اختارته لنفسها. على الرغم من أنها كانت واثقة من قدرتها على تقمص الشخصية التي اختارتها باقتدار، فإنها كانت تثق في حجة السيد كارتر.

لم تكن قد وصلتها حتى الآن أية أخبار أو رسائل من تومسي، ولكن حمل لها بريد الصباح بطاقة كُتِبَ عليها "كل شيء على خير ما يرام".

في العاشرة والنصف نظرت توبينس إلى الصندوق المعدني الذي يحتوي ممتلكاتها الجديدة برضا. كانت قد ربطته بالحبال بأناقة، وشعرت بالخجل قليلاً عندما قرعت جرس مكتب الاستقبال لتخبر الموظف بأن يرسل شخصاً ما ليضع الصندوق في سيارة الأجرة. أخذتها سيارة الأجرة حتى محطة بادينجتون حيث أودعت الصندوق في مكتب الأمانات وأعدت حقيبة يد على عجل في دورة مياه السيدات. بعد عشر دقائق، كانت توبينس تخرج من المحطة وتستقل إحدى الحافلات.

كانت الساعة تشير إلى بضع دقائق قبل الحادية عشرة عندما دخلت ردهة مبنى ويست أودلي السكني. كان ألبرت في الردهة يقوم بمهامه اليومية بدون نظام. لم يلاحظ وجود توبينس للوهلة الأولى، ولكنه عندما فعل كان إعجابه يفوق الوصف.

قال: "إنني لم أتمكن من معرفتك. إن ملابسك رائعة".

أجابته توبينس بتواضع: "أنا مسرورة أنها أعجبتك يا ألبرت. بالمناسبة، هل سأكون قريبتك أم ماذا؟".

صاح الصبي بفرح: "إن لهجتك أيضاً مختلفة. لقد أصبحت إنجليزية كالإنجليزية أنفسهم، لا، لقد قلت إن أحد أصدقائي يعرف شابة. ولكن أني لم تكن مسرورة، حيث قالت إنها كانت مجبرة على العمل حتى اليوم، ولكني أعتقد أنها ستحاول أن تجعلك تكرهين العمل".

قالت توبينس: "يا لها من فتاة لطيفة".

لم يشعر ألبرت بنبرة السخرية في صوت توبينس.

فقال: "إنها كذلك بالفعل، إنها تعامل الجميع باحترام - ولكني أعتقد أنها من حقها أن تتعصب قليلاً. هل تستعدين الآن يا آنسة؟ ادخلي المصعد. لقد قلت إنها الشقة رقم ٢٠، أليس كذلك؟"، ثم غمز لها بعينه.

انظرت له توبينس نظرة مطمئنة ودخلت المصعد.

عندما قرعت جرس الشقة رقم ٢٠، لاحظت أن عيني ألبرت كانتا تنظران للأرض.

فتحت الباب شابة جميلة وأنيقة.

فألت توبينس: "لقد أتيت من أجل الوظيفة".

فألت الشابة بدون تردد: "إنها وظيفة سيئة. إن هذه العجوز الشماء دائمة التدخل في كل شيء. لقد اتهمتي بالعبث في خطاباتها، أنا! إن ظرف الخطاب لم يكن مغلفاً جيداً على أية حال. إنها لا تترك أي شيء في سلة المهملات، إنها تحرق كل خطاباتها. إنها امرأة سيئة. أنيقة الملبس ولكن من دون طابع نبيلة. إن الطمايه تعرف عنها أمراً ما - ولكنها لن تبوح به - خشية أن تقتلها. أما عن الارتياح، فستجدينها فوق رأسك في خلال دقيقة إذا ما سمعتك تتحدثين مع شخص ما. يمكنني أن أقول —"

ولكن القدر لم يمهل توبينس أن تستمع لبقية ما ترغب أني في قوله، فقد سدح صوت حاد في تلك اللحظة قائلاً:

"أنى".

قفزت الشابة الأنيقة كما لو كانت قد أصيبت بطلقة رصاص.

وقالت: "نعم سيدتي".

قال الصوت: "مع من تتحدثين؟".

قالت أنى: "إنها شابة أتت من أجل العمل".

قال الصوت: "أدخليها على الفور".

قالت أنى: "أمرك سيدتي".

أشارت أنى لـ توبينس بدخول غرفة تقع على يمين ممر طويل. كانت هناك امرأة تقف بجانب المدفأة. لم تكن المرأة في ريعان شبابه، وكان جمالها الذي لا يمكن أن تخطئه العين ينذب ويختفي. لابد أن هذه المرأة كانت بارعة الجمال في شبابه. كان شعرها الأشقر اللامع، المصبوغ قليلاً، ينسدل على كتفيها، وكانت

عينها، الزرقاوان الحادثان، تبدوان كما لو كانتا تفرسان شعوراً بالبرودة في روح من نظران إليه. كانت هيئتها الرائعة تعززها عباءة أنيقة من الحرير الأزرق، ولكن على الرغم من هيئتها الجميلة ووجهها الأخاذ، كنت تشعر في وجودها بشيء ثقيل ومزعج، وكذلك في صوتها المعدني وعينيها الثاقبتين.

شعرت توبينس بالخوف للمرة الأولى. إنها لم تشعر بالخوف في حضور ويتنجتون، ولكن هذه المرأة مختلفة. كما لو كانت منبهة، حدثت توبينس في الشكل القاسي لقمها الأحمر، وشعرت مرة أخرى بالهلع. لقد خذلنها ثقته بنفسها، فقد كانت تشعر بأن خداع هذه المرأة سيختلف كثيراً عن خداع ويتنجتون. رنت تحذيرات السيد كارتر في أذهنها. إنها هنا لن تتوقع أية رحمة.

كانت توبينس تقاوم شعورها بالخوف الذي كان يجبرها على أن تستدير وتهرب على الفور، فبادلت السيدة نظراتها الصارمة التي تنم عن الاحترام.

كما لو كان الفحص الأولي مرضياً، توجهت السيدة فانديمياير نحو أحد المقاعد.

وقالت: "يمكنك أن تجلسي. كيف علمت أنني بحاجة إلى خادمة للمنزل؟" قالت توبينس: "من صديق على صلة بصبي المصعد هنا. لقد اعتقد أن الوظيفة ربما تناسبني".

مرة أخرى شعرت بأن نظرات المرأة الحادة تخترقها.

قالت السيدة فانديمياير: "إنك تتحدثين كفتاة متعلمة، أليس كذلك؟".

قصت توبينس على مسامع السيدة فانديمياير باختصار تفاصيل مهنتها الوهمية كما اقترحها عليها السيد كارتر، وبدا لها، بعدما انتهت، من أن توتر السيدة فانديمياير قد هدأ.

وقالت أخيراً: "فهمت. هل هناك أي شخص يمكنك أن أكتب له لأسأله عنك؟".

قالت توبينس: "آخر وظيفة لي كانت عند السيدة دوفران التي تعمل حالياً في منزل رجل الدين في لانيللي. كنت أعمل معها طوال عامين".

قالت السيدة فانديمياير: "واعتقدت أنك ستحصلين على المزيد من المال إذا ما أتيت إلى لندن، أليس كذلك؟ حسناً، هذا لا يهمني كثيراً. سأعطيك راتباً بأسوأ ما بين ٥٠ إلى ٦٠ جنيهًا - أيًا كان الراتب الذي ترغبينه. هل يمكنك أن تبدلي العمل في الحال؟".

قالت توبينس: "نعم، سيدتي. اليوم إذا كنت تريدين هذا. إن صندوق أمتعتي في محطة بادينجتون".

قالت السيدة فانديمياير: "استقلي سيارة أجرة واذهبي لتحضريه. إن عمك سيكون سهلاً. أنا لا أكون متواجدة طوال الوقت، بالمناسبة، ما اسمك؟".

قالت توبينس: "برودنس كوبر يا سيدتي".

قالت السيدة فانديمياير: "حسناً يا برودنس. اذهبي وأحضري الصندوق. سأخرج لتناول الغداء في الخارج. ستريك الطاهية مكان كل شيء".

قالت توبينس: "شكراً لك سيدتي".

غادرت توبينس الغرفة، ولكن أني الأنيقة لم تكن ظاهرة. عندما وصلت توبينس إلى ردهة المبنى في الأسفل، كان البواب الأنيق يقف أمام ألبرت حاجباً إياه لدرجة أن توبينس لم تتمكن من رؤية أي جزء منه.

لقد بدأت المغامرة، ولكن لم تكن روحها المعنوية مرتفعة كما كانت هذا الصباح. مر بخاظرها أنه لو كانت جاين فين الغامضة قد وقعت بين براثن السيدة فانديمياير، لكانت قد قضت وقتاً عصياً.

عندما أشارت الساعة إلى بضع دقائق بعد الثامنة، دق جرس الباب، فذهبت توبينس لتفتحه وهي خائفة. شعرت بالراحة عندما اكتشفت أن الزائر هو الرجل الثاني من الرجلين اللذين كان تومي يتعقبهما.

قدم نفسه لها على أنه الكونت ستيبانوف. أخبرت توبينس السيدة فاندماير بقدوم الضيف فنهضت من جلستها على الأريكة وهي تغمغم في سعادة.

وقالت: "أنا سعيدة برؤيتك بوريس إيفانوفيتش".

انحنى بوريس ليقبل يدها قائلاً: "وأنا كذلك يا سيدتي".

عادت توبينس إلى المطبخ وهي تقول بفضول واضح.

"الكونت ستيبانوف أو شيء من هذا القبيل، من يكون يا ترى؟"

قالت الطاهية: "نبيل روسي على ما أعتقد".

قالت توبينس: "هل يأتي إلى هنا كثيراً؟"

قالت الطاهية: "بين حين وآخر. ما الذي ترغبين في معرفته؟"

وضحت لها توبينس الأمر قائلة: "أعتقد أنه يحب السيدة - هذا كل شيء"، ثم أضافت وهي ترسم العبوس على وجهها: "كيف يمكن لواحدة مثلي أن تجعل رجلاً مثله يُغرم بها؟".

قالت الطاهية: "لا يعجبني الطعام المُخمر".

فكرت توبينس في نفسها: "هل تعلمين"، ولكنها قالت بصوت عالٍ: "هل أهدمه لهما الآن؟ بالشكل الصحيح".

في أثناء انتظارها بجانب الطاولة، استمعت توبينس لكل ما قيل. تذكرت أنه أحد الرجلين اللذين كان تومي يتبعهما عندما رآته المرة السابقة. على الرغم من أنها بالكاد أقرت بالأمر، فإنها شعرت بالقلق على شريكها. أين هو يا ترى؟ لماذا لم يخبرها بأي شيء عن مكانه؟ قبل أن تغادر فندق الريتز، كانت قد أعدت أن يتم توجيه جميع الخطابات والرسائل على الفور إلى متجر قريب لبيع أدوات الكتابة عن طريق مبعوث خاص، بحيث يمكن له أن يهرب إليه ليرى ما إذا كانت هناك رسائل أو خطابات بين وقت وآخر. صحيح أنها افترقت عن تومي

العاشر

دخول السير جايمس بيل إدجارتون

لم تلق توبينس أية صعوبة في القيام بمهامها الجديدة، فقد كانت بنات رجال الدين متمرسات على الأعمال المنزلية، كما كن أيضاً خبيرات في تدريب "الفتيات الساذجات"، وكانت النتيجة الحتمية للفتيات الساذجات، اللواتي بمجرد تدريبهن، يغادرن إلى مكان يمكن أن يحصلن فيه على مقابل مادي أعلى للمعرفة التي اكتسبتهن حديثاً، من ذلك المقابل الذي يمكن لرجل الدين تحمله.

لهذا السبب كانت توبينس تخشى قليلاً ألا تعمل بالكفاءة المطلوبة. كانت طاهية السيدة فاندماير تحيرها، فقد كانت تخشى سيدتها خشيتها للموت. اعتقدت توبينس أن المرأة تعرف شيئاً ما. بغض النظر عن هذا، فقد كان طهيها رائعاً، كما أخبرتها توبينس في إحدى الأمسيات. كانت السيدة فاندماير تنتظر ضيفاً على العشاء، فأعدت توبينس مائدة رائعة لشخصين. لم تكن توبينس تعلم من هو الضيف. كان من المحتمل جداً أن يكون ويتنجتون، ولكنها كانت واثقة من أنه لن يتعرف عليها، ولكنها كانت ستسعد إذا ما اكتشفت أن الضيف شخص آخر لا تعرفه. لم تكن توبينس تأمل في شيء أفضل ما قد يفعله القدر.

صباح أمس، وأخبرت نفسها بأن أي قلق تشعر به تجاه تومي غير معقول. ولكن الأمر الغريب هو أنه لم يرسل لها أية رسالة على الإطلاق.

لم يحمل الحديث الذي كانت تستمع إليه أي دليل، فقد كانت السيدة فانديمياير وبوريس يتحدثان عن موضوعات عامة: مسرحيات شاهدها، رقصات جديدة، وأحدث أخبار المجتمع. بعد العشاء توجهتا إلى غرفة صغيرة حيث تمكنت السيدة فانديمياير على الأريكة وكانت تبدو أكثر جمالاً مما سبق. أحضرت توبينيس القهوة والشراب وانسحبت من الغرفة رغماً عنها. وبينما كانت تغادر الغرفة، سمعت بوريس يقول:

"خادمة جديدة، أليس كذلك؟"

قالت السيدة فانديمياير: "لقد بدأت العمل اليوم، لقد كانت سابقتها ذكية، أما هذه الفتاة فلا بأس بها، إنها تقوم بالخدمة بشكل جيد".

تلكأت توبينيس قليلاً بجانب الباب الذي حاولت ألا تغلقه بحذر وسمعت بوريس يقول:

"أعتقد ألا خوف منها، أليس كذلك؟"

قالت السيدة فانديمياير: "إنك حقاً كثير الارتباك يا بوريس. أعتقد أنها قريبة بواب المينى، أو شيئاً من هذا القبيل. ولا أعتقد أن هناك من يعلم أنني على صلة بصديقنا المشترك، السيد براون".

قال بوريس: "بحق السماء يا ريتا، احترسي، إن هذا الباب لم يُغلق جيداً".

ضحكت المرأة قائلة: أغلقه إذن".

غادرت توبينيس موقعها بسرعة.

لم تجرؤ على أن تغيب لفترة طويلة عن المطبخ، ولكنها قامت بتنظيف الأطباق وغسلها بسرعة كبيرة اكتسبتها من عملها بالمستشفى. بعد ذلك تسلمت خلسة مرة أخرى إلى باب الغرفة الصغيرة. كانت الطاهية لا تزال مشغولة بعملها، وإذا لم تجد توبينيس حولها، فستفترض أنها قد ذهبت لتعد الفراش للنوم.

للأسف، كان الحديث الذي يدور داخل الغرفة، يدور بصوت منخفض للغاية لدرجة أنها لم تتمكن من سماع أي شيء. لم تجرؤ توبينيس على فتح باب الغرفة مرة أخرى حتى ولو بهدوء شديد. كانت السيدة فانديمياير تجلس أمام الباب، وكانت توبينيس تقدر قوة ملاحظتها لدرجة كبيرة.

رغم هذا، شعرت توبينيس بأنه يجب عليها أن تسمع ما يدور داخل الغرفة لتعرف ما إذا كان شيئاً قد حدث أو لتعرف ماذا حل بـ تومي. فكرت توبينيس لبضع دقائق في هدهد، ثم أشرق وجهها. قطعت توبينيس مسرعة الممر الطويل المؤدي لغرفة نوم السيدة فانديمياير التي كانت بها نافذة كبيرة تؤدي إلى شرفة بطول الشقة بأكملها. تسلمت توبينيس بسرعة عبر النافذة، ثم زحفت بهدوء حتى وصلت إلى نافذة الغرفة الصغيرة. كما توقعت توبينيس، كانت النافذة نصف مفتوحة، وكانت الأصوات داخل الغرفة مسموعة بوضوح من هذا المكان.

استمعت توبينيس للحديث باهتمام، ولكنها لم تسمع أي ذكر لأي شيء قد يشير إلى تومي. كان يبدو أن السيدة فانديمياير والرجل الروسي مختلفان حول أمر ما، وفي النهاية هتف الأخير بمرارة:

"ستدمرينا بتهورك المستمر".

ضحكت المرأة قائلة: "إن سوء السمعة بالطريقة الصحيحة هو أفضل طريقة لإبعاد الشبهات. ستدرك هذا في أحد الأيام - ربما أقرب مما تتوقع".

قال بوريس: "في الوقت ذاته، إنك تظهرين مع بيل إدجارتون في كل مكان. إنه ليس أحد أشهر مستشاري الملك في ربوع إنجلترا بأكملها، بل إن اهتمامه منصب على علم الجريمة أيضاً. إن ما تفعلينه ضرب من الجنون".

قالت السيدة فانديمياير بهدوء: "أعلم أن بلاغته قد أنقذت الكثير من الرجال من حبل المشنقة. وماذا في ذلك؟ قد أحتاج إلى مساعدته في أحد الأيام. إذا ما حدث أي سوء، فمن الجيد أن تحظى بصديق في البلاط الملكي - أو ربما يجدر بنا القول داخل البلاط الملكي".

نهض بوريس من مكانه وبدأ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، فقد كان يشعر بالاضغلال شديد.

وقال: "إنك امرأة ذكية يا ريتا، ولكنك حمقاء أيضاً. تقبلي توجيهاتي وابتعدي عن بيل إدجارتون".

هزت السيدة فانديمياير رأسها ببطء.

وقالت: "لا أرى هذا".

كانت هناك نبرة مهددة في صوت الرجل الروسي وهو يقول: "هل ترفضين؟"
قالت ريتا: "نعم".

قال بوريس: "إذن، سنرى —"

ولكن السيدة فانديمياير نهضت هي الأخرى واقفة على قدميها وعيناها تلمعان.

وقالت: "لقد نسيت يا بوريس أنني لست تابعة لأحد، وأنني لا أخذ أوأمري إلا من السيد براون فقط".

تخاذلت ذراعاً بوريس جانبه في يأس.

وقال: "من المستحيل احتمالك، من المستحيل احتمالك. ربما سبق السيف العدل، يقال إن بيل إدجارتون يمكنه أن يشم رائحة المجرمين. كيف يمكننا أن نعرف غرضه الرئيسي وراء اهتمامه المفاجئ بك؟ ربما كان يرتاب في أمرك في الوقت الحالي. ربما خمن —"

نظرت له السيدة فانديمياير بازدياء.

وقالت: "أطمئن عزيزي بوريس. إنه لا يرتاب في أي شيء. يبدو أن شجاعتك المعتادة قد أنستك أني امرأة جميلة، وأؤكد لك أن هذا هو كل ما يهم بيل إدجارتون".

هز بوريس رأسه في شك.

وقال: "لقد درس الجريمة أكثر مما فعل أي شخص آخر في هذه المملكة. هل تعتقدين أنك قادرة على خداعه؟"

ضيقَت السيدة فانديمياير عينيها.

وقالت: "إذا كان كما تقول — فأسأمتم بمحاولة خداعه".

قال بوريس: "يا إلهي، ريتا —"

أضافت السيدة فانديمياير: "هذا إلى جانب أنه فاحش الثراء. أنا لست امرأة اقهره المال. أموال الحرب كما تعلم يا بوريس".

قال بوريس: "المال، المال. هذا دائماً ما يعرضنا للخطر بسببك يا ريتا. أعتقد أنك قد تبيعين روحك مقابل المال. أعتقد أنك —"، ثم توقف عن الحديث للحظات وتابع قائلاً بصوت منخفض وشرير: "أعتقد أحياناً أنك شهيعتنا".

ابتسمت السيدة فانديمياير وهزت كتفيها.

وقالت باستخفاف: "أيّ كان السعر، يجب أن يكون مرتفعاً. لن يتمكن أي أحد من دفع هذا السعر إلا إذا كان مليونيراً".

قال الروسي: "حقاً، لقد كنت على حق".

قالت السيدة فانديمياير: "عزيزي بوريس، ألا يمكنك أن تستوعب الدعابة؟"

قال بوريس: "هل كانت هذه دعابة؟"

قالت السيدة فانديمياير: "بالطبع".

قال بوريس: "ما سأقوله إذن هو أن فكرتك عن الدعابة غريبة جداً عزيزتي ريتا".

ابتسمت السيدة فانديمياير.

وقالت: "دعنا لا نتشاجر يا بوريس. اقرع الجرس، أعتقد أننا بحاجة لمشروب".

عادت توبينس بسرعة من حيث جاءت، ثم توقفت للحظة لتتنظر لنفسها في مرآة السيدة فانديمياير وتؤكد من أنه ألا يوجد أي شيء يشوب مظهرها، ثم أوجّهت لتجيب قرع الجرس باحتشام.

كان رجلاً متوسط الطول، إلا أنه يعطيك انطباعاً بأنه رجل مهم. كان حليق الوجه، ومتقلب الملامح وكان يحمل أمارات السلطة والثفوذ أكثر من المعتاد. لأن الرجل يبدو كما لو كان يشع بالجادبية.

لم تكن توبينس قد قررت ما إذا كانت تستصنفه على أنه ممثل أم محام، ولكن انقلبت جميع شكوكها بمجرد أن أخبرها باسمه: السير جايمس بيل إدارتون. نظرت له توبينس باهتمام. هذا إذن مستشار الملك الذي تعرف إنجلترا بأكملها اسمه. سمعت توبينس أنه قد يصبح رئيس الوزراء في المستقبل. كان المعروف عنه أنه قد رفض تولي أي منصب حتى يتمكن من الاهتمام بمهنته، وفصل أن يظل عضواً من الدائرة الانتخابية الإسكتلندية.

عادت توبينس إلى غرفة المؤن وهي تفكر بعمق، فقد أبهرها الرجل العظيم. لقد بدأت تفهم ثورة بوريس. إن بيل إدارتون رجل ليس من السهل خداعه.

بعد حوالي ربع الساعة رن الجرس، فتوجهت توبينس إلى الردهة لتفتح الباب للزائر الذي رفقها بنظرة مدققة قبل أن يغادر. والآن، بينما كانت تعطيه عصاه ورفعت، كانت تدرك أن عينيه تتفحصانها جيداً. عندما فتحت له الباب وتنحت جانباً لتسمح له بالعبور، توقفت عند عتبة الباب وقال: "إنك لم تمارسي هذا العمل منذ فترة طويلة، أليس كذلك؟".

رفعت توبينس عينها له مصدومة، فرأت في عينيه أمارات الطيبة، وشيء آخر لم تتمكن من فهمه.

أوماً برأسه كما لو كانت قد أجابته وقال: "ممرضة متطوعة سابقة ومفلسة، أليس كذلك؟".

قالت توبينس: "هل أخبرتك السيدة فانديمياير بشأني؟".

قال السير بيل: "لا يا بنيتي. لقد أخبرتني نظرتكِ لي. هل يروقك العمل هنا؟".

قالت توبينس: "للغاية يا سيدي، شكراً لك".

على الرغم من أن المحادثة التي سمعتها توبينس أثبتت ضلوع كل من رينا وبوريس في الجريمة، فإنها لم تلق الكثير من الضوء على الموضوعات التي تهتم توبينس. إن اسم جاين فين لم يذكر.

في الصباح التالي، أخبرها ألبرت بعدم وصول أية رسائل إلى متجر أدوات الكتابة. كان من الغريب ألا يقوم تومي، إذا كان كل شيء يجري على خير ما يرام معه، بإرسال أية رسائل لها. شعرت كما لو كانت قبضة باردة تعصر قلبها... ماذا لو... نفضت هذه المخاوف عن رأسها بشجاعة، فلن يفيدھا الطلق بشيء، ولكنها اغتمت الفرصة التي منحتها إياها السيدة فانديمياير.

قال السيدة فانديمياير: "متى تحصلين على عطلتكِ يا بروندس؟".

قالت توبينس: "عادة ما تكون في يوم الجمعة يا سيديتي".

رفعت السيدة فانديمياير حاجبها.

وقالت: "واليوم هو يوم الجمعة، ولكني أعتقد أنك لا ترغبين في الخروج اليوم، فقد وصلت أمس".

قالت توبينس: "في الحقيقة، كنت أفكر في أن أطلب منك الخروج يا سيديتي". نظرت لها السيدة فانديمياير لدقيقة أخرى ثم ابتسمت.

وقالت: "أتمنى لو كان الكونت ستيبانوف هنا ليمسك. لقد اقترح أمراً ما عنك ليلة أمس"، ثم اتسعت ابتسامتها أكثر، وقالت: "إن طلبك معتاد للغاية، أنا راضية عنك. لن يمكنك فهم كل ما أقول - ولكن يمكنك أن تخرجي اليوم. إن الأمر لن يضايقتني كثيراً، حيث إنني سأتناول العشاء خارج المنزل اليوم".

قالت توبينس: "شكراً جزيلاً لك يا سيديتي".

شعرت توبينس بالراحة بمجرد أن أصبحت بمفردها. اعترفت لنفسها مرة أخرى بأنها كانت خائفة، بل مرتعبة، من السيدة الجميلة ذات العينين القاسيتين في منتصف قيامها العشوائي بتلميع أدوات المائدة، أزعجها صوت جرس الباب، فذهبت لتفتحه. هذه المرة لم يكن الزائر ويتجتون أو بوريس، ولكنه شخص ذو مظهر لافت للنظر.

قال السير بيل: "أه، ولكن هناك الكثير من الوظائف الجيدة هذه الأيام والتغيير لن يضرّك في بعض الأحيان".
قالت توبينس: "هل تعني —؟".

ولكن السير جايمس كان قد وصل بالفعل إلى الدرج، ونظر خلفه وقال لها بلطف: "إنه مجرد تلميح، ليس أكثر".

عادت توبينس إلى غرفة المؤن وهي تفكر أكثر من أي وقت مضى.

الحادي عشر

جوليوس يروي قصته

ارتدت توبينس ملابس ملائمة وخرجت في "نزهة ما بعد الظهر" التي سمحت لها السيدة فاندماير بها. كان ألبرت في فترة راحته، ولكن توبينس توجهت بنفسها إلى متجر أدوات الكتابة لتتأكد مما إذا كانت أية رسائل قد وصلتها. بعدما تأكدت من الأمر، توجهت إلى فندق الريتز، وعندما سألت موظف الاستقبال، أخبرها أن تومي لم يعد حتى الآن. كانت هذه هي الإجابة التي توقعتها، ولكنها كانت مسماراً آخر في نعش آمالها. قررت أن تكتب للسيد كارتر لتخبره متى وأين بدأ تومي مهمته، ولتطلب منه أن يفعل شيئاً ما ليتعقب أثره. كانت فكرة حصولها على مساعدته قد رفعت من روحها المعنوية بدرجة كبيرة، فسألت عن جوليوس هيرشايمر. كانت الإجابة التي تلقتها هي أنه قد وصل منذ نصف الساعة، ولكنه خرج على الفور.

ارتفعت روح توبينس المعنوية أكثر، فلن يمضي وقت طويل حتى ترى جوليوس. ربما أمكنه أن يضع خطة ما لاكتشاف ما حدث لـ تومي. كتبت توبينس رسالة للسيد كارتر من غرفة جلوس جوليوس، وكانت بصدد كتابة العنوان على طرف الخطاب عندما انفتح الباب.

قال جوليوس: "ماذا بحق السماء —" ثم توقف عن الحديث على الفور وعاد ليقول: "اعذريني يا أنسة توبينس. إن الحمقى في مكتب الاستقبال يقولون إن بيريسفورد لم يعد حتى الآن - وأنه لم يعد منذ يوم الأربعاء الماضي. أهذا صحيح؟".

أومات توبينس برأسها موافقة.

وسألته بهدوء: "هل تعرف أين هو؟".

قال جوليوس: "أنا؟ وكيف يمكنني هذا؟ لم تصلني منه أية رسالة، على الرغم من أنني أرسلت له برقية صباح أمس".

قالت توبينس: "أعتقد أن رسالتك مازالت في مكتب الاستقبال لم تمس".

قال جوليوس: "ولكن، أين هو؟".

قالت توبينس: "لا أعلم، كنت أمل في أنك تعلم".

قال جوليوس: "لقد قلت لك إنه لم تصلني منه أية رسائل منذ أن ائترقنا في محطة القطار يوم الأربعاء الماضي".

قالت توبينس: "أية محطة؟".

قال جوليوس: "محطة واترلو، عند تقاطع طريقي لندن والجنوب الغربي".

قطعت توبينس حاجبها وقالت: "واترلو؟".

قال جوليوس: "نعم، ألم يخبرك بالأمس؟".

قالت توبينس: "أنا أيضاً لم أره منذ ذلك الحين. ماذا عن واترلو، ماذا كنتم تفعلان هناك؟".

قال جوليوس: "لقد اتصل بي على الهاتف، وطلب مني أن أقابله هناك بسرعة. قال لي إنه كان يراقب اثنين من المحتالين".

قالت توبينس وقد اتسعت عيناها عن آخرهما: "أوه، فهمت، أكمل".

قال جوليوس: "أسرعت إلى هناك للقاءه، وكان هناك بالفعل. أشار إلى المحتالين، وكان عليّ أن أراقب الرجل الأضخم حجماً. الرجل الذي قمت

بفداها. وضع تومي تذكرة القطار في يدي وطلب مني أن أركب القطار، وكان يذهب لمراقبة الرجل الآخر". توقف جوليوس للحظة ثم استطرد: "كنت على يقين من أنك تعرفين كل هذا".

قالت توبينس بحسم: "جوليوس، توقف عن السير في أرجاء الغرفة. لقد أجلسك بالدوار. اجلس على هذا المقعد وقص عليّ القصة بأكملها، باختصار من فضلك".

أطاعها السيد هيرشايمر وقال: "بالطبع. من أين عليّ أن أبدأ؟".

قالت توبينس: "من حيث توقفت. من واترلو".

قال جوليوس: "حسنًا، صعدت إلى واحدة من عربات القطار بالدرجة الأولى التي يفضلها صديقك الإنجليزي عتيق الطراز. كان القطار قد بدأ في التحرك. أول ما حدث هو أن توجه أحد الحراس نحوي وأخبرني بكل أدب بأنني لست في عربة المدخنين، فوضعت في يده نصف دولار فصمت على الفور. بدأت في البحث عن الرجل الذي أراقبه على طول الممر حتى العربة التالية. وأخيراً وجدت ويتنجتون. عندما رأيت هذا الوغد بوجهه البدين الأملس، وتخيلت جاين المسكينة واقعة بين يديه، شعرت بالغضب الشديد من أنني لا أحمل مسدسي - كنت سارديه قتيلاً في الحال.

عندما وصلنا إلى بورتسموث، استقل ويتنجتون سيارة أجرة وأعطى سائقها اسم أحد الفنادق. فعلت مثلما فعل، وكانت سيارتي متأخرة عن سيارته بمقدار ثلاث دقائق. قام ويتنجتون باستئجار غرفة، فاستأجرت واحدة أنا أيضاً. كنت طوال هذا الوقت أراقبه من بعيد، فلم ينتبه إلى أنه مراقب. بعد ذلك جلس في هذا الفندق يقرأ الجريدة وما إلى ذلك حتى حان وقت العشاء، فنهض يتناول

البناتول عشاءه.

كنت قد بدأت أعتقد أنه لن يحدث شيء، وأنه قد حضر في رحلة صحية، ولكني لاحظت أنه لم يذهب لتغيير ملابسه ويرتدي ملابس العشاء، على الرغم من أن الفندق كان من فنادق الدرجة الممتازة، لذا كان من المرجح أنه سيخرج من الفندق بعد العشاء.

وبالفعل، عندما كانت الساعة تشير إلى حوالي الساعة التاسعة مساءً، خرج من الفندق. استأجر سيارة أجرة وعبر بها المدينة - بالمناسبة، إنها مدينة رائعة الجمال، أعتقد أنني سأصطحب جاين إلى هناك لقضاء العطلة عندما أجد لها - ثم دفع أجرة السيارة وترجل منها بجانب غابات الصنوبر التي تعلو الجرف الصخري. كنت قد تبعته إلى هناك، سار بعد ذلك لحوالي نصف الساعة. كانت هناك الكثير من القيلات على طول الطريق، ولكن بعد ذلك بدأ عددها يقل أكثر فأكثر، وفي النهاية وصل إلى واحدة بدا أنها الأخيرة في هذا المكان. كانت عبارة عن منزل كبير تحيط به أشجار الصنوبر.

كانت أمسية جميلة بدون قمر، وكان الطريق المؤدي إلى المنزل غارقاً في الظلام الدامس. كنت أسمع صوته أمامي، إلا أنني لم أتمكن من رؤيته. كان علي أن أسير بحذر حتى لا يرتاب في وجود من يتبعه. كنت أستدير في منحنى على الطريق عندما رأيته يقف جرس باب المنزل ويدلف إليه. تسمرت مكاني، وكانت السماء قد بدأت تمطر، وكنت قد بدأت أشعر بالمياه تبلل ملابسي بأكملها. كما أن الجو كان بارداً للغاية.

لم يخرج ويتنجدون من المنزل مرة أخرى، حينها شعرت ببعض الاضطراب وبدأت في التسكع خلسة. كانت جميع النوافذ في الطابق الأرضي مغلقة بإحكام ولكن في الطابق الأول (كان المنزل مكوناً من طابقين) لاحظت أن هناك نافذة يظهر الضوء من خلفها ولم تكن الستائر مسدلة.

كانت هناك شجرة بالقرب من هذه النافذة. كانت على بعد حوالي ثلاثين قدماً من المنزل، وراودتني فكرة أنني لو تسلقت هذه الشجرة فسيمكنني أن أرى ما بداخل الغرفة. كنت أدرك، بلا شك، أنه ليس من المفترض أن يكون ويتنجدون متواجداً في هذه الغرفة بالذات، وأنه قد يكون في أية غرفة أخرى - ومن الممكن أن يكون في واحدة من غرف الضيافة في الطابق الأرضي، ولكني أعتقد أنه قد انتابني نوبة قلق من وقوفي لوقت طويل تحت المطر، وكان يبدو لي أن فعل أي شيء أفضل من عدم فعل أي شيء. لذا بدأت في تسلق الشجرة.

لم يكن تسلق الشجرة بالأمر اليسير، فقد جعلت الأمطار أغصانها زلقة، وكل ما أتمكن من فعله في البداية هو جعل قدمي تركز على شيء ما، ولكنني تمكنت بالتدريج من التسلق حتى وصلت في النهاية إلى مستوى النافذة.

ولكن شعرت حينها بخيبة الأمل. فقد كان موقعي بعيداً عن النافذة نحو اليسار. كنت قادراً على رؤية جوانب الغرفة، وجزء من الستائر وبيارة واحدة من ورق الحائط فقط، ولكن هذا لم يكن يناسبني. بينما كنت بصدد الاستسلام، والهبوط من على الشجرة، تحرك شخص ما فسقط ظله على الحائط الذي يمكنني رؤيته - وللمحظ السعيد، كان ويتنجدون.

بعد ذلك، تصاعد الدم في رأسي، فقد كان يجب علي أن ألقى نظرة على ما يحدث داخل الغرفة، وكان علي أن أكتشف كيف أقوم بهذا. لاحظت وجود أحد الغصان الشجرة يتجه نحو اليمين. إذا ما تمكنت من الزحف عليه حتى منتصفه، فسأتمكن من اللقاء نظرة على ما يجري داخل الغرفة، ولكنني لم أكن واثقاً بما إذا كان الغصن سيتحمل وزني أم لا، فقررت أن أخاطر وأقدم على الزحف عليه، وبدأت الزحف عليه بالفعل بحذر شديد بوصة بعد بوصة. بدأ الغصن في التكسر والتمايل بشدة، ولكنني لم أحاول التفكير فيما سيحدث إذا ما سقطت، ووصلت في النهاية إلى المكان الذي كنت أرغب في الوصول إليه.

كانت الغرفة متوسطة الحجم، وكانت مفروشة بطريقة صحية. كانت هناك طاولة عليها مصباح تقع في منتصف الغرفة، وكان ويتنجدون يجلس أمام الطاولة مواجهاً للنافذة التي أقف خلفها. كان ويتنجدون يتحدث مع امرأة ترتدي ثياب الممرضات. كانت تجلس وظهرها يواجهني، لذا لم أتمكن من رؤية وجهها. على الرغم من أن الستائر كانت مرفوعة، كانت النافذة نفسها مغلقة، لذا لم أتمكن من سماع أي شيء مما يُقال. كان يبدو أن ويتنجدون هو من يتحدث، وكانت الممرضة تستمع لما يقول. كانت الممرضة تومئ برأسها من وقت لآخر كما لو كانت تجيب عن أسئلته. كان ويتنجدون يبدو حازماً - وضرب بقبضته على سطح الطاولة مرة أو مرتين. كانت الأمطار قد توقفت في ذلك الوقت، وبدأت السحب تنقشع بشكل مفاجئ.

أوما جوليوس برأسه وتابع حديثه قائلاً: "سألت مرة أخرى: كيف حدث هذا؟ فأجابني الطبيب بحفاف: لقد سقطت من فوق واحدة من أشجار على أحد أحواض الزهور الجديدة الخاصة بي.

أعجبني الرجل، فقد كان يبدو أنه يمتلك بعضاً من حس الفكاهة. شعرت بأنه رجل صريح للغاية، فقلت: حسناً أيها الطبيب. أعتذر عما حدث للشجرة، وأعتقد أنني سأحمل تكلفة حوض الزهور الجديد، ولكنني أعتقد أنك ترغب في معرفة ما كنت أفعله في الحقيقة، أليس كذلك؟ رد عليّ الطبيب قائلاً: أعتقد أن ما حدث يحتاج إلى تفسير. فقلت: "بادئ ذي بدء، أنا لم أكن أنوي سرقة ملاعق المنزل".

"ابتسم الطبيب وقال: "كانت هذه نظريتي الأولى، ولكنني سرعان ما غيرتها. بالمناسبة، هل أنت أمريكي؟"، فأخبرته باسمي، وسألته: وأنت؟ فقال: يا الطبيب هول، وهذه هي عيادتي الخاصة.

"لم أكن أعلم هذا، ولكنني لم أكن أنوي أن أخبره بهذا. كنت ممتناً للمعلومات التي حصلت عليها. كان الرجل يعجبني، واعتقدت أنه رجل شريف، ولكنني لم أكن أنوي أن أقص عليه قصتي بأكملها، ربما لأنه لم يكن سيصدقني.

قررت على الفور أن أقول: "معذرة أيها الطبيب، أشعر بأني شديد الحمق، ولكنني أريدك أن تعرف أنني لم أكن أنوي شراً". ثم بدأت أقص عليه قصة عن فتاة والرجل الصارم الذي تعيش في كنفه وإصابتي بانهايار عصبي، وفي النهاية قلت له إنني تخيلت أنها واحدة من المرضى في هذه العيادة، لذا قمت بمغامرتي الليلية تلك.

أعتقد أنها كانت من نوعية القصص التي كان يتوقعها، حيث قال: يا لها من قصة رومانسية! فقلت له: "والآن أيها الطبيب، هل ستكون صريحاً معي؟ هل هناك فتاة هنا، أو كانت مريضة هنا في أي وقت سابق، تُدعى جاين فين؟". كرر الاسم قائلاً: "جاين فين؟ لا".

"شعرت بالضيق، واعتقدت أنني أظهرت له ذلك، وقلت: "هل أنت واثق؟"، فقال: "تمام الثقة يا سيد هيرشايمر. إنه اسم غير شائع، ولم أكن لأنساه قط".

كان يبدو أن ويتجتون قد انتهت من حديثه، فنهض وكذلك نهضت الممرضة نظراً نحو النافذة وسألها عن أمر ما، أعتقد أنه كان يسألها عما إذا كانت السماء تمطر. على أية حال، توجهت الممرضة نحو النافذة ونظرت خارجها، في الوقت ذاته سطع ضوء القمر من خلف السحب. خفت أن تلاحظ المرأة وجودي في ضوء القمر. حاولت أن أتحرك قليلاً للخلف، ولكن لم يتحمل غصن الشجرة الحرارة المفاجئة التي قمت بها، فانكسر الغصن بصوت عالٍ وسقط على الأرض وأنا معه".

شهقت توبينس وهي تقول: "أوه، جوليوس، يا له من أمر مثير، استمر". قال جوليوس: "من حسن حظي، سقطت على تربة لينة - ولكنني فقدت الوعي. الأمر التالي الذي أتذكره، هو أنني كنت راقدًا على فراش، وكانت هناك ممرضة (ليست ممرضة ويتجتون) تجلس على أحد جانبي الفراش، وكان هناك رجل ضئيل الحجم أسود اللحية يرتدي نظارات ذات إطار ذهبي، ورجل يبدو عليه أنه طبيب، على الجانب الآخر. فرك الطبيب يديه ببعضهما ورفع حاجبيه وهو يقول: حسناً، لقد أفاق صديقنا الشاب مرة أخرى، ممتاز، ممتاز.

كانت تبدو عليّ أمارات الدهشة، فقلت: "ماذا حدث؟ وأين أنا؟"، ولكنني أدركت أن إجابة السؤال الأخير معروفة، فقد كان عقلي يعمل بكفاءة. قال الرجل ضئيل الحجم: أعتقد أن هذا يكفي للوقت الحالي أيتها الممرضة، ففادرت الممرضة الغرفة بطريقة تدل على التدريب الجيد، ولكنني رأيتهما تنظر لي بطريقة تحمل الكثير من الفضول بينما كانت تخرج من الباب.

واقتنت فكرة ما يفضل نظرتها لي فقلت: "والآن أيها الطبيب"، وحاولت أن أجلس في الفراش ولكن قدمي اليمنى كانت تؤلمني بشدة. قال الطبيب مفسراً: التواء بسيط في الكاحل. لا شيء خطير، سيممكنك أن تسير عليها في خلال يومين".

قالت توبينس: "لقد لاحظت أنك تعرج".

حسناً، لقد كان الرجل صريحاً، الأمر الذي جعلني أصمت لبعض الوقت. كنت أأمل أن ينتهي بحثي هنا. قلت في النهاية: هذا كل شيء. والآن، هناك أمر آخر. بينما كنت معلقاً على هذا الفصن المشثوم، رأيت صديقاً قديماً يتحدث إلي واحدة من ممرضاتك؛ كنت قد تمعدت عدم ذكر أية أسماء، لأنني اعتقدت أنه لا شك في أن ويتجنون يُدعى باسم آخر هنا، ولكن الطبيب أجاب على الفور: "ربما كان السيد ويتجنون؟"؛ فقلت له: "نعم، إنه هو. ماذا كان يفعل هنا؟ لا تقل لي إن أعصابه مرهقة؟".

ضحك الطبيب هول وقال: "لا. لقد أتى لرؤية واحدة من ممرضاتي الممرضة إديث، ابنة أخيه. قلت على الفور: "أعتقد أنه لا يزال هنا؛ قال الطبيب: "لا، لقد عاد للمدينة على الفور"؛ فقلت: "واه أسفاه، ربما كان باستطاعتي أن أتحدث مع ابنة أخيه - الممرضة إديث، هل هذا هو اسمها؟".

ولكن الطبيب هز رأسه نفيًا وقال: "أعتقد أن هذا ليس ممكناً أيضاً، فقد غادرت هي الأخرى مع أحد المرضى الليلة؛" فقلت: "بيدو أن الحظ يعاندي هل تعرف عنوان السيد ويتجنون في المدينة؟ أعتقد أنه يجب علي أن أذهب لرؤيته عندما أعود؛" فقال الطبيب: "أنا لا أعرف عنوانه، ولكن يمكنني أن أكتب رسالة للممرضة إديث أسألها عنه إذا أحببت؛" فشكرته وقلت: "ولكن لا تخبرها بمن يريد العنوان - أريد أن أفاجئه".

كان هذا هو كل ما أمكنني فعله في تلك اللحظة. لاشك في أن تلك الفتاة إن كانت ابنة أخيه بالفعل، ستكون ساذجة بالقدر الكافي لتقع في الفخ. ولكن الأمر كان يستحق المحاولة. بعد ذلك، قمت بإرسال رسالة لتلغرافها لبيريسفورد أخبره فيها بمكاني، وأنتي طريق الفراش بسبب التواء كاحلي، وأن يأتي لاصطحابي إذا لم يكن مشغولاً بأمر ما. كان يجب أن أكون حذراً فيما أكتبه ولكنه لم يرسل لي رداً، ثم سرعان ما شفيت قديمي، فقد كانت مجرد كدمة وليس التواء، لذا ودعت الطبيب الشاب اليوم، وطلبت منه أن يعث لي برسالة إذا ما أخبرته الممرضة إديث بالعنوان، وعدت مباشرة إلى المدينة. ما الأمر يا أنسة توبينس، إنك تبدين شاحبة؟".

قالت توبينس: "إنه تومي. ما الذي من المحتمل أن يكون قد حدث له؟".
قال جوليوس: "لا تقلقي، أعتقد أنه بخير، ولم لا؟ اسمعي، كان الرجل الذي يسميه بيدو أجنبيًا. ربما تبعه إلى خارج البلاد - إلى بولندا أو شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟".

هزت توبينس رأسها نفيًا وقالت: "لن يمكنه ذلك دون جواز سفره وأمتعته، كما أنني رأيت الرجل - اسمه بوريس أو شيء ما. لقد تناول العشاء مع السيدة فانديمير ليلة البارحة".

قال جوليوس: "السيدة من؟".
قالت توبينس: "لقد نسيت أنك لا تعلم شيئاً عن الأمر".
قال جوليوس، وظهر على وجهه التعبير الذي يفضلُه: "كلّي أذان مصغية. أغبريني بالأمر".

قصت عليه توبينس أحداث اليومين السابقين، وكانت دهشة جوليوس وأعجابه لا حدود لهما، وقال: "يا لك من جريئة. لا يمكنني أن أتخيلك خادمة. إن الأمر يجعلني أرغب في الضحك حتى الموت"، ثم أضاف بجديّة: "ولكن هذا الأمر لا يعجبني، لا يعجبني حقاً يا أنسة توبينس. إنك جريئة للغاية، ولكني أرغب في أن تتسحبي من هذا الأمر على الفور. إن المجرمين الذين نتعقبهم لن يورعوا عن قتل أية فتاة مثلكم يقتلون الرجال في أي وقت".

قالت توبينس بسخط وجراءة وهي تتذكر النظرات الحادة التي تطل من عيني السيدة فانديمير: "هل تعتقد أنني خائفة؟".

قال جوليوس: "لقد قلت من قبل إنك جريئة للغاية، ولكن هذا لن يغير من الحقائق شيئاً".

قالت توبينس بنضاد صبر: "لا تضايقني. دعنا نفكر فيما يكون قد حدث. تومي. لقد أرسلت رسالة للسيد كارتر أخبره فيها بالأمر"، وبدأت تخبره بقصوى الخطاب.

أوما جوليوس برأسه بشدة.

وقال: "أعتقد أن ما فعلته عين الصواب، ولكن يقع الأمر على عاتقنا لنفوز بشيء ما".

قالت توبينس: "وماذا يمكننا أن نفعل؟".

قال جوليوس: "أعتقد أنه من الأفضل أن نراقب بوريس. أنت تقولين إنه قد حضر للمنزل الذي تعملين فيه. هل تعتقدين أنه من المحتمل أن يأتي مرة أخرى؟".

قالت توبينس: "ربما. لا أعلم حقاً".

قال جوليوس: "لقد فهمت. أعتقد أنه من الأفضل أن أشتري سيارة، سيارة ممتازة، وأتظاهر بأنني سائق وأبدأ في التسكع أمام المنزل، وإذا ما حضر بوريس فيمكنك أن ترسلي لي إشارة ما لأبدأ في تعقبه. ما رأيك في هذا؟".

قالت توبينس: "رائع، ولكنه قد لا يأتي إلا بعد أسابيع".

قال جوليوس: "حسناً، علينا أن نجرب هذا، ويسرني أن الخطأ أعجبك". ثم نهض واقفاً.

قالت توبينس: "إلى أين أنت ذاهب؟".

قال جوليوس: "سأذهب لشراء السيارة بالطبع. أي نوع تفضلين؟ أعتقد أنك سترغبين في قيادتها قبل أن ينتهي الأمر".

قالت توبينس بهدوء: "أوه، أفضل رولزرويس، ولكن —"

وافقها جوليوس قائلاً: "بالطبع. سأنفذ ما تأمرين به. سأشتري واحدة هي الفور".

صاحت توبينس قائلة: "ولكن لا يمكنك شراؤها على الفور. إن الناس ينتظرون لوقت طويل قبل الحصول على واحدة".

طمأنها السيد هيرشايمر قائلاً: "ولكن جوليوس لا يفعل. لا تقلقي. سأحضر السيارة وأعود بعد نصف الساعة".

ذهبت توبينس من مكانها.

وقالت: "إنك شخص طيب يا جوليوس، ولكن لا يمكنني التوقف عن التفكير في كون هذا الأمل واهياً. إنني أضع أمني كله في السيد كارتر".

قال جوليوس: "لا يجب علي أن أفعل إذن".

قالت توبينس: "لماذا؟".

قال جوليوس: "مجرد فكرة واتتني".

قالت توبينس: "ولكن يجب عليه أن يفعل شيئاً ما. لا يوجد شخص آخر يمكنه ذلك. بالمناسبة، نسيت أن أخبرك بأمر غريب حدث هذا الصباح".

قصت عليه مقابلتها مع السير جايمس بيل إدجارتون، فقال لها جوليوس باهتمام: "ماذا كان يعني هذا الرجل في اعتقادك؟".

قالت توبينس وهي تفكر بعمق: "لا أعلم، ولكنني أعتقد أنه كان يحذرني بطريقة غامضة وقانونية دون إحجاف المحامين المعتاد".

قال جوليوس: "ولماذا فعل ذلك؟".

أقرت توبينس قائلة: "لا أعلم، ولكنه بدا ودوداً، وماهراً للغاية. أنا لا أمانع في أن أذهب إليه وأخبره بكل ما يجري".

لدهشتها، عارض جوليوس هذه الفكرة بشدة.

قال: "اسمعي، إننا لا نريد أن ندخل أي محامين في هذا الأمر. إن هذا الرجل إن يمكنه مساعدتنا بأية طريقة كانت".

قالت توبينس: "ولكنني أعتقد أنه قادر على مساعدتنا".

قال جوليوس: "لا تفكري في هذا. إلى اللقاء، سأعود بعد نصف الساعة".

عاد جوليوس بعد نصف ساعة وخمس دقائق، وسحب توبينس من ذراعها نحو الحافلة.

وقال: "ها هي السيارة".

قالت توبينس بصوت يحمل نبرة الدهشة وحدقت في السيارة الفخمة، فقال جوليوس: "إنها قادرة على إحلال السلام".

قالت توبينس: "كيف تمكنت من الحصول عليها؟".

قال جوليوس: "كانت سترسل إلى شخصية مهمة".

قالت توبينس: "وماذا بعد؟".

قال جوليوس: "ذهبت إلى منزله وقلت له إنني أعتقد أن سيارة مثل هذه تستحق عشرين ألف دولار، وأخبرته بأنها تساوي بالنسبة لي خمسين ألف دولار إذا ما باعها لي على الفور".

قالت توبينس مبهورة: "وماذا بعد؟".

قال جوليوس: "لقد باعها لي، هذا كل شيء".

الثاني عشر

صديق في ورطة

في يوم الجمعة والسبت في هدوء من دون أحداث تذكر، حيث وصل ل توبينس رسالة على رسالتها للسيد كارتر جاء فيه أن شباب المغامرين قد وافقوا على القيام بالعمل على مسئوليتهم الخاصة، وأنهم كانوا على دراية كاملة بالمخاطر. أي شيء قد يحدث ل تومي سيكون نادماً عليه أشد الندم، ولكن لا يمكنه أن يفعل أي شيء تجاهه.

كان ما قاله السيد كارتر لا يسمن ولا يغني من جوع. بدون تومي، لم يكن للمغامرة معنى، وللمرة الأولى شعرت توبينس بعدم ثققتها في النجاح. عندما كانا مع بعضهما، لم تكن تشك في النجاح على الإطلاق. وعلى الرغم من أنها اعتادت أن تكون في موقع القيادة، وأن تفتخر بسرعة بديتها، فإنها في واقع الأمر كانت تعتمد على تومي أكثر مما كانت تعتقد في ذلك الحين. كان تومي يتمتع بالرزانة ورجاحة العقل، فقد كانت عقلانيته وصواب رؤيته ثابتين، لذا كانت توبينس تشعر بدونه بأنها سفينة بدون دفة. كان من الغريب أن جوليوس، الذي كان أكثر مهارة من تومي، لم يعطها الإحساس نفسه بالدعم. لطالما اتهمت تومي بالتشاؤم لأنه كان يرى عيوب الأمور وصعوبتها في حين كانت هي تنظر لجميع

الأمر بتساؤل، إلا أنها كانت تعتمد كثيراً على حكمه على الأمور. ربما كان بطيهاً قليلاً في التعامل، ولكنه كان واثقاً مما يفعل.

أدركت توبينس للوهلة الأولى الطبيعة الشريرة للمهمة التي قبلها بدون اكتراث. لقد بدأ الأمر كما لو كان رواية رومانسية، أما الآن، بعد أن اختفت فتنتها، فقد ظهر وجهها القبيح. تومي كان كل ما يهمها في الوقت الحالي. كانت توبينس تجهش بالبكاء عدة مرات في اليوم، وكانت تقول لنفسها: "أيها الحمقاء، لا تبكي. لا شك في أنك - تحببته. لقد كنت تعرفينه طوال حياتك، ولكن لا يجب أن تتعامل مع الأمر بعاطفية شديدة".

في الوقت ذاته، لم يظهر بوريس مرة أخرى. لم يذهب إلى الشقة مرة أخرى، وكان جوليوس وسيارته ينتظران دون طائل. كانت توبينس قد استسلمت لفكرة جديدة، فعلى الرغم من أنها قد أقرت بصحة اعتراضات جوليوس، فإنها لم تنفض عن تفكيرها فكرة إخبار السير جايمس بيل إدجارتون بما يجري، لدرجة أنها بحثت عن عنوانه في الكتاب الأحمر. هل كان يقصد أن يحذرنا في ذلك اليوم؟ وإذا كان هذا ما يقصده، فما السبب؟ كان من حقها على الأقل أن تطلب تفسيراً لما قال. كان الرجل ينظر إليها بعطف، وربما كان قادراً على إخبارهم بأمر ما بخصوص السيدة فانديمياير من شأنه أن يكشف لهم مكان تومي.

على أية حال، قررت توبينس، بطريقتها المعتادة في هز كتفيها، أن تجرب هذه الفكرة. كان يوم الأحد هو موعد خروجها في فترة ما بعد الظهر، وكان من المفترض أن تقابل جوليوس لكي تمنعه بفكرتها ويذهب ليوافقها الأسد في عرينه.

عندما حل اليوم المنشود، لاقت توبينس صعوبة كبيرة في إقناع جوليوس ولكنها تماسكت أمام معارضته الشديد ب تكرار قولها: "لن يضرنا شيء". استسلم لها جوليوس في النهاية واستقلا السيارة متوجهين نحو حي كارلتون السكني.

فتح رئيس الخدم الباب، وكانت توبينس تشعر بقدر قليل من العصبية، فربما كان ما تفعله وقاحة من قبلها. قررت توبينس ألا تسأل عن وجود السير في المنزل، بل قررت أن تتحدث بأسلوب شخصي أكثر، فقالت: "هل يمكن أن تسأل

السير جايمس عما إذا كان باستطاعتي أن أقابله لبضع دقائق؟ أنا أحمل رسالة مهمة من أجله".

انصرف كبير الخدم وعاد بعد لحظات.

قال: "لقد وافق السير جايمس على مقابلتك. ادخلي من فضلك".

أشار لهما الخادم بالتوجه إلى غرفة في مؤخرة المنزل، كان الأثاث فيها يدل على كونها غرفة مكتبة. كانت الغرفة تحتوي على مجموعة رائعة من الكتب، ولا حظت توبينس أن هناك حائطاً كاملاً مكرساً لكتب عن الجريمة. كان هناك الكثير من المقاعد الوثيرة، ومدفأة مفتوحة عتيقة الطراز. بجانب النافذة، كان هناك مكتب ذو سطح متحرك تناثرت عليه الأوراق، والذي كان صاحب المنزل يجلس أمامه.

نهض السير جايمس من جلسته.

وقال: "إنك تحملين رسالة من أجلي، أليس كذلك؟ أه"، وتعرف على توبينس وابتهام وقال: "هذه أنت. هل تحملين رسالة من السيدة فانديمياير؟".

قالت توبينس: "ليس تماماً. في حقيقة الأمر، أخشى أنني قلت هذا لتوافق على رؤيتي. بالمناسبة، هذا هو السيد هيرشايمر، السير جايمس بيل إدجارتون".

قال الأمريكي وهو يمد يده للمصافحة: "تشرفت بلقائك".

قال السير جايمس وهو يجذب مقعدين: "ألن تجلسا؟".

قالت توبينس بجرأة: "سير جايمس، أعتقد أنك ستفكر في أن قدومي إلى هنا وقاحة مفطرة مني، لأن ما سأقصه عليك لا يتعلق بك على الإطلاق، كما أنك شخص بالغ الأهمية، وأنا وتومي لسنا مهتمين على الإطلاق"، توقفت للحظة لتلتقط أنفاسها.

سألتها السير جايمس وهو ينقل بصره إلى الأمريكي: "هل هذا هو تومي؟".

قالت توبينس: "لا، هذا جوليوس. أنا أشعر بالعصبية، وهذا ما يجعلني أعرض عليك الأمر بشكل سيئ. إن ما أرغب في معرفته هو ماذا كنت تقصد بما

قال السير جايمس: "حسناً، أخبريني بكل شيء. أريد أن أعرف من هو تومي".
شجع هذا القول توينيس على البدء بقص قصتها التي استمع لها المحامي
باهتمام شديد.

وقال عندما انتهت: "أمر مثير للغاية. هناك قدر كبير مما قلته يا بنيتي
أعلمه بالفعل. لقد كونت بعض النظريات بنفسي حول جاين فين. لقد قمت بعمل
اللع حتى الآن، ولكن من السيئ أن يقوم هذا الرجل - ماذا تطلقين عليه؟ -
السيد كارتر بتوريط شابين مثلكما في أمور من هذا النوع. بالمناسبة، من أين
أتى السيد هيرشايمر؟ إنك لم توضحني هذا".

أجاب جوليوس بنفسه:

"أنا ابن خال جاين"، ثم تبادل النظرات الصارمة مع المحامي.
قال السير جايمس: "أه".

فاطلعتهما توينيس قائلة: "سير جايمس، ما الذي تعتقد أنه حل بـ تومي؟".
نهض المحامي وبدأ يجوب أرجاء الغرفة قائلاً: "عندما وصلت أيتها الشابة،
كنت أعد عدتي لأذهب إلى اسكوتلانديارد في قطار الليل لأتقصى بعض الأمور.
ولكن هناك أموراً أخرى سأقصاها الآن. أعتقد أنني سأبقى لأرى ما إذا كان
يأسطاعنا أن نفتحي أثر هذا الشاب أم لا".

شبكت توينيس أصابع يديها معاً في اهتمام وقالت: "أوه".

قال السير جايمس: "كما قلت من قبل، من السيئ أن يورط السيد كارتر
مفلين مثلكما في أمور من هذا القبيل، لا تشعرني بالإهانة يا آنسة —"
قالت توينيس: "كاولي، برودنس كاولي، ولكن أصدقائي يطلقون عليّ
توينيس".

قال السير جايمس: "حسناً، يا آنسة توينيس، فلا شك في أنني سأكون أحد
أصدقائك. لا تشعرني بالإهانة لأنني أعتقد بالفعل أنكما ما زلتما صغيرين. إن
الشباب هو مرحلة الفشل التي تشيق النضوج. والآن، دعونا نتحدث عن هذا
الشاب تومي —"

قلته لي في ذلك اليوم؟ هل كنت تقصد تحذيري من السيدة فانديمياير؟ هل كنت
تقصد ذلك؟".

قال السير جايمس: "سيدتي العزيزة، ما أتذكره هو أنني قلت إن هناك وظائف
على نفس القدر من الجودة في أماكن أخرى".

قالت توينيس: "نعم، أعلم هذا، ولكن هذا كان تلميحاً، أليس كذلك؟".

أقر السير جايمس قائلاً: "نعم، ربما كان كذلك".

قالت توينيس: "حسناً إذن، أرغب في معرفة المزيد. أرغب في أن أعرف لماذا
قلت هذا التلميح لي".

ابتسم السير جايمس أمام إصرارها.

وقال: "افترضني أن تقوم السيدة بالتشهير بي".

قالت توينيس: "نعم، أعلم أن المحامين يتعاملون بحذر مع هذه الأمور،
ولكن يمكننا أن نقول "دون حكم مسبق" أولاً، ثم نقول ما نرغب في قوله".

قال السير جايمس ولم تفارق الابتسامة شفثيه: "حسناً، بدون حكم مسبق، إذا
كانت أختي الصغيرة مجبرة على العمل، فإني لا أحبذ رؤيتها تعمل لدى السيدة
فانديمياير. لقد شعرت بأنه من واجبي أن ألمح لك بهذا. إنه مكان لا يلائم فتاة
صغيرة وعديمة الخبرة. هذا كل ما يمكنني قوله لك".

قالت توينيس وهي تفكر بعمق: "فهمت. شكراً جزيلاً لك، ولكنني لست عديمة
الخبرة، وكنت أعلم أنها امرأة سيئة عندما بدأت بالعمل لديها - في حقيقة الأمر،
هذا هو سبب عملي لديها -". توقفت عن الحديث ولاحظت الذهول على وجه
المحامي وتابع: "أعتقد أنه من الأفضل أن أقص عليك القصة بأكملها يا
سير جايمس. يراودني شعور بأنك ستكتشف في لحظات قليلة ما إذا كنت أقول
الحقيقة أم لا. ولذلك، ربما من الأفضل أن تعرف القصة من البداية. ما رأيك
يا جوليوس؟".

رد الأمريكي الذي كان يجلس صامتاً: "كما تريد، سأقول جميع الحقائق
التي أعرفها".

شبكت توبينس أصابع يديها وقالت: "نعم".

قال السير جايمس: "بصراحة، يبدو أن الأمور قد تعقدت معه. أعتقد أنه قد وضع في مكان رغباً عنه - لاشك في هذا، ولكن لا تفقدي الأمل".

قالت توبينس: "هل ستساعدنا حقاً؟ جوليوس هذا كان لا يريدني أن أتي لك".

قال المحامي وهو يرمق جوليوس بنظرة حادة: "لماذا؟".

قال جوليوس: "أعتقد أنه لن يكون الأمر جيداً إذا ما أزعجناك بأمرنا مثل هذا".

قال السير جايمس: "فهمت"، ثم توقف عن الحديث للحظة واستطرد قائلاً: "هذا الأمر التافه، كما تطلق عليه، يحمل في طياته أمراً شديداً الأهمية، ربما أكثر أهمية مما قد تتخيل أنت والأنسة توبينس. إذا كان هذا الصبي لا يزال على قيد الحياة، فربما يمتلك معلومات غاية في الأهمية ليخبرنا بها، لذا يجب علينا أن نعثر عليه".

قالت توبينس: "نعم، ولكن كيف؟ لقد حاولت التفكير في جميع السبل".

ابتسم السير جايمس.

وقال: "هناك شخص واحد بين يدينا من المؤكد أنه يعلم مكانه، أو أين يمكن أن يكون".

سألته توبينس حائرة: "من هو هذا الشخص؟".

قال السير جايمس: "السيدة فاندimaير".

قالت توبينس: "نعم، ولكنها لن تخبرنا بأي شيء".

قال السير جايمس: "هذا هو دوري. أعتقد أنني قادر على أن أجعل السيدة فاندimaير تخبرني بما أرغب في معرفته".

سألته توبينس وعيناها جاحظتان في محجريهما: "كيف؟".

أجابها السير جايمس في بساطة: "سأسألها. هذه هي طريقة عملنا كما تعلمين".

طرق السير جايمس بأصابعه على الطاولة، وشعرت توبينس مرة أخرى بالقوة المفرطة التي تشع منه.

سأله جوليوس فجأة: "وإذا لم تخبرك؟".

قال السير جايمس: "أعتقد أنها ستخبرني. إنني أمتلك بعض الأساليب القوية. ولكن إذا تمكنت من مقاومة أساليبي، فهناك دائماً حل الرشوة".

قال جوليوس وهو يضرب سطح الطاولة بصوت عالٍ: "بالتأكيد. هذا مجال التخصص. يمكنك أن تعتمد عليّ إذا ما احتجت إلى مليون دولار. نعم يا سيدي، مليون دولار".

جلس السير جايمس ورمق جوليوس بنظرة طويلة.

ثم قال أخيراً: "سيد هيرشايمر، إنه مبلغ كبير للغاية".

قال جوليوس: "يجب أن يكون كذلك، لا أعتقد أن هؤلاء الأشخاص من النوعية التي تترضي بالمبالغ الزهيدة".

قال السير جايمس: "بمعدل أسعار تبادل العملات الحالي، أعتقد أن المبلغ قد يتجاوز مائتين وخمسين ألف جنيه".

قال جوليوس: "لا بأس. أعتقد أنك تراني أتحدث دون أن أعي ما أقول، ولكنني أملك هذا المبلغ بالفعل، بل وأكثر بما يكفي لأن أدفع مصروفاتك".

احمر وجه السير جايمس قليلاً.

وقال: "أنا لم أطلب أية مصروفات يا سيد هيرشايمر. أنا لست محققاً خاصاً".

قال جوليوس: "أعذرني، يبدو أنني قد تسرعت في القول، ولكنني أشعر بالسوء عندما يتعلق الأمر بالمال. لقد كنت أرغب في تقديم مكافأة كبيرة مقابل أية معلومات عن جاين منذ بضعة أيام، ولكن نصحني الرجال في اسكوتلانديارد بالأجل، حيث قالوا إنه أمر لا يحبذونه".

قال السير جايمس باقتضاب: "ربما كانوا محقين".

قالت توبينس: "لا بأس بـ جوليوس، إنه لا يخدعك. إنه يملك الكثير من المال".

فسر له جوليوس الأمر قائلاً: "لقد ترك لي والدي الكثير من المال، والآن دعونا نتحدث في العمل. ما هي فكرتك؟".

فكر السير جايمس لبضع لحظات.

قال: "لا يوجد وقت لتضيعه. كلما بكرنا بالتنفيذ، كان أفضل"، ثم التفت إلى توبينس وقال: "هل ستتناول السيدة فانديمياير العشاء خارج المنزل اليوم؟".

قالت توبينس: "نعم، أعتقد هذا، ولكنها لن تتأخر في الخارج، وإلا كانت ستأخذ مفتاح الباب معها".

قال السير جايمس: "جيد. سامر عليها في حوالي العاشرة مساءً. متى من المفترض أن تعود؟".

قالت توبينس: "في التاسعة والنصف أو العاشرة، ولكن يمكن أن أعود مبكراً". قال السير جايمس: "لا تفعل هذا أبداً. ستثيرين شكوكها إذا ما عدت مبكراً عن موعدك. عودي في التاسعة والنصف. سأصل في العاشرة. سينتظر السيد هيرشايمر في سيارة أجرة في الأسفل".

قالت توبينس بخضر: "إنه يمتلك سيارة رولز رويس جديدة".

قال السير جايمس: "هذا أفضل. إذا ما تمكنت من الحصول على العنوان منها، يمكننا أن نذهب إلى هناك على الفور، وسأخذ السيدة فانديمياير معنا إذا ما كنا بحاجة لذلك. هل تفهمون؟".

نهضت توبينس واقفة وقالت بحماس: "نعم. أنا أشعر بأنني في حال أفضل". قال السير جايمس: "لا تأمل كثيراً في نجاح الأمر يا أنسة توبينس، اهدئي". التفت جوليوس للمحامي قائلاً: "سامر عليك بالسيارة حوالي الساعة التاسعة والنصف، أليس كذلك؟".

قال السير جايمس: "من الأفضل أن نفعل هذا. لن يكون ضرورياً أن تكون هناك سيارتان منتظرتان أسفل المبنى. والآن، أنسة توبينس، نصيحتي لك هي

أن تذهبي وتتناولي عشاء شهياً، شهياً للغاية، ولا تفكري في القيام بأي شيء لا يمكنك السيطرة على نتائجه".

صافحهما السير جايمس، وبعد لحظات كانا خارج منزله.

سألت توبينس جوليوس قائلة في سعادة وهي تهبط الدرج: "أليس رجلاً رائعاً؟ أوه جوليوس، أليس رجلاً رائعاً؟".

قال جوليوس: "حسناً، أعتقد أنه رجل رائع، وأنني كنت مخطئاً حيال اعتقادي أنه لا فائدة من الاستعانة به. هل نعود إلى فندق الريتز على الفور؟".

قالت توبينس: "أنا أرغب في المشي قليلاً، أنا أشعر بالكثير من الانفعال. هديني حتى المتنزّه، وسأترجل هناك، إلا إذا كنت ترغب في أن تأتي معي".

هز جوليوس رأسه نفياً.

وقال: "أريد أن أزود السيارة بالوقود وأرسل بضع برقيات".

قالت توبينس: "حسناً، سأقابلك في فندق الريتز الساعة السابعة. سيكون علينا أن نتناول العشاء في الغرفة. لا يمكنني أن أظهر في مكان عام بمثل هذه الملابس".

قال جوليوس: "سأطلب من فليكس أن يساعدنا في اختيار أصناف الطعام، إنه رئيس النادل. إلى اللقاء".

سارت توبينس وصولاً إلى المتعطف، ثم قامت بالنظر في ساعتها التي كانت تقترب من السادسة. تذكرت أنها لم تتناول الشاي، ولكنها كانت تشعر بانفعال شديد أنساها الشعور بالجوع. سارت توبينس إلى نهاية حدائق كينجستون، ثم هادت من الطريق نفسه وهي تشعر بأنها في حال أفضل بفضل الهواء المنعش والترييض. كان من الصعب عليها أن تتبع نصيحة السير جايمس وأن تخرج أحداث الليلة من رأسها. وبينما كانت تقترب أكثر فأكثر من منعطف حديقة هايد، كان الإغراء بالعودة إلى المنزل في حي ساوث أودلي لا يقاوم.

في النهاية، قررت أن الذهاب والقاء نظرة على المبنى من الخارج لن يضرها كثيراً، وربما ترحم نفسها من عذاب الانتظار حتى العاشرة.

كان حي ساوث أودلي السكني على حاله المعتادة. لم تكن توبينس تعلم ما الذي توقع رؤيته، ولكن رؤية المبنى المشيد بالطوب الأحمر هدأت من الشعور المتنامي وغير العقلاني بعدم الراحة الذي كان يمتاها. كانت على وشك الانصراف عندما سمعت صافرة حادة، وعندما استدارت رأت ألبرت يعدو في اتجاهها خارجاً من المبنى.

قطبت توبينس حاجبيها، فهي لم تكن ترغب في جذب الانتباه لوجودها في الحي، ولكن كان وجه ألبرت محمراً من شدة الانفعال.

وقال: "إنها ستذهب يا آنسة".

قالت توبينس: "من التي ستذهب؟"

قال ألبرت: "المحتالة. ريدي ريتا - السيدة فاندماير. إنها تعد حقائبها وأخبرتني بأن أحضر لها سيارة أجرة".

أمسكت توبينس بذراعه قائلة: "ماذا؟"

قال ألبرت: "إنها الحقيقة أيتها الأنسة، لقد اعتقدت أنك ربما لا تعلمين أي شيء عن الأمر".

صاحت توبينس: "ألبرت. ذلك رائع، لولاك لكانا فقدنا أثرها".

احمر وجه ألبرت في سعادة بفضل هذا الإجراء.

قالت توبينس وهي تعبر الطريق: "لا يوجد وقت لنضيجه، يجب أن أمنعها من الهرب، يجب ألا أجعلها تغادر حتى"، ثم توقفت عن الحديث للحظات، ثم قالت: "ألبرت، هل يوجد هاتف قريب؟"

هز الصبي رأسه نفيًا.

وقال: "توجد الهواتف في الشقق فقط، ولكن هناك هاتفًا عمومياً على ناصية الشارع".

قالت توبينس: "أذهب إلى هناك على الفور، واتصل بفندق الريتز، واسأل عن السيد هيرشايمر، وعندما يرد عليك أخبره بأن يحضر السير جايمس وأن يأتي على الفور، حيث إن السيدة فاندماير تحاول الهرب. إذا لم تتمكن من الوصول

إليه، فاتصل بالسير جايمس بيل إدجارتون - ستجد رقمه في دليل الهاتف، وأخبره بما يحدث. إنك لن تنسى الأسماء، أليس كذلك؟"

ردد ألبرت الأسماء ببساطة وقال: "ثقي بي يا آنسة، سأقوم بالمهمة على الوجه الأكمل، ولكن ماذا عليك؟ ألسنت خائفة من وجودك معها في المنزل؟"

قالت توبينس: "لا، لا بأس. اذهب وأجر الاتصالات الهاتفية، أسرع".

سحبت توبينس نفساً عميقاً ثم دخلت المبنى السكني وصعدت مسرعة إلى الشقة رقم ٢٠. كيف ستعطل السيدة فاندماير حتى وصول الرجلين. إنها لا تعرف، ولكنها يجب أن تفعل ذلك بطريقة ما، ويجب عليها أن تقوم بالمهمة بمفردها. ما السبب في مغادرة السيدة فاندماير المفاجئة؟ هل ارتابت السيدة فاندماير في شأنها؟

لم توصلها توقعاتها لأي شيء، فضغطت جرس الباب بحدة. لابد أن تكون الطاهية على دراية بالأمر.

لم يفتح أحد الباب، وبعد بضع دقائق، ضغطت توبينس جرس الباب مرة أخرى، واستمرت في الضغط لفترة قصيرة من الوقت. سمعت أخيراً خطوات في الداخل، وبعد لحظات فتحت السيدة فاندماير الباب بنفسها. رفعت حاجبيها عندما رأت توبينس.

وقالت: "أنت؟"

قالت توبينس: "لقد شعرت بألم في أسناني يا سيدتي، لذا فضلت أن أعود للمنزل وأخذ للنوم".

لم تقل السيدة فاندماير أي شيء، ولكنها تراجعت للخلف وتركت توبينس تدخل الردهة، وهي تقول ببرود: "يا له من حظ تعس! عليك أن تخلد للنوم على الفور".

قالت توبينس: "سأكون بخير في المطبخ يا سيدتي. ستعد لي الطاهية —"

قالت السيدة فاندماير بطريقة كريمة: "الطاهية ليست هنا. لقد أرسلتها للخارج، لذا، وكما ترين، من الأفضل أن تخلد للنوم".

شعرت توبينس بالخوف فجأة، فقد كانت هناك نبرة في صوت السيدة فانديمياير لم ترتع لها، خاصة أنها بدأت في دفعها نحو نهاية الممر، ولكن توبينس استدارت للخلف. "أنا لا أرغب في —"

بعد ذلك، وفي لمح البصر، شعرت بحلقة من المعدن البارد تلتصق بجبهتها، وارتفع صوت السيدة فانديمياير في برود وحدة:

"أيتها الحمقاء، هل اعتقدت أنني لا أعلم؟ لا، لا تحبيبي. إذا ما قاومت أو صرخت سأطلق عليك النار مثل الكلاب الضالة".

ضغطت السيدة فانديمياير فوهة المسدس بقوة أكبر على صدغ توبينس، وتابعت قائلة: "والآن، سيرى، من هنا - داخل الغرفة. في خلال دقيقة، عندما أنتهي منك، ستذهبين للفراش كما أمرتك، وستنامين - أيتها الجاسوسة الصغيرة، ستنامين بعمق".

حملت الكلمات الأخيرة نغمة فظيعة لم تعجب توبينس على الإطلاق. لم تكن توبينس قادرة على فعل أي شيء في تلك اللحظة، فسارت كما أمرتها السيدة فانديمياير إلى داخل غرفة النوم، وكان المسدس لا يزال ملتصقًا بجبهتها. كانت الغرفة في حالة فوضى عارمة، فقد كانت الملابس متناثرة ذات اليمين وذات اليسار، وكانت هناك حقيبة ملابس وحقيبة قبعات في منتصف أرضية الغرفة في طور الإعداد.

جمعت توبينس رباطة جأشها بصعوبة، وكان صوتها مرتعشًا قليلًا ولكنها قالت بشجاعة:

"ما الأمر، ما هذا الجنون. لا يمكنك أن تطلقني النار عليّ، لأن جميع من في المبنى سيسمعون الصوت".

قالت السيدة فانديمياير بصرامة: "يمكنني أن أخاطر بهذا، ولكن مادمت لن تستغيثي طلبًا للمساعدة، فلا بأس - وأعتقد أنك لن تفعلي. إنك فتاة ماهرة. لقد خدعتني بمهارة، ولم أرتب في أمرك على الإطلاق. لذا أعلم جيدًا أنك تدركين أنني أمتلك زمام الأمور هنا. والآن - اجلسي على الفراش. ضعي يديك فوق رأسك، وإذا ما كنت تقدرين حياتك فلا تتحركي".

أطاعتها توبينس، فقد أخبرها منطلقها السليم بأنه لا يوجد شيء آخر لتفعله. هبّال هذا الموقف، إذا ما استغاثت طلبًا للمساعدة، فهناك احتمال ضئيل بأن يسمعها أي شخص، في حين سيكون هناك احتمال أكبر بأن تطلق عليها السيدة فانديمياير النار. في الوقت ذاته، كانت كل لحظة تؤخرها فيها ذات قيمة كبيرة. وضعت السيدة فانديمياير المسدس على حافة حوض غسيل بالقرب منها، وظلت تراقب توبينس مثل القط في حال حاولت أن تتحرك، والتقطت زجاجة مغلقة من مكانها على الرف الرخامي وصبت بعضًا من محتوياتها في كوب كانت قد ملأته بالماء.

سألتها توبينس بحدة: "ما هذا؟".

قالت السيدة فانديمياير: "شيء ما ليجعلك تنامين بعمق".

شحب وجه توبينس.

وقالت بصوت مبجوح: "هل هذا سم؟".

قالت السيدة فانديمياير وهي تبتسم: "ربما".

قالت توبينس بحزم: "لن أشربه إذن، أفضل أن تطلقني عليّ النار، على الأقل سيصدر صوتًا عاليًا، وربما يسمعه شخص ما، ولكني لن أموت في صمت كالحمل".

ضربت السيدة فانديمياير الأرض بقدمها.

وقالت: "لا تكوني حمقاء. هل تعتقدين أنني أرغب في الضرار وأترك قتيلًا خلفي؟ إذا ما كنت تفكرين بمنطقية لأدركت أن تسميمك لا يناسبني على الإطلاق. إنه عقار منوم، هذا كل شيء. ستستيقظين صباح الغد دون أن يمسك سوء. إنني لا أرغب في تحمل عناء تقييدك بالحيال وحبسك هنا. هذا هو البديل - ولكنك إن تحبيبي، يمكنني أن أكون قاسية للغاية إذا ما اخترت هذا. لذلك، اشربي العقار القاتلة المهذبة، ولن يمسك أي سوء".

صدقته توبينس نقيّة السريرة، فقد كان ما قالته السيدة فانديمياير يبدو منطقيًا. لقد كانت هذه الطريقة سريعة وفعالة لإزاحتها عن الطريق في الوقت

أطاعتها توبينس، فقد أخبرها منطلقها السليم بأنه لا يوجد شيء آخر لتفعله بهذا المكان الموقف. إذا ما استغاثت طلباً للمساعدة، فهناك احتمال ضئيل بأن يسمعها أي شخص، في حين سيكون هناك احتمال أكبر بأن تطلق عليها السيدة فانديمياير النار. في الوقت ذاته، كانت كل لحظة تؤخرها فيها ذات قيمة كبيرة.

وضعت السيدة فانديمياير المسدس على حافة حوض غسيل بالقرب منها، وظلت تراقب توبينس مثل القط في حال حاولت أن تتحرك، والتقطت زجاجة مخلفة من مكانها على الرف الرخامي وصبت بعضاً من محتوياتها في كوب كانت قد ملأته بالماء.

سألتها توبينس بحدّة: "ما هذا؟"

قالت السيدة فانديمياير: "شيء ما ليجمعك تنامين بعمق."

شحب وجه توبينس.

وقالت بصوت مبحوح: "هل هذا سم؟"

قالت السيدة فانديمياير وهي تبتسم: "ربما."

قالت توبينس بحزم: "لن أشربه إذن، أفضل أن تطلقني على النار، على الأقل سيصدر صوتاً عالياً، وربما يسمعه شخص ما، ولكنني لن أموت في صمت كالحمل."

ضربت السيدة فانديمياير الأرض بقدمها.

وقالت: "لا تكوني حمقاء. هل تعتقدين أنني أرغب في الفرار وأترك قتيلاً خلفي؟ إذا ما كنت تفكرين بمنطقة لأدركت أن تسميكي لا يناسبني على الإطلاق. إنه عقار منوم، هذا كل شيء. ستستيقظين صباح الغد دون أن يمسك سوء. إنني لا أرغب في تحمل عناء تقييدك بالحبال وجيبك هنا. هذا هو البديل - ولكنك لن تحبيه. يمكنك أن أكون قاسية للغاية إذا ما اخترت هذا. لذلك اشربي العقار كالفأة المهدية، ولن يمسك أي سوء."

صدقتها توبينس نقيّة السريرة، فقد كان ما قالته السيدة فانديمياير يبدو منطقياً. لقد كانت هذه الطريقة سريعة وفعالة لإزاحتها عن الطريق في الوقت

شعرت توبينس بالخوف فجأة، فقد كانت هناك نبرة في صوت السيدة فانديمياير لم ترتع لها، خاصة أنها بدأت في دفعها ببطء نحو نهاية الممر، ولكن توبينس استدارت للخلف. "أنا لا أرغب في —"

بعد ذلك، وفي لمح البصر، شعرت بحلقة من المعدن البارد تلتصق بجبهتها، وارتفع صوت السيدة فانديمياير في برود وحدة:

"أيتها الحمقاء، هل اعتقدت أنني لا أعلم؟ لا، لا تجيبي. إذا ما قاومت أو صرخت سأطلق عليك النار مثل الكلاب الضالة."

ضغطت السيدة فانديمياير فوهة المسدس بقوة أكبر على صدغ توبينس، وتابعت قائلة: "والآن، سيرى، من هنا - داخل الغرفة. في خلال دقيقة، عندما أنتهي منك، ستذهبين للفراش كما أمرتك، وستنامين - أيتها الجاسوسة الصغيرة، ستنامين بعمق."

حملت الكلمات الأخيرة نغمة فظيعة لم تعجب توبينس على الإطلاق. لم تكن توبينس قادرة على فعل أي شيء في تلك اللحظة، فسارت كما أمرتها السيدة فانديمياير إلى داخل غرفة النوم، وكان المسدس لا يزال ملتصقاً بجبهتها. كانت الغرفة في حالة فوضى عارمة، فقد كانت الملابس متناثرة ذات اليمين وذات اليسار، وكانت هناك حقيبة ملابس وحقيبة قبعات في منتصف أرضية الغرفة في طور الإعداد.

جمعت توبينس رباطة جأشها بصعوبة، وكان صوتها مرتعشاً قليلاً ولكنها قالت بشجاعة:

"ما الأمر، ما هذا الجنون. لا يمكنك أن تطلقني النار عليّ، لأن جميع من في المبنى سيسمعون الصوت."

قالت السيدة فانديمياير بصرامة: "يمكنني أن أخاطر بهذا، ولكن مادمت لن تستغيث طلباً للمساعدة، فلا بأس - وأعتقد أنك لن تفعل. إنك فتاة ماهرة. لقد خدعتني بمهارة، ولم أرتب في أمرك على الإطلاق. لذا أعلم جيداً أنك تدركين أنني أمتلك زمام الأمور هنا. والآن - اجلسي على الفراش. ضعي يديك فوق رأسك، وإذا ما كنت تقدرين حياتك فلا تتحركي."

قالت السيدة فانديمياير بنفاد صبر: "نعم، نعم. أقسم على هذا".
رفعت توبينس يدها اليسرى المرتعشة وأمسكت بالكوب.
وقالت: "حسناً"، وفتحت فمها في تخاذل.

أطلقت السيدة فانديمياير تنهيدة تدل على الراحة، وتخلت عن حذرهما لثانية.
ثم في لمح البصر، ألقت توبينس الكوب إلى الأمام بكل ما أوتيت من قوة، وانتشر
السائل الذي كان في الكوب على وجه السيدة فانديمياير، وبينما كانت تشهق من
المهاجرة، مدت توبينس يدها اليمنى وأمسكت بالمسدس الذي كان على حافة
«موض الغسيل. بعد ذلك قفزت للخلف وصوبت المسدس نحو قلب السيدة
فانديمياير بثبات تام.

بعد انتصارها، أطلقت توبينس صيحة انتصار.
وقالت: "من في موضع القوة الآن؟".

تشنج وجه السيدة فانديمياير من شدة الغضب. تصورت توبينس للحظة أنها
ستقفز عليها، الأمر الذي وضعها في حيرة شديدة، حيث إنها كانت تخشى من
أن تطلق النار عليها. ولكن، تماثلت السيدة فانديمياير نفسها بصعوبة، وعادت
الابتسامة الشريرة ببطء لتكسو وجهها.

وقالت: "إنك لست حمقاء إذن. لقد كنت ماهرة، ولكن سيكون عليك أن تدفعي
الثمن - نعم، يجب أن تدفعي الثمن. إنني لا أنسى بسهولة".

قالت توبينس: "لقد فوجئت عندما تمكنت من خداعك بهذه السهولة. هل
استقدت حقاً أنني من نوع الفتيات اللواتي يتمرغن على الأرض طلباً للرحمة؟".
قالت السيدة فانديمياير بقسوة: "قد تفعلين ذلك في يوم ما".

أرسلت الطريقة الحقودة التي قالت بها السيدة فانديمياير هذه الكلمات
اشعريرة باردة في جسد توبينس، ولكنها لم تكن بصدد الاستسلام لها.

وقالت بود: "ماذا لو جلسنا قليلاً. إننا نهول من الأمور قليلاً ها هنا.
لا - ليس على الفراش. اجذبني أحد المقاعد بالقرب من الطاولة، نعم، هكذا.
والآن، سأجلس أمامك والمسدس أمامي - تحسباً لقيامك بأي شيء، رافع، والآن
المتحدث".

الحالي. ولكن توبينس لم تكن تحبذ فكرة أن تنام بهدوء بدون أن تناضل من أجل
حريتها. كانت تشعر بأنه بمجرد أن تفر السيدة فانديمياير، فإن الأمل الأخير
بالعثور على تومي سيضيع.

كانت توبينس سريعة البديهة، فقد مرت بخاطرها جميع هذه الأفكار في لمح
البصر. ورأت أن هناك فرصة، ولكنها فرصة معقدة، وقررت أن تخاطر بكل شيء
في محاولة أخيرة.

بناءً على ذلك، قفزت من الفراش وسقطت على الأرض عند قدمي السيدة
فانديمياير وهي تمسك بتورتها بشدة وتقول:

"لا أصدق، إنه سم - كنت أعلم أنه سم. لا تجعليني أشربه" - تعالى صوتها
بما يشبه الصراخ وهي تقول: "لا تجعليني أشربه".

نظرت لها السيدة فانديمياير وهي تزم شفتيها متعجبة من هذا الانهيار
المفاجئ.

وقالت: "انهضي أيتها الحمقاء، لا تصرفي بصيانية. كيف وאתك الجراء
على أن تخدعيني بتلك الطريقة"، ثم ضربت الأرض بقدمها وقالت: "قلت لك
انهضي".

ولكن توبينس واصلت التعليق بتنوارة السيدة فانديمياير وهي تبكي، وتخلل
بكاءها توسلات غير مفهومة بالرحمة. كانت كل دقيقة تعطلها فيها لمصلحتها،
علاوة على ذلك، كانت توبينس تتحرك نحو هدفها بدون أن تدرك الأخرى ذلك،
صاحت السيدة فانديمياير بنفاد صبر وجعلت توبينس تنهض لتجلس على
ركبتيها.

وقالت: "أشربيه في الحال"، ووضعت الكوب على شفتي توبينس.

أطلقت توبينس تأوهاً أخيراً يدل على اليأس.

وقالت: "هل تقسمين بأنه لن يضرني؟".

قالت السيدة فانديمياير: "بالطبع لن يضرك، لا تكوني حمقاء".

قالت توبينس: "هل تقسمين على هذا؟".

قالت السيدة فانديمياير: "عن ماذا؟".

نظرت لها توبينس لدقيقة، وكانت تتذكر بعض الأمور. كلمات بوريس "أعتقد أنك ستبيعنا"، وردها عليه: "يجب أن يكون السعر عاليًا"، الذي قالته بدون اكتراث، ولكنه كان صحيحًا، وربما لا يكون له أي أساس من الصحة. ألم يقل لها ويتنجتون منذ زمن: "من الذي كان يثرثر عن الأمر؟ ريتا؟". هل يمكن أن تكون ريتا فانديمياير البقعة الضعيفة في درع السيد براون؟

كانت توبينس تحقد في وجه السيدة فانديمياير بثبات وهي تقول:

"عن المال —"

جفلت السيدة فانديمياير، فلم تكن تتوقع هذا الرد، وقالت:

"ماذا تعنين؟".

قالت توبينس: "سأخبرك. لقد قلت منذ قليل إنك لا تنسين بسهولة، إن الذاكرة القوية لا تفيد مثل الجيب المتختم بالمال. يمكنني أن أقول إن ما سيربح مشاعرك هو التخطيط لجميع تلك الأمور الشريرة التي ترغبين في فعلها بي. ولكن السؤال هو، هل هذا عملي؟ إن الانتقام غير مرض بالمرة، الجميع يقولون هذا، ولكن المال —، صمتت توبينس لتثير خيال أسيرتها وقالت: "هل يوجد أي شيء غير مرضي بالمال؟".

قالت السيدة فانديمياير: "هل تعتقدين أنني من نوعية النساء اللواتي يبعن أصدقاهن؟".

قالت توبينس بدون تردد: "نعم، إذا ما كان السعر ملائمًا".

قالت السيدة فانديمياير: "بضع مئات من الجنيهات".

قالت توبينس: "لا، أقترح أن يكون المبلغ مائة ألف جنيه".

لم تسمح لها طبيعتها المقتصدة بأن تذكر المليون دولار التي اقترحتها جوليوس بأكملها.

احمر وجه السيدة فانديمياير.

هفالت توبينس وهي تداعب بعصبية الحلية على صدرها: "ما رأيك؟"، في تلك اللحظة أدركت أن ريتا ابتلعت الطعام، وللحظة الأولى شعرت بالهلع من روحها المحية للمال، مما أورتها شعورًا بالشفقة على المرأة التي تجلس أمامها.

قالت توبينس مرة أخرى: "مائة ألف جنيه".

اختفى لمعان عيني السيدة فانديمياير وأندست ظهرها إلى المقعد.

وقالت: "هراء، إنك لا تملكين مثل هذا المبلغ".

أقرت توبينس قائلة: "لا، أنا لا أملكه، ولكني أعرف من يملكه".

قالت ريتا: "من هو؟".

قالت توبينس: "أحد أصدقائي".

قالت السيدة فانديمياير غير مصدقة: "لا بد أن يكون مليونيرًا".

قالت توبينس: "في حقيقة الأمر، هو كذلك. إنه أمريكي، وسوف يدفع لك المال دون نقاش. يمكنك أن تثقي في عرضي تمام الثقة".

اعتذلت السيدة فانديمياير في جلستها مرة أخرى.

وقالت ببطء: "أنا أرغب في تصديقك".

خيم الصمت عليهما لبعض الوقت، ثم نظرت السيدة فانديمياير لأعلى وقالت:

"ماذا يريد صديقك أن يعرف؟".

كان هناك صراع داخلي يدور في عقل توبينس، ولكن كان المال يخص جوليوس، ويجب أن تأتي اهتماماته أولاً.

فقالت: "إنه يرغب في أن يعلم مكان جاين فين".

لم تبد السيدة فانديمياير مندهشة.

وقالت: "أنا لا أعلم أين هي في الوقت الحالي".

قالت توبينس: "ولكن يمكنك أن تكتشفي هذا، أليس كذلك؟".

قالت السيدة فانديمياير بدون اكتراث: "نعم، لن تواجهني مشكلة في هذا".

ارتعش صوت توبينس قليلاً وهي تقول: "حسناً إذن. هناك رجل، صديقي أعتقد أن هناك خطباً ما قد حدث له عن طريق صديقك بوريس".

قالت السيدة فاندماير: "ما اسمه؟".

قالت توبينس: "تومي بيريسفورد".

قالت السيدة فاندماير: "لم أسمع باسمه من قبل. ولكنني سأسأل بوريس سيخبرني بكل ما يعرفه عنه".

شعرت توبينس بمعنوياتها ترتفع فقالت: "شكراً لك"، وأجبرت نفسها على قول شيء آخر: "هناك أمر آخر".

قالت السيدة فاندماير: "ما هو؟".

انحنيت توبينس للأمام وخففت صوتها وهي تقول:

"من هو السيد براون؟".

لاحظت عيناها الماهرتان الشحوب الذي زحف على وجه السيدة فاندماير الجميل، التي جمعت شتات نفسها بصعوبة وحاولت أن تستعيد هدوءها ولكنها فشلت.

فهزت كتفيتها

وقالت: "إنك لا تعرفين عنا الكثير، وإلا كنت أدركت أن لا أحد منا يعرف من هو السيد براون...".

قالت توبينس بهدوء: "ولكنك تعرفين".

مرة أخرى شحب وجه المرأة.

وقالت: "ما الذي يجعلك تعتقدين هذا؟".

قالت توبينس بصدق: "لا أعلم، ولكنني واثقة من هذا".

زأغ بصر السيدة فاندماير لفترة طويلة.

وقالت أخيراً: "نعم، أعرفه. لقد كنت جميلة، كما ترين، جميلة للغاية —"

قالت توبينس بإعجاب: "وما زلت كذلك".

هزت السيدة فاندماير رأسها، وغامت عيناها الزرقاوان بشكل غريب.

وقالت: "لست جميلة بالدرجة الكافية، وفي بعض الأحيان، مؤخراً، بدأت أشعر بالخوف... من الخطير أن تعرفي الكثير"، ثم مالت نحو توبينس عبر المائدة وقالت: "أقسمي ألا تذكرني اسمي فيما يتعلق بهذا الأمر - وأن لا أحد يعلم بالأمر".

قالت توبينس: "أقسم على هذا، وبمجرد أن يتم القبض عليه سيوزل عنك الخطر".

ظهرت أمارات الهلع على وجه السيدة فاندماير.

وقالت: "حقاً؟ حقاً؟"، ثم أمسكت بذراع توبينس وقالت: "هل أنت واثقة بأنني سأحصل على المال؟".

قالت توبينس: "تمام الثقة".

قالت السيدة فاندماير: "متى سأحصل عليه؟ يجب أن أحصل عليه على الفور".

قالت توبينس: "سيأتي صديقي إلى هنا في أي وقت، عليه أولاً أن يرسل بعض الملاحظات، ولكن لن يكون هناك أي تأخير - إنه رجل لا يحب إضاعة الوقت".

ظهرت نظرة حاسمة على وجه السيدة فاندماير:

"سأخبرك بكل شيء. سأحصل على مبلغ كبير من المال، بالإضافة إلى —"، وانسمت ابتسامة غريبة وقالت: "ليس من الحكمة أن يهجر أي شخص مهما كان امرأة مثلي".

ثلثت تبسم لدقيقة أو دقيقتين وهي تطرق بأصابعها سطح الطاولة بهدوء، وهجأة قفزت من مكانها وشحب وجهها.

وقالت: "ما كان هذا؟".

قالت توبينس: "أنا لم أسمع شيئاً".

نظرت السيدة فاندماير حولها في حذر.

وقالت: "إذا كان هناك من يسمع ما نقول..."

قالت توبينس: "هراء، من سيكون هناك؟".

همست السيدة فانديمياير قائلة: "حتى الحواشي لها أذان. أنا خائفة، إنك لا تعرفينه".

قالت توبينس مهدئة لها: "فكري في المائة ألف جنيه".

لعت السيدة فانديمياير شفتيها الجافتين بلسانها.

وقالت: "إنك لا تعرفينه، إنه —"

قفزت فجأة من مكانها في رعب، وكانت تشير إلى شيء ما خلف توبينس، ثم فقدت الوعي وسقطت على الأرض.

نظرت توبينس للخلف لترى ما الذي جعلها تشعر بكل هذا الرعب.

كان يقف على عتبة الباب كل من السير جايمس بيل إدجارتون وجوليوس هيرشايمير.

الثالث عشر

الحراسة

لأن السير جايمس هو أول من تحرك، فقد اندفع من جانب جوليوس وانحنى بسرعة على المرأة فاقدة الوعي.

وقال بحدة: "إن قلبها لم يتحمل. لا بد من أن رؤيتنا فجأة قد أصابتها بصدمة. أحضر بعض الشراب بسرعة، وإلا سنفقدنا".

أسرع جوليوس نحو حوض الغسيل.

فقالت توبينس: "ليس هنا. إنه في الصندوق الذي في غرفة الطعام، الباب الثاني في الممر".

حمل السير جايمس وتوبينس السيدة فانديمياير ووضعها على الفراش، حيث أقاما برش الماء على وجهها، ولكن بدون أية استجابة منها. جس المحامي نبضها وقال: "إنها بين الحياة والموت. أرجو أن يسرع هذا الشاب بإحضار الشراب".

في اللحظة ذاتها عاد جوليوس إلى الغرفة وهو يحمل كأسًا مملوءة حتى منتصف بالشراب وأعطى السير جايمس إياها، فرفعت توبينس رأس السيدة فانديمياير وحاول المحامي أن يضع القليل من الشراب بين شفتيها المغلقتين.

فتحت السيدة فانديمياير عينيها في النهاية بوهن، فرفعت توبيينس كأس الشراب نحو فمها.

وقالت: "اشربي هذا".

أطاعتها السيدة فانديمياير، وسرعان ما جعل الشراب الاحمرار يعود الى وجهها الشاحب، وأعاد وعيها بشكل رائع. حاولت أن تجلس ولكنها سقطت للخلف وهي تتأوه، وسقطت يداها بجانبها.

همست السيدة فانديمياير قائلة: "إنه قلبي الضعيف. لا يجب أن أحدث". ثم استلقت على فراشها مغلقة العينين.

ظل السير جايمس واضعاً إصبعه على معصمها لدقيقة أخرى، ثم هادر الغرفة وهو يومئ برأسه. وقال: "ستكون بخير".

ابتعد ثلاثتهم عن الغرفة وبدأوا في الحديث بصوت منخفض. كانوا جميعاً يشعرون بخيبة الأمل، فقد كان من الواضح أن أية محاولة لطرح أسئلة على السيدة فانديمياير ستبوء بالفشل في الوقت الحالي، كانوا مرتبكين عندئذ وغير قادرين على القيام بأي شيء.

قصص عليهم توبيينس كيف أن السيدة فانديمياير كانت على استعداد لأن تبوح بشخصية السيد براون الغامضة. وأنها وافقت على أن تكتشف مكان جاين فين وأن تخبرهم به، فهناها جوليوس قائلاً:

"هذا رائع يا أنسة توبيينس. أعتقد أن المائة ألف جنيه ستكون رائعة بالنسبة للسيدة صباح الغد مثلما كانت صباح اليوم. لا يوجد ما تقلق بشأنه. إنها لم تكن ستتحدث بدون الحصول على المال على أية حال".

كان ما قاله جوليوس منطقياً، وشعرت توبيينس بقليل من الراحة.

قال السير جايمس وهو يفكر بعمق: "عليّ أن أعترف بأن ما تقوله صحيح. إلا أنني كنت أأمل لو لم نقاطعها، ولكن لا يمكننا فعل أي شيء الآن سوى الانتظار حتى الصباح".

رفع بصره وألقى نظرة على الجسد الهامد الممدد على الفراش. كانت السيدة فانديمياير مستلقية على الفراش مغمضة العينين، فهز رأسه في أسف.

قالت توبيينس محاولة أن تبعث البهجة في المكان: "حسناً، يجب أن نتنظر حتى الصباح، ولكني أرى أننا يجب ألا نغادر الشقة".

قال السير جايمس: "ما رأيك لو تركنا ذلك الصبي اللامع صديقك ليحرس المكان؟".

قالت توبيينس: "ألبرت؟ وماذا لو أفاقنا وحاولت الهرب. لن يمكن لألبرت إيقاظها".

قال السير جايمس: "أعتقد أنها لن تحاول الهرب بدون الحصول على المال".

قالت توبيينس: "قد تفعل. لقد كانت مرتعبة من السيد براون".

قال السير جايمس: "ماذا؟ هل كانت خائفة منه لهذه الدرجة؟".

قالت توبيينس: "نعم، لقد كانت تنظر حولها وتقول إن الحوائط لها أذان".

قال جوليوس باهتمام: "ربما كانت تقصد وجود دكتافون".

قال السير جايمس بهدوء: "إن الأنسة توبيينس محقة. لا يجب أن نغادر الشقة - لصالح السيدة فانديمياير".

حدق به جوليوس.

وقال: "هل تعتقد أنه قد يأتي لقتلها؟ كيف من الممكن أن يعرف خلال الليل؟".

قال السير جايمس بجفاء: "هل نسيت اقتراحك بوجود دكتافون؟ إن خصمنا ماهر للغاية. أعتقد أننا إن تصرفنا بحذق، فإن هناك فرصة كبيرة لأن نقبض عليه. ولكن علينا ألا نهمل اتخاذ الإجراءات الاحترازية. بين أيدينا الآن شاهدة مهمة، ولكن يجب أن نحرسها جيداً. أقترح أن تذهب الأنسة توبيينس للفراش، وأن نتشارك أنا وأنت يا سيد هيرشايمر نوبات الحراسة".

كانت توبيينس على وشك الاعتراض، ولكنها تراجعت عندما نظرت إلى

الفراش الذي ترقد عليه السيدة فانديمياير، حيث كانت الأخيرة ترقد وعينها نصف مفتوحتين ويعلو وجهها الرعب الشديد لدرجة أن الكلمات تجمدت على شفيتها ولم تتمكن من الحديث.

تساءلت للحظة عما إذا كان فقدان الوعي والأزمة القلبية مصطنعة، ولكن شحوب وجه السيدة فانديمياير الشديد لم يدعم هذه الفرضية. وبينما كانت تنظر لها، اختفى تعبير الرعب عن وجهها فجأة وعادت السيدة فانديمياير لرقودها دون حراك كما كانت من قبل. للحظة، اعتقدت توينيس أنها كانت تتخيل الأمر، ولكنها عزم أمرها على أن تظل منتبهة لما يحدث.

قال جوليوس: "حسنًا، أعتقد أن علينا الانتقال من هنا بأية طريقة".

فوجئ الآخرون باقتراحه هذا. جس السير جايمس نبض السيدة فانديمياير مرة أخرى.

وقال لـ توينيس بصوت منخفض: "أمر مُرضٍ للغاية. ستكون بخير تمامًا بعدما ترتاح هذه الليلة".

ترددت توينيس قليلًا بجانب الفراش، فقد كان التعبير الظاهر على وجه السيدة فانديمياير قد أدهشها للغاية. فتحت السيدة فانديمياير عينها وبدا أنها تحاول بصعوبة أن تتحدث، فانحنى توينيس فوقها.

قالت السيدة فانديمياير: "لا تتركيني —"، وبدا أنها غير قادرة على مواصلة الحديث وغمغت بشيء ما بدا كأنه كلمة "تمامي". ثم حاولت الحديث مرة أخرى.

فانحنى عليها توينيس أكثر، لأقصى درجة ممكنة.

قالت السيدة فانديمياير: "السيد - براون -"، ثم توقفت عن الحديث.

ولكن بدا أن عينيهما شبه المغلقتين تحاولان لفت انتباهها إلى أمر ما.

كان هناك حافز داخلي مفاجئ دفع توينيس لتقول بسرعة:

"أنا لن أغادر الشقة، وسأظل مستيقظة طوال الليل".

ظهرت أمارات الراحة على وجه السيدة فانديمياير قبل أن تعود لتغلق عينيها

أخرى، وبدا أنها قد استسلمت للنوم، ولكن كلماتها أيقظت إحساسًا جديدًا بعدم الراحة في صدر توينيس. ما الذي كانت تقصده بغمغمتها الهامسة التي قالت فيها: السيد براون؟ وجدت توينيس نفسها تنظر خلفها إلى حيث كان يقف الدواب الملايس بشكل كتيب. هناك مكان كاف داخله ليخفي شخص ما... نهضت توينيس، وهي نصف خجلة من نفسها، وفتحت الدواب ونظرت داخله، وبالطبع لم يكن هناك أحد بداخله، ثم انحنى لتتأمل تحت الفراش ولم يكن هناك أحد، ولم يكن بالغرفة مكان آخر يصلح للاختباء.

هزت توينيس كتفيها بطريقتها المعتادة. لقد كان الأمر غير منطقي، لقد بحثت لنفسها بأن تتصرف بهستيرية. خرجت توينيس ببطء من الغرفة حيث كان جوليوس والسير جايمس يتحدثان بصوت خافت. التفت لها السير جايمس وقال: "أغلق الباب بالمفتاح من الخارج من فضلك يا آنسة توينيس. يجب ألا تمنح الفرصة لأي شخص لكي يدخل هذه الغرفة".

بهزت جاذبية سلوك السير جايمس كلاً من توينيس وجوليوس، وخفت شعور توينيس بالخلج من تصرفها "الهستيري".

قال جوليوس بشكل مفاجئ: "هناك الصبي الذكي صديق توينيس. أعتقد أنه من الأفضل أن أهبط للأسفل وأهدئ عقله الصغير. إنه صبي رائع يا توينيس". قالت توينيس فجأة: "بالمناسبة، كيف تمكنتما من الدخول؟ لقد نسيت أن أسألكما".

قال جوليوس: "لقد اتصل بي ألبرت هاتفياً، فأسرعت متوجهاً لمنزل السير جايمس، وحضرنا على الفور. كان الصبي بانتظارنا، وكان قلقاً بشأن ما قد حل به. كان يسترق السمع على باب الشقة ولكنه لم يتمكن من سماع أي شيء. على أية حال، اقترح علينا أن نصعد في مصعد الضحك بدلاً من أن نقرع جرس الباب. خرجنا من المصعد داخل غرفة غسيل الأطباق وبدأنا في البحث عنك. إن ألبرت لا يزال في الأسفل وأعتقد أنه سيجن في الوقت الحالي"، ثم غادر جوليوس الشقة من فوره.

قال السير جايمس: "والآن يا آنسة توينيس، إنك تعرفين هذه الشقة أفضل

مما أعرفها أنا. أين تعتقدين أنه ينبغي لنا أن ننشئ مكان مراقبتنا؟

فكرت توبينس للحظات.

وقالت أخيراً وهي ترشد السير جايمس للطريق: "أعتقد أن غرفة السيدة فانديمير ستكون الأكثر راحة".

نظر السير جايمس حوله موافقاً.

وقال: "ستكون رائعة، ولأن يا عزيزتي، ذهبي للفرش واحظي ببعض الهواء هزت توبينس رأسها رافضة.

وقالت: "لا يمكنني هذا، أشكرك يا سير جايمس. سنتناوب كوابيس السيد براون طوال الليل".

قال السير جايمس: "ولكنك سترهقين يا صغيرتي".

قالت توبينس: "لا، لن يحدث هذا. أفضل أن أظل مستيقظة".

استسلم المحامي لرجباتها.

عاد جوليوس بعد بضع دقائق بعد أن طمأن ألبرت وكافأه بسخاء على خدمته وبعد أن فشل في إقناع توبينس بالخلود للنوم.

قال: "على أية حال، يجب أن تتناولي بعض الطعام على الفور. أين تحتفظون بالطعام هنا؟"

وجهته توبينس إلى المكان، فعاد بعد بضع دقائق وهو يحمل كعكة باردة وثلاثة أطباق.

بعد أن تناولوا وجبة دسمة، شعرت توبينس برغبتها في السخرية من التخييلات التي انتابها قبل نصف ساعة. إن قوة الرشوة بالمال لا يمكنها أن تفشل.

قال السير جايمس: "ولأن يا أنسة توبينس، نرغب في سماع مغامرتك وافقه جوليوس قائلاً: "نعم، أخبرينا".

قصت توبينس مغامرتها ببعض الرضا عن نفسها، وكان جوليوس يقاطعها

مملقاً صيحات إعجاب مثل "شجاعة"، في حين لم ينس السير جايمس كلمة واحدة حتى انتهت فقال: "أحسنت صنعاً يا أنسة توبينس"، - الأمر الذي جعلها يهرجها بحمر من فرط السعادة.

قال جوليوس: "هناك أمر واحد لا أفهمه بوضوح. ما الذي جعلها تحاول أن تهرج؟"

أمرت توبينس قائلة: "لا أعلم".

ذهب السير جايمس ذهنه وهو يفكر بعمق.

وقال: "لقد كانت الغرفة في حالة فوضى عارمة، الأمر الذي يشير إلى أن زيارتها لم يكن معداً له من قبل. يبدو أنها قد حصلت على تحذير مفاجئ من شخص ما".

قال جوليوس: "ربما من السيد براون".

نظر له المحامي مطولاً لبضع دقائق.

قال: "ولم لا؟ تذكر أنك نفسك وقعت ضحية لخداعه من قبل".

احمر وجه جوليوس في غضب.

وقال: "أشعر بأنني سأجن عندما أتذكر كيف سلمته صورة جاين بكل سهولة. يا الهي، إذا ما تمكنت من الحصول عليها مرة أخرى، فسأتمسك بها كما لو كانت بالي تتوقف عليها".

قال السير جايمس باقتضاب: "هذا احتمال بعيد الحدوث".

قال جوليوس: "أعتقد أنك محق. على أية حال، أنا أرغب في إيجاد صاحبة الصورة. أين تعتقد أنها قد تكون يا سير جايمس؟"

هز المحامي رأسه.

وقال: "من المستحيل أن أخمن، ولكنني أمتلك فكرة جيدة عن المكان الذي ذهبت إليه".

قال جوليوس: "حقاً؟ أين؟"

ابتسم السير جايمس.

وقال: "في مسرح مغامرتك الليلية. في تلك العيادة في بورتسموث".

قال جوليوس: "هناك؟ مستحيل. لقد سألت عنها هناك".

قال السير جايمس: "لا يا سيدي، لقد سألت عما إذا كانت امرأة تُدعى جاري
فبين قد ذهبت إلى هناك، ولكن، إذا ما كانت الفتاة قد وضعت هناك، فمن المحتمل
جداً أن تكون متواجدة هناك تحت اسم مستعار".

صاح جوليوس: "يا لك من ذكي، أنا لم أفكر في هذا أبداً".

قال السير جايمس: "إنه أمر واضح وضوح الشمس".

قالت توبينس: "وربما كان الطبيب شريكاً في الأمر هو أيضاً".

هز جوليوس رأسه.

وقال: "لا أعتقد هذا. لقد اعتقدت هذا من قبل، ولكن أؤكد لك أن الطبيب
هو رجل شريف".

سأله السير جايمس: "هل قلت هول؟ أمر غريب - غريب حقاً".

سألته توبينس: "لماذا؟".

قال السير جايمس: "لأنني قابلته هذا الصباح. أنا أعرفه منذ عدة سنوات
ولكنني قابلته مصادفة صباح اليوم في الشارع، وأخبرني بأنه يقيم في فندق
متروبول"، ثم التفت إلى جوليوس قائلاً: "ألم يخبرك بأنه سيأتي للمدينة؟"
هز جوليوس رأسه نقياً.

تعجب السير جايمس قائلاً: "أمر غريب. إنك لم تذكر اسمه عصر اليوم
وإلا لكنت اقترحت عليك أن تذهب له حاملاً بطاقة تعريفني لتسأله عن المردود
من المعلومات".

قال جوليوس بتواضع غير معتاد: "أعتقد أنني أحمق. كان يجب أن أفكر في
موضوع الاسم المستعار".

صاحت توبينس قائلة: "كيف يمكن أن تفكر في أي شيء بعدما سقطت في

في الشجرة. أنا واثقة من أن أي شخص آخر ربما كان سيموت على الفور".

قال جوليوس: "أعتقد أن هذا الأمر لا يهم في الوقت الحالي، إن معنا السيدة
ديماير الآن، والمهم الآن هو حمايتها".

قالت توبينس، ولكن دون الكثير من الثقة في صوتها: "نعم".

هم الصمت عليهم، وبدأ سحر الليل يتملكهم بالتدريج. كان هناك صوت
خفيف مفاجئ في الأثاث، وصوت خفيف في الستائر. وفجأة استيقظت توبينس
مفاجأة وقالت: "لم أتمكن من منع نفسي، أنا أعلم أن السيد براون في مكان ما
في الشقة، يمكنني أن أشعر به".

قال جوليوس: "كيف يمكن أن يدخل يا توبينس؟ إن باب الشقة يفتح على
الطريق. لا يمكن لأحد أن يدخل من باب الشقة بدون أن نراه أو نسمعه".

قالت توبينس: "الأمر ليس بيدي. أنا أشعر بأنه هنا".

انطرت إلى السير جايمس الذي قال:

"على الرغم من مشاعرك يا أنسة توبينس (ومشاعري أيضاً فيما يتعلق بهذا
الأمر)، لا يمكنني أن أستوعب كيف يمكن لأي شخص كان أن يدخل الشقة بدون
أن يعلم".

هدأت الفتاة قليلاً بفعل كلماته.

اعترضت قائلة: "إن الاستيقاظ في الليل عادة ما يورث القلق".

قال السير جايمس: "نعم، إننا كمن يقومون بجلسة لتحضير الأرواح. ربما لو
أننا امتلكنا الأدوات اللازمة لذلك، لكنا قد حصلنا على نتائج مبهره".

سألته توبينس وقد جحظت عيناها: "هل تؤمن بالأرواح؟".

هز المحامي كتفيه.

وقال: "لا يوجد دخان بدون نار بكل تأكيد، ولكن أغلب من شهدوا برؤيتها
في الليل".

مرت الساعات، ومع بزوغ الفجر، أزعج السير جايمس الستائر. قاموا جميعاً

واذ جهت نحو النافذة لتزيح الستائر. عندما استدارت، كانت السيدة فانديمياير رايدة في مكانها دون حراك. بخوف شديد، أسرع توبيينس نحو الفراش، وكانت السيدة فانديمياير التي أمسكتها باردة كالثلج... السيدة فانديمياير لن تتمكن من الحديث بعد الآن...

جعلت صرختها الرجلين يعدوان نحو الغرفة، وكانت دقائق قليلة كافية ليدركا الأمر، لقد ماتت السيدة فانديمياير - ويبدو أنها ماتت منذ بضع ساعات في أثناء نومها.

ساح جوليوس بياس: "يا له من حظ تعس".

قالت توبيينس: "هل تعتقد هذا؟ - ولكن من المستحيل أن يدخل أحد الغرفة".

أمر المحامي قائلاً: "لا، لا أرى كيف تمكن من هذا، ولكنها كانت بصدد خيانة السيد براون، والآن قد ماتت. هل هذه مصادفة؟"

قالت توبيينس: "ولكن كيف؟"

قال السير جايمس: "نعم، كيف؟ هذا ما يجب أن نكتشفه"، ثم وقف مكانه ساعداً، وهو يداعب ذقنه ثم قال: "يجب أن نكتشف هذا"، شعرت توبيينس بأنها لو كانت السيد براون، لم تكن ستعجبها النبذة التي قال بها السير جايمس هذه الكلمات.

نظر جوليوس إلى النافذة وقال: "إن النافذة مفتوحة. هل تعتقدان أن —" هزت توبيينس رأسها نفياً وقالت: "إن الشرفة تصل حتى غرفة المخدع، ونحن هنا هناك".

قال جوليوس: "ربما تسلك خارجاً منها —"

ولكن السير جايمس قاطعه.

قائلاً: "إن أساليب السيد براون ليست تقليدية. والآن علينا أن نرسل في طلب الطبيب، ولكن قبل أن نفعل ذلك، هل هناك أي شيء في هذه الغرفة ربما يفيدنا؟"

ليشهدوا ما تشهده قلة قليلة من سكان لندن - شروق الشمس على المائدة اللانائمة. بشكل ما، مع سطوع الشمس، بدت جميع تخیلات ومخاوف اللانائمة السابقة مستحيلة، وعادت الروح المعنوية لتوبيينس إلى طبيعتها.

قالت توبيينس: "مرحى، يبدو أنه سيكون يوماً رائعاً، وعلينا أن نعثر على تومي، وجاين فين، وكل شيء سيكون رائعاً. سأطلب من السيد كارتر الحصول على لقب سيدة".

في تمام الساعة، تطوعت توبيينس لتذهب لتعد بعض الشاي، وعادت وهي تحمل صينية عليها إبريق شاي وأربعة أقداح.

سألها جوليوس: "لمن القدح الرابع؟"

قالت توبيينس: "لأسيرتنا. أعتقد أنه يجب علينا أن نوقظها، أليس كذلك؟"

قال جوليوس وهو يفكر: "إن تناول الشاي الخاص بها يعتبر نهاية مؤسسة لما حدث بالأمس".

اعترفت توبيينس قائلة: "نعم، إنه كذلك، ولكن على أية حال، هيا بنا، تعال يا معي تحسباً لأن تقفز عليّ، أو شيء من هذا القبيل. كما تعلمان، إننا لا نعرف كيف سيكون مزاجها عندما تستيقظ".

رافقتها كل من السير جايمس وجوليوس إلى الباب.

قالت توبيينس: "أين المفتاح. نعم، إنه معي".

وضعت المفتاح في المزلاج وأدارته ثم توقفت.

وقالت هامسة: "ماذا لو كانت قد هربت؟"

قال جوليوس مطمئناً: "مستحيل".

ولكن السير جايمس لم يقل أي شيء.

سحبت توبيينس نفسها نفساً عميقاً وفتحت الباب، وتنفست الصعداء عندما رأى السيدة فانديمياير رايدة في مكانها على الفراش.

قالت توبيينس في بهجة: "صباح الخير، لقد أحضرت لك بعض الشاي".

لم ترد عليها السيدة فانديمياير، فوضعت توبيينس القدح على الطاولة

بحث ثلاثتهم بسرعة في أرجاء الغرفة. دلت بقايا الأوراق المحترقة في المدفأة على أن السيدة فانديمياير كانت تحرق الأوراق قبل فرارها. لم يكن هناك شيء مهم، ولكنهم قاموا بالبحث في الغرف الأخرى أيضًا.

قالت توبينس فجأة وهي تشير إلى خزانة صغيرة عتيقة الطراز مثبتة في الحائط: "انظروا، أعتقد أنها تخص مجوهراتها، ولكن ربما نجد فيها شيئاً قيمة".

وضع جوليوس مفتاح الخزانة في قفلها وفتح بابها، وبحث داخلها، وفجأة يبحث لبضع دقائق.

قالت توبينس في نفاذ صبر: "ما الأمر؟".

خيم الصمت قليلاً قبل أن يجيب جوليوس ويخرج رأسه من داخل الخزانة ويغلق بابها.

قائلاً: "لا شيء".

وصل طبيب شاب بعد خمس دقائق، بعدما تم طلب حضوره على الفور. الطبيب يحترم السير جايمس كثيراً، الأمر الذي لاحظته الأخير.

قال الطبيب: "أزمة قلبية أو ربما جرعة زائدة من عقار منوم"، اشتد الهوا ثم قال: "هناك رائحة كلورال في الهواء".

تذكرت توبينس الكوب الذي سكبته، وقادتها فكرة جديدة نحو حوض السمك. فوجدت الزجاجاة التي كانت قد وضعت منها السيدة فانديمياير نقاطاً قليلة لها.

كان بالزجاجاة ثلاثة أرباعها في ذلك الوقت، ولكنها فارغة الآن.

الرابع عشر

التشاور

لم يكن هناك أمر أثار دهشة توبينس وحيرتها مثل السهولة والبساطة التي تم بها ترتيب كل شيء، بفضل مهارة السير جايمس في التعامل مع هذه الأمور. اغفل الطبيب نظرية أن السيدة فانديمياير قد أخذت جرعة زائدة من الكلورال بشكل عرضي. كان الطبيب يشك في احتمالية الحاجة إلى تحقيق، ولكنه سيخبر السير جايمس إذا ما كانت هناك حاجة لذلك. لقد فهم أن السيدة فانديمياير كانت بصدد السفر للخارج، ولهذا فإن جميع الخدم غير متواجدين بالمنزل، وكان السير جايمس ورفيقاه الشابان يزورونها عندما فقدت الوعي فجأة وقضوا الليلة بجانبها في الشقة، حيث لم يرغبوا في تركها بمفردها. هل كانوا يعرفون أنها من أقاربها؟ لا، لم يكونوا يعرفون أيًا منهم، ولكن السير جايمس دله على محامي السيدة فانديمياير.

بعد قليل وصلت ممرضة لتتولى أمر الجثة، وغادر الآخرون المبنى المشؤم. سأل جوليوس وتبدو عليه أمارات اليأس: "ماذا سنفعل الآن؟ أعتقد أننا لن نتمكن من التوصل إلى أي خيط آخر".

داعب السير جايمس ذهنه وهو يفكر بعمق.

ثم قال: "لا، هناك احتمال بأن يخبرنا الطبيب هول بشيء ما".

قال جوليوس: "يا إلهي، لقد نسيت كل شيء عنه".

قال السير جايمس: "إن الاحتمال ضئيل، ولكن يجب ألا نتجاهله. أعتقد أنني أخبرتك بأنه يقيم في فندق متروبول. أقترح أن نذهب للقاءه هناك في أسرع وقت ممكن، ولكن بعد أن نستحم ونتناول الإفطار، ما رأيكما؟".

اتفقوا على أن يعود كل من جوليوس وتوينسن إلى فندق الريتز، وأن يهبطوا بعد ذلك على السير جايمس بالسيارة، وقاموا بالفعل بما اتفقوا عليه، وعندما اقتربت عقارب الساعة من الحادية عشرة، كانوا يقتربون من فندق متروبول. سألوا عن الطبيب هول فانطلق أحد العاملين في خدمة الغرف للبحث عنه. في خلال دقائق معدودة كان الطبيب الشاب يسرع للقاءهم.

قال السير جايمس بود: "هل يمكننا أن نتحدث لبضع دقائق أيها الطبيب هول؟ اسمح لي بأن أعرفك بالآنسة كاوثي والسيد هيرشايمر الذي أعتقد أنك تعرفه بالفعل".

امتنع وجه الطبيب عندما كان يصادف جوليوس.

وقال: "نعم، صديقي صاحب قصة الشجرة. هل أصبح كالحك على ما يرام؟"

قال جوليوس: "أعتقد أنه تعافى بفضل مهارتك الطبية أيها الطبيب".

قال الطبيب: "وماذا عن مشكلتك العاطفية؟".

قال جوليوس: "ما زلت أبحث عنها".

سأله السير جايمس: "لندخل في صلب الموضوع، هل يمكننا أن نتحدث معك قليلاً على انفراد؟".

قال الطبيب: "بالطبع، أعتقد أن هناك غرفة لن يزعجنا فيها أحد".

سار الطبيب هول أمامهم ليريهم الطريق. بمجرد أن جلسوا جميعاً، نظر الطبيب إلى السير جايمس مستفسراً.

قال السير جايمس: "أيها الطبيب هول، أنا أرغب في العثور على فتاة معينة من أجل الحصول على شهادتها في قضية مهمة، وأعتقد أنها كانت في وقت ما واحدة من المرضى في عيادتك في بورنموث. أرجو ألا أكون قد تعديت القواعد المهنية بسؤالني هذا؟".

قال الطبيب: "هل هو أمر يتعلق بشهادة في قضية؟".

تردد السير جايمس قليلاً ثم قال:

"نعم".

قال الطبيب: "سيسعدني أن أقدم لك كل المعلومات التي أمتلكها. ما اسم الفتاة؟ أذكر أن السيد هيرشايمر كان قد سألني -"، والتفت لينظر إلى جوليوس.

قال السير جايمس: "الاسم لا يهم. من المؤكد أنها دخلت عيادتك باسم مستعار، ولكن أرغب في أن أعرف إذا ما كنت تعرف السيدة فانديمياير؟".

قال الطبيب: "السيدة فانديمياير التي تسكن في الشقة رقم ٢٠ في ساوث أودلي؟ نعم أعرفها قليلاً".

قال السير جايمس: "ألا تعرف ما حدث لها؟".

قال الطبيب: "ماذا تقصد؟".

قال السير جايمس: "هل تعلم أن السيدة فانديمياير قد ماتت؟".

قال الطبيب: "يا إلهي، لم أكن أعلم هذا. متى حدث هذا؟".

قال السير جايمس: "لقد تناولت جرعة زائدة من الكلورال ليلة أمس".

قال الطبيب: "عن عمد؟".

قال السير جايمس: "لا، أعتقد أنها تناولته بشكل عرضي. لا أحبذ أن أستنتج الأمر بنفسني. على أية حال، لقد وجدت ميتة هذا الصباح".

قال الطبيب: "أمر مؤسف. لقد كانت امرأة جميلة. أعتقد أنها كانت إحدى صديقاتك، حيث إنك تعرف جميع هذه التفاصيل".

قال السير جايمس: "أنا أعلم جميع التفاصيل، لأنني من وجدها ميتة".

قال الطبيب: "حقاً؟".

قال السير جايمس وهو يداعب ذهنه متأملاً: "نعم".

قال الطبيب: "إنها أخبار حزينة، ولكن اعذرني إن لم أكن أرى أنها على صلة بما تسألني عنه".

قال السير جايمس: "إنه يتعلق بالأمر كالآتي: ألم تسند لك السيدة فانديمياير رعاية واحدة من قريباتها الشابات؟".

انحنى جوليوس للأمام باهتمام.

في حين قال الطبيب بهدوء: "هذا هو الأمر إذن".

قال السير جايمس: "ماذا كان اسمها؟".

قال الطبيب: "جانيت فانديمياير. أعتقد أنها كانت ابنة أخ السيدة فانديمياير".

قال السير جايمس: "ومتى وصلت إلى عيادتك؟".

قال الطبيب: "أذكر أنه كان في يونيو أو يوليو عام ١٩١٥".

قال السير جايمس: "هل كانت تعاني اضطراباً عقلياً؟".

قال الطبيب: "لقد كانت عاقلة تماماً، إذا كان هذا ما تقصده. أذكر أن السيدة فانديمياير أخبرتني بأنها كانت معها على متن سفينة لوزيتانيا عندما غرق هذا، وأنها قد عانت من صدمة شديدة جراء هذا".

نظر السير جايمس حوله.

وقال: "أعتقد أننا على المسار الصحيح الآن".

قال جوليوس: "كما قلت من قبل، أنا أحمق".

نظر لهما الطبيب في فضول وقال: "لقد قلت إنك ترغب في الحصول على شهادتها. ماذا لو كانت غير قادرة على الإدلاء بالشهادة؟".

قال السير جايمس: "ماذا؟ لقد قلت إنها عاقلة تماماً".

قال الطبيب: "إنها كذلك، ولكن إذا ما أردت أن تحصل على أي شهادة منها عن أي حدث وقع قبل السابع من مايو عام ١٩١٥، فإنها لن تكون قادرة على ذلك".

نظروا إلى الرجل ضئيل الحجم في دهشة، فأومأ برأسه.

وقال: "شيء مؤسف، خاصة أن الأمر مهم كما أفهم منك سير جايمس. ولكن هذه هي الحقيقة، إنها لن تتمكن من أن تخبرك بأي شيء".

قال جوليوس: "ولكن لماذا؟ لماذا؟".

التفت الطبيب إلى الأمريكي المتحمس.

وقال: "لأن جانيت فانديمياير تعاني فقداناً كاملاً للذاكرة".

قال جوليوس: "ماذا؟".

قال الطبيب: "هذه هي الحقيقة. إنها حالة مثيرة للاهتمام - أمر غير شائع، إما تعتقد. هناك حالات كثيرة مماثلة، ولكنها الحالة الأولى من نوعها التي أولى مهمة علاجها، وعليّ أن أعترف بأنها أثارت اهتمامي بشكل كبير"، كانت هناك نبرة وحشية في صوت الرجل.

قال السير جايمس ببطء: "وهي لا تتذكر أي شيء".

قال الطبيب: "لا تتذكر أي شيء قبل يوم السابع من مايو عام ١٩١٥. ولكن بعد هذا التاريخ، فإن ذاكرتها قوية مثل ذاكرتك وذاكرتي".

قال السير جايمس: "ما هو أول شيء تذكرته؟".

قال الطبيب: "الوصول إلى الشاطئ مع الناجين من السفينة، ولكن كل ما سبق هذا لا تتذكره. إنها لم تعرف اسمها حتى، أو من أين أتت أو أين كانت. حتى أنها لم تكن قادرة على التحدث بلغتها الأم".

قال جوليوس: "ولكن هذا أمر غير وارد".

قال الطبيب: "لا، سيدي العزيز. إنه أمر طبيعي طبعاً للظروف. الصدمة الشديدة للجهاز العصبي، إن فقدان الذاكرة يحدث دائماً بالطريقة نفسها. لقد اقترحت أن تذهب لمتخصص. هناك طبيب رائع في باريس - يقوم بدراسة هذه الحالات، ولكن السيدة فانديمياير عارضت خوفاً من الفضيحة التي قد تصاحب هذا الأمر".

قال السير جايمس بحزم: "يمكنني تخيل هذا".

النجاة - وهكذا. ألن يصلح هذا؟ ألن يسبب هذا صدمة كبيرة لعقلها الباطن، أو أيا كان، لكي يبدأ العمل بالشكل الصحيح مرة أخرى؟".

قال الطبيب: "يا لها من فرضية مشوقة يا سيد هيرشايمر. في رأيي الخاص، أعتقد أن هذا الأمر قد ينجح. ولكن للأسف، من المستحيل أن تتكرر الأحداث التي وقعت مرة أخرى كما تفترض".

قال جوليوس: "ليس بشكل طبيعي أيها الطبيب، ولكني أفكر في مشهد اعتيادي".

قال الطبيب: "مشهد تمثيلي؟".

قال جوليوس: "نعم، ما الصعب في هذا؟ نستأجر ناقلة ركاب —"

شمغم الطبيب هول بخفوت: "ناقلة ركاب".

قال جوليوس: "ونستأجر بعض الركاب، ونستأجر غواصة - هذه هي الصعوبة الوحيدة على ما أعتقد. إن الحكومات تتعامل بذلك مع معداتنا الحربية. إنهم لن يوافقوا على تأجيرها لشخص لا يعرفونه، ولكني أعتقد أنه يمكن التغلب على هذه الصعوبة. هل سمعت بكلمة ابتزاز من قبل يا سيدي؟ حسنًا، إن الابتزاز ينجح في كل مرة. أعتقد أننا لن نكون بحاجة إلى إطلاق الطوربيد. إذا ما بدأ الجميع في العدو والصراخ قائلين إن السفينة تغرق، فإن هذا سيكون كافياً لشلية بريئة مثل جاين. بمجرد أن يضعوا طوق النجاة حولها، ووضعها في زورق النجاة، ومع وجود عدد كاف من الممثلين يتصرفون بهستيرية على متن الزورق، فإنها ستذكر كل ما حدث قبل يوم ١٥ مايو عام ١٩١٥. ما رأيكم في الأمر بعد توضيحه؟".

نظر الطبيب هول إلى جوليوس، وكان كل ما يرغب في قوله بادياً بوضوح في تلك النظرة.

قال جوليوس رداً على نظرة الطبيب: "لا، أنا لست مجنوناً. إن هذا الأمر ممكن التحقيق بسهولة شديدة. إنهم يقومون بالأمر ذاته في الولايات المتحدة رومياً عند تصوير الأفلام. ألم تروا من قبل القطارات وهي تتصادم على شاشة

قال الطبيب: "لقد انصبت لرغباتها. عادة ما تكون هناك سمعة سيئة تصاحب هذه الحالات، وكانت الفتاة يافعة للغاية - في التاسعة عشرة من عمرها، وأعتقد أنه كان من المؤسف أن يتحدث الناس عن صحتها العقلية - ربما يتسبب هذا في تدمير فرصها في الزواج. هذا إلى جانب أنه لا توجد طرق علاج معينة في هذه الحالات. إنها تخضع جميعاً للانتظار".

قال جوليوس: "الانتظار؟".

قال الطبيب: "نعم، إن آجالاً أو عاجلاً، فإن الذاكرة ستعود من تلقاء نفسها. فجأة كما فقدت فجأة، ولكن في جميع الحالات ستفقد الفتاة ذكرياتها عن الفترة التي حدث فيها الخلل، وستواصل حياتها من حيث توقفت - منذ غرق السفينة لوزيتانيا".

قال جوليوس: "ومتى تعتقد أن هذا سوف يحدث؟".

مز الطبيب كتفيه.

وقال: "هذا ما لا يمكنني تحديده. أحياناً يستمر الأمر لشهور، وأحياناً يستمر لعشرين عاماً. أحياناً تقوم صدمة أخرى باسترجاع الذاكرة. صدمة تعيد ما سلبته سابقتها".

قال جوليوس وهو يفكر بعمق: "صدمة أخرى؟".

تحول صوت الرجل ضئيل الحجم ليمتلئ بالفصاحة والحماسة وهو يقول: "بالضبط. كانت هناك حالة في كولورادو —"

لم يبدأ أن جوليوس كان يستمع لما يقول، فقد غرق في أفكاره الخاصة مقطباً حاجبيه. وخرج فجأة من تفكيره العميق، وطرق سطح الطاولة بقبضته بقوة وبفرقة عالية جعلت الجميع يقفزون من مكانهم، وكان الطبيب هو أكثر من قفز من مكانه في الهواء.

وقال: "لقد فهمت الأمر أيها الطبيب، أرغب في معرفة رأي الطب في الخطة التي سأوضحها لكم الآن. ماذا لو جعلنا جاين تعبر البحر مرة أخرى، ونشم الحادثة ذاتها مرة أخرى. الغواصة والسفينة الفارقة، وإجلاء الجميع إلى زوارق

السينما؟ ما الفرق بين شراء قطار وناقلة ركاب؟ حصل على الأشياء، ومن ثم قم بالعمل".

تمكن الطبيب هول من الحديث أخيراً.

فقال: "ولكن ماذا عن التكاليف يا سيدي العزيز؟ إن التكاليف ستكون هائلة" وضح له جوليوس الأمر قائلاً: "إن المال لا يهمني على الإطلاق".

التفت الطبيب هول نحو السير جايمس الذي ابتسم له بلطف وقال: "إن السيد هيرشايمر ثري للغاية - ثري ثراءً فاحشاً".

التفت الطبيب مرة أخرى إلى جوليوس وكانت نظرتة تحمل نوعاً جديداً من الانبهار والتقدير، فإن من كان ينظر له ليس مجرد شاب أرعن يهودي تحطيم الأشجار. اختلفت نظرات الطبيب تماماً؛ فقد كان ينظر إلى رجل ثري للغاية، فغمغم قائلاً: "إنها خطة رائعة. رائعة للغاية. الأفلام بالطبع - المرادف الأمريكي لكلمة السينما. أمر مثير للغاية. أخشى أننا ما زلنا هنا متخلفين قليلاً فيما يتعلق بهذه الصناعة، ولكن هل تنوي بالفعل تنفيذ هذه الخطة؟".

قال جوليوس: "بدون أدنى شك".

صدقته الطبيب - فقد كان هذا من الخصال المميزة لجنسيته، فلو كان رجل إنجليزي هو من قال هذا الكلام، لكان ارتاب بشكل كبير في سلامة عقله. وضح الطبيب قائلاً: "لا يمكنني أن أضمن الشفاء، وأعتقد أنه يجب علي توضيح هذا".

قال جوليوس: "لا بأس. كل ما عليك هو أن تسلمنا جاين، واترك الباقي لنا".

قال الطبيب: "جاين؟".

قال جوليوس: "الآنسة جانيت فاندماير. هل يمكنك الذهاب إلى عيادتك على الفور وتطلب منهم أن يرسلوها لنا، أو أذهب أنا إلى هناك بسيارتي لأحضرها؟" حدق إليه الطبيب.

قال: "أستريحك عنراً سيد هيرشايمر، ولكني اعتقدت أنك قد فهمت ما في الأمر".

قال جوليوس: "فهمت ماذا؟".

قال الطبيب: "أن الآنسة فاندماير لم تعد مريضة في عيادتي".

بدا الطبيب هول متحيراً.

وقال: "أنا لا أفهم شيئاً، أليست الفتاة مع عمتها؟".

هزت توبينس رأسها نفياً، وكانت على وشك التحدث عندما رمقها السير جايمس بنظرة محذرة ثم نهض واقفاً.

قال: "شكراً جزيلاً لك يا هول. إننا ممتنون للغاية للمعلومات التي أعطينا إياها. وأخشى أننا الآن بصدد بدء البحث عن الأنسة فانديمياير من جديد. ماذا عن الممرضة التي اصطحبتيها؟، أعتقد أنك لا تعلم أين هي، أليس كذلك؟".

هز الطبيب رأسه نفياً.

وقال: "لم أسمع أي شيء عنها منذ غادرت. أعتقد أنها كانت ستبقى مع الأنسة فانديمياير لبعض الوقت. ولكن كيف حدث هذا؟ أنا على يقين من أن الفتاة لم تختطف".

قال السير جايمس: "هذا ما سنحاول كشفه".

تردد الطبيب قليلاً.

قال: "أعتقد أنه يجب عليّ إبلاغ الشرطة؟".

قال السير جايمس: "لا، لا. من المحتمل أن تكون الفتاة مع أحد أقربائها".

لم ترض هذه الكلمات الطبيب، ولكنه شعر بأن السير جايمس ليس راغباً في قول المزيد، وأدرك أن محاولة الحصول على المزيد من المعلومات من مستشار الملك الشهير ستكون مضیعة للوقت والجهد. لذا، تمنى لهم الحظ السعيد وودعهم. بعد ذلك، انصرفوا جميعاً من الفندق، ووقضوا لبضع دقائق بجانب السيارة يتحدثون.

صاحت توبينس: "يا له من أمر يبعث على الجنون. تصوروا أن جوليوس ظل معها في المكان نفسه لعدة ساعات".

غمغم جوليوس عابساً: "يا لي من أحقق".

هدأته توبينس قائلة: "إنك لم تكن تعلم"، ونظرت إلى السير جايمس قائلة: "أليس كذلك؟".

الخامس عشر

توبينس تتلقى عرضاً

قفز جوليوس من مقعده.

وقال: "ماذا؟".

قال الطبيب: "كنت أعتقد أنك تعلم هذا".

قال جوليوس: "متى رحلت عن عيادتكم؟".

قال الطبيب: "دعني أتذكر. اليوم الاثنين، أليس كذلك؟ أعتقد أن هذا كان الأربعاء الماضي - بالتأكيد - نعم، لقد كانت الليلة ذاتها التي سقطت فيها من فوق شجرتي".

قال جوليوس: "تلك الليلة؟ قبل سقوطي أم بعده؟".

قال الطبيب: "دعني أتذكر - نعم، بعد سقوطك. لقد وصلتني رسالة عاجلة من السيدة فانديمياير، ورحلت الفتاة والممرضة التي تصاحبها في قطار الليل".

غاص جوليوس مرة أخرى في مقعده.

وغمغم قائلاً: "الممرضة إديث - رحلت مع أحد المرضى - لقد تذكرت. يا إلهي، لقد كنت قريباً منها بدرجة كبيرة".

قال السير جايمس بلطف: "يجد ربي أن أقول لك ألا تقلق، لا فائدة من البكاء على اللبن المسكوب".

قالت توبينس بعمليتها المعهودة: "المهم هو، ماذا سنفعل بعد ذلك؟".

هز السير جايمس كتفيه.

وقال: "ربما نقوم بنشر إعلان في الصحيفة عن الممرضة التي اصطحبته الفتاة. هذا هو المسار الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه حالياً، وعلى أن أهر بأني لا أنتظر نتائج مبهره. لا يوجد شيء آخر لنقوم به حالياً".

قالت توبينس: "لا شيء؟ وماذا عن تومي؟".

قال السير جايمس: "علينا أن نأمل ألا يكون قد أصابه مكروه. نعم، كل ما علينا فعله هو الأمل".

ولكن عندما نظرت توبينس نحو الأرض، التقت عينا جوليوس بعيني السير جايمس الذي هز رأسه نفيًا، ففهم جوليوس أن المحامي قد اعتبر أن الأمر ميئوس منه، فامتقع وجه الأمريكي، وأمسك السير جايمس بيد توبينس قائلاً: "عليك أن تخبريني إذا ما جد جديد. أعيدني إرسال أية خطابات تصلك إلي على الفور".

نظرت له توبينس.

وقالت: "هل سترحل؟".

قال السير جايمس: "لقد أخبرتك، ألا تذكرين؟ أنا ذاهب إلى إسكتلندا".

ترددت توبينس قليلاً ثم.

قالت: "نعم، ولكنني اعتقدت —"

هز السير جايمس كتفيه.

وقال: "فتاتي العزيزة، لا يمكنني أن أقوم بأي شيء آخر. لقد أدت جميع الخيوط التي اتبعناها إلى لا شيء. بقي بكلماتي عندما أقول إنه لا يمكننا فعل أي شيء آخر. إذا ما جد جديد، فسيسعدني أن أنصحك بكل ما أوتيت من حكمة".

جعلت كلماته توبينس تشعر بقدر كبير من الكآبة.

فقالت: "أعتقد أنك على حق. على أية حال، شكراً جزيلاً لك على محاولة مساعدتنا. إلى اللقاء".

كان جوليوس منحنياً على السيارة. ظهرت الشفقة في عيني السير جايمس الحديق في توبينس التي تنظر إلى الأرض.

وقال: "لا تشعر بالكآبة يا آسة توبينس. تذكرني أن أوقات العطلات لا يجب بالضرورة أن تكون وقتاً للعب، بل يمكن للمرء أن يقوم فيها ببعض العمل".

كان هناك شيء ما في صوته جعلها تنظر له بحدة، فhez رأسه وابتسم.

وقال: "لا، لا يجب أن أقول أي شيء آخر. من الخطأ أن يقول المرء الكثير. تذكرني هذا. لا تقولي أبداً كل ما تعرفينه - ليس حتى لأقرب المقربين منك. هل فهمت؟ إلى اللقاء".

انصرف السير جايمس مبتعداً، وهدقت فيه توبينس وهو يبتعد. كانت قد بدأت في فهم أسلوب السير جايمس في التعامل مع الأمور. فقد قام من قبل بإعطائها تلميحات بطريقته نفسها اللامبالية. هل كان ما قاله الآن تلميحات أخرى؟ ماذا يقصد بكلماته الأخيرة المقتضبة تلك؟ هل يعني أنه، رغم كل شيء، لم يتخل عن القضية بعد؛ وأنه سيعمل عليها سراً —

قامع جوليوس تأملاتها عندما قال: "اركبي".

قال جوليوس عندما انطلقا بالسيارة: "يبدو أنك تفكرين في أمر ما. هل قال لك ذلك الرجل العجوز أي شيء آخر؟".

فاحت توبينس فمها بشكل عقوي، ولكنها عادت وأغلقتة. كانت كلمات السير جايمس ترن في أذنيها: "لا تقولي كل ما تعرفينه - حتى لأقرب الناس إليك". وتذكرت أمراً ما آخر فجأة - سؤالها الذي طرحته عليه وتوقفه قبل أن يجيب قائلاً: "لا شيء". هل لا يوجد أي شيء بالفعل؟ أم أنه اكتشف أمراً ما ورغب في الاحتفاظ به لنفسه؟ إذا كان قادراً على الاحتفاظ بالمعلومات سراً، فيمكنها هي أيضاً ذلك.

قالت توبينس: "لا شيء محدد".

شعرت بأن جولْيوس قد رمقها بنظرة من جانب عينه.
وقال: "ما رأيك بأن نذهب للتجول في المتنزه؟"
قالت توبيينس: "كما تحب".

سارا بالسيارة لبرهة من الوقت في صمت تحت الأشجار. كان اليوم جميلاً، وبعث النسيم البارد بعض الانتعاش في توبيينس.

قال جولْيوس: "هل تعتقدين يا آنسة توبيينس أنني لن أجد جاين أبداً؟"
كان صوت جولْيوس يحمل اليأس في طياته. كان هذا المزاج غريباً عليه لدرجة أن توبيينس التفتت إليه في دهشة، فأوما برأسه.

وقال: "هذا ما في الأمر. إن إحباطي يتزايد جراء هذا الأمر. لقد كان السهر جايملس اليوم فاقداً الأمل بالكامل، كنت قادراً على الشعور بهذا، أنا لا أحبه - إننا لا نتفق ممّا - ولكنه رجل ذكي، وأعتقد أنه لم يكن لينسحب من الأمر لو كان هناك أمل في النجاح - أليس كذلك؟".

شعرت توبيينس بالقلق، ولكنها شعرت بأن جولْيوس يخفي أيضاً شيئاً ما عنها، لذلك التزمت بالحزم.

قالت: "لقد اقترح أن ننشر إعلاناً في الجريدة بشأن الممرضة".

قال جولْيوس: "نعم، مع ذلك الأمل الواهي الذي كان بادياً في صوته. لا - أنا على وشك الاستسلام. أنا أفكر في العودة إلى الولايات المتحدة على الفور".
صاحت توبيينس: "لا، علينا أن نعرثر على تومي".

قال جولْيوس: "لقد نسيت أمر بيريسفورد. لقد قضى الأمر، علينا أن نعرثر عليه. ولكن ماذا بعد ذلك - لقد كان لدي أمل كبير منذ بدأت هذه الرحلة - ولكنه بدأ يتلاشى. سأستسلم للأمر الواقع. آنسة توبيينس، هناك أمر ما أرغب في أن أسألك عنه".

قالت توبيينس: "ما هو؟".

قال جولْيوس: "ماذا عنك أنت وبيريسفورد؟".

قالت توبيينس باعتدال: "لا أفهم ما تقصده. وعلى أية حال، أنت مخطئ".

قال جولْيوس: "ألا تكتان لبعضكما أية مشاعر رقيقة؟".

قالت توبيينس بانفعال: "بالطبع لا. أنا وتومي مجرد أصدقاء - هذا كل شيء".

قال جولْيوس: "أعتقد أن كل حبيبين قد قالوا هذا في وقت ما".

قالت توبيينس: "هراء، هل ترائي من نوعية الفتيات اللاتي يقعن في حب كل من يقابلته؟".

قال جولْيوس: "لا، إنك من نوعية الفتيات اللاتي من النادر أن يقعن في الحب".

قالت توبيينس في دهشة: "أوه، أعتقد أن هذه مجاملة، أليس كذلك؟".

قال جولْيوس: "بالطبع. والان دعينا نتحدث عن الأمر. ماذا لو لم نعرثر على بيريسفورد - و-".

قالت توبيينس: "لا بأس، قلها. يمكنني أن أتقبل الواقع. ماذا لو كان قد مات، أليس كذلك؟".

قال جولْيوس: "وانتهى هذا الأمر برمته. ماذا ستفعلين؟".

قالت توبيينس وقد قطبت جبينها: "لا أعلم".

قال جولْيوس: "سكوتين وحيدة أيتها الفتاة المسكينة".

قالت توبيينس كعادتها دون أن تبدو عليها أي من أمارات الشفقة: "سأكون بخير".

سألها جولْيوس: "هل ستتزوجين؟ ما رأيك في هذا الأمر؟".

أجابته توبيينس: "بالطبع أنوي أن أتزوج. هذا إذا، ثم توقفت عن الحديث، وقررت أن تتراجع عما ستقوله، ولكنها أصرت أن تستكمل حديثها فقالت: "تمكنت من إيجاد رجل غني يقدرني حق قدري. هذه هي الصراحة، أليس كذلك؟ أعتقد أنك تحقرني بسبب ما قلت".

قال جولْيوس: "لا يمكنني أن أنكر صراحتك. ما شكل الرجل في خيالك؟".

قالت توبييس حائرة: "شكله؟ هل تقصد ما إذا كان طويلاً أم قصيراً؟".

قال جوليوس: "لا، المال - الدخل".

قالت توبييس: "أوه، لم أفكر في هذا في الواقع".

قال جوليوس: "ماذا عني؟".

قالت توبييس: "أنت؟".

قال جوليوس: "نعم".

قالت توبييس: "أوه، لا يمكنني هذا".

قال جوليوس: "ولم لا؟".

قالت توبييس: "أقول لك، لا أستطيع".

قال جوليوس: "مرة أخرى أقول، ولم لا؟".

قالت توبييس: "سيبدو هذا الأمر غير عادل".

قال جوليوس: "لا أرى هذا. أعتقد أنك تخدعيني. أنت تعجبيني بشدة يا

آنسة توبييس، أكثر من أية فتاة قابلتها في حياتي. أنت شجاعة للغاية، وأرغب في

أن أقدم لك حياة حقيقية رائعة. وافقي، وسنذهب على الفور إلى أحد الصالونات

الكبار لنشتري خاتم الزواج".

شهقت توبييس وقالت: "لا يمكنني هذا".

قال جوليوس: "بسبب بيريسفورد، أليس كذلك؟".

قالت توبييس: "لا، لا، لا".

قال جوليوس: "ما السبب إذن؟".

واصلت توبييس هز رأسها بعنف.

قال جوليوس: "أعتقد أنك تتوقعين الزواج برجل أكثر مني ثراءً".

شهقت توبييس بضحكة هستيرية وقالت: "ليس هذا ما في الأمر، ولكني

أشكره كثيراً، ولكني أفضل أن أقول لا".

قال جوليوس: "سأكون شاكراً لك إذا ما وعدتني بأن تفكري بالأمر حتى الغد".

قالت توبييس: "لا فائدة من هذا".

قال جوليوس: "ولكني أفضل أن تترك الأمر على هذا المنوال".

قالت توبييس بخضوع: "حسناً".

لم يتحدث أي منهما حتى وصلا إلى فندق الريتز.

صعدت توبييس إلى غرفتها، وكانت تشعر بأن معنوياتها في الحضيض بعدما استدعت بشخصية جوليوس المفعمة بالحياة. جلست أمام المرأة وهي تنظر نفسها في صمت لبضع دقائق.

شمغمت وهي تقطب جبينها قائلة: "حمقاء. حمقاء. كل ما ترغبينه - كل ما أمنيته الحصول عليه، ولكنك تقولين لا مثل الغبية. إنها فرصتك الوحيدة، لماذا لا اغتنيها؟ وتنتهزينا؟ وتحصلين عليها؟ فيم تأملين أكثر من هذا؟".

كإجابة على تساؤلاتها، وقعت عيناها على صورة ل تومي موضوعة على طاولة زينها في إطار رث. صارت للحظات لتتمالك نفسها، ثم تخلت عن التظاهر وامسكت بالصورة ورفعتها إلى شفتيها وطبعت عليها قبلة، وبكت:

"أوه، تومي، تومي. أنا أحبك - ولكنني لن أراك مرة أخرى —"

بعد خمس دقائق، جلست توبييس ونظفت أنفها، وعدلت من شعرها.

وقالت: "هذا ما في الأمر. دعينا نواجه الحقيقة. يبدو أنني وقعت في الحب في حب شاب أحرق قد لا يبادلني الشعور نفسه"، توقفت قليلاً ثم تابعت قائلة: "على أية حال. لا أعلم إن كان يحبني أم لا. إنه لم يجزئ على أن يعترف لي بحبه. لقد كنت دائماً أسخر من المشاعر، وأنا إذا أصبحت شاعرية أكثر من أي أحد. يا الفتيات من حمقات! لطالما اعتقدت هذا. أعتقد أنني سأنام واضحة صورته تحت وسادتي، وأحلم به طوال الليل. من المؤسف أن تشعر بأن قيمك زائفة".

هزت توبييس رأسها في حزن عندما أدركت تخليها عن قيمها.

وقالت: "لا أعلم ما ينبغي أن أقول لـ جوليوس. أنا أشعر بالحماسة. يجب أن أقول شيئاً ما - إنه أمريكي وذكي، وسيصر على أن يعرف السبب. أنا أتساءل عما إذا كان وجد أي شيء في تلك الخزانة —"

تحولت أفكار توبينس إلى مسار آخر، فقد تذكرت أحداث ليلة الأمس وفكرت فيها بحرص وعمق، وبدأ أنها تتعلق بشدة بكلمات السير جايمس الغامضة... شهقت فجأة بشدة - وامتقع وجهها، وحدثت في المرأة أمامها، واتسع بؤرها عينيها.

وقالت: "مستحيل، مستحيل. سأصاب بالجنون إذا ما فكرت في هذا الأمر... يا إلهي - ولكنه يفسر كل شيء..."

بعد أن ظلت تفكر ليضع دقائق، جلست وبدأت في كتابة رسالة، وكانت تنطق كلماتها بدقة، وأومأت برأسها في النهاية راضية، وضعت الرسالة في طرف ووجهته إلى جوليوس. خرجت من غرفتها وسارت في الممر متوجهة نحو غرفة جلوسه وطرقت الباب. وكما توقعت، لم يكن جوليوس موجوداً. فتركت الرسالة على الطاولة.

كان هناك موظف من خدمة الغرف ينتظرها على باب غرفتها عندما عاينها إليها.

وقال لها: "تلغراف من أجلك يا سيدتي".

أخذت توبينس الرسالة منه، وفتحتها ثم صرخت، فقد كان التلغراف من تومي!

السادس عشر

مغامرات تومي اللاحقة

من بين الظلمة التي كانت تتخللها بعض توهجات النيران، عاد تومي إلى وعيه بهذه. عندما تمكن أخيراً من فتح عينيه، لم يكن مدركاً أي شيء، ولكنه كان يشعر بألم شديد في رأسه. بدأ يلاحظ ما يوجد حوله بصعوبة. أين هو؟ ماذا حدث؟ أغمض عينيه في ضعف، فلم تكن هذه غرفة نومه في فندق الريتز. وماذا حدث لرأسه بحق السماء؟

قال تومي وهو يحاول الجلوس: "تباً"، ثم تذكر ما حدث. لقد كان في ذلك المنزل المشتم في ضاحية سوهو. ثم صاح في ألم وسقط راقداً على ظهره مرة أخرى، وحاول أن يستكشف المكان من حوله بعينيه نصف المغمضتين.

قال صوت قريب من أذنه بشدة: "سيستعيد وعيه"، لاحظ تومي على الفور أنه كان صوت الرجل الألماني ذي اللحية، فرقد مرة أخرى دون حراك. كان يشعر بأنه لن يكون من المستحب أن يفيق في وقت مبكر هكذا، وحتى يقل الألم الشديد في رأسه، كان يشعر بأنه غير قادر على التفكير. حاول متألماً أن يكتشف ما حدث. يبدو أن هناك شخصاً ما تسلل من خلفه عندما كان يسترق السمع خلف الباب وضربه على رأسه ضربة قوية. إنهم يعرفون الآن أنه جاسوس، ويبدو أنهم

لن يتهاونوا معه. من المؤكد أنه يوجد في مكان غير معروف، ولا أحد سيعلم
أن يعرف أين هو، لذا لم يكن يتوقع الحصول على أية مساعدة من الخارج، ويحتمل
أن يعتمد على سرعة بديهته دون غيرها.

غمغم تومي لنفسه قائلاً: "ها نحن ذا"، وكرر هذه المقولة في نفسه عدة
مرات.

ثم قال بعد ذلك: "تُبّا"، وتمكن هذه المرة من الجلوس.

وعلى الفور، اقترب منه الرجل الألماني ووضعه كوبيًا بالقرب من شفتيه وقال
"أشرب". أطاعه تومي. جعله طعم العقار يختنق ولكنه صفى ذهنه لدرجة مذهلة
كان يرقد على أريكة في الغرفة التي عُقد فيها الاجتماع. كان على أحد جانبيه
الرجل الألماني، وعلى الجانب الآخر كان يوجد حارس الباب ذو الوجه الشرير
الذي سمح له بالدخول. في حين كان الياقون مجتمعين معًا في مكان بعيد في
الغرفة. ولكن لم يتمكن تومي من رؤية وجه واحد، وجه الرجل الذي يطلقون
عليه الرقم واحد، والذي لم يكن متواجداً بينهم.

سأله الألماني بعدما أزاح الكوب الفارغ عن فمه: "هل تشعر بتحسن؟" ثم
قال وهو يومئ لحارس الباب: "صديقي الصغير، إنك محظوظ أن جمعتنا
قوية، لقد ضربك كونراد ضربة قوية".

ابتسم حارس الباب.

أدار تومي رأسه بصعوبة.

وقال: "أوه، أنت كونراد، أليس كذلك؟ يضاجئني أن سماكة جمجمتي قد كانت
في صالحك أنت أيضاً. عندما أنظر إليك أشعر بالشفقة على نفسي عندما أفكر
أنك قد تمكنت من مباغتتي".

زمجر الرجل، ولكن الألماني قال بهدوء:

"لم يكن يجرؤ على المخاطرة بتركك".

أجابه تومي: "كما تريد. أعلم أنه كان يجب أن أبلغ الشرطة، ولكنني أكره
بنفسي كثيرًا".

كان يتحدث بعدم اكتراث شديد. لم يكن تومي بيريسفورد من الشباب
الإنجليز الذين يتميزون بأية إمكانيات عقلية استثنائية، ولكنهم يكونون في
أفضل أحوالهم عندما يقعون في المواقف العصيبة، حيث إن ثقتهم الفطرية
بأنفسهم تطفئ على كل شيء. كان تومي يدرك أن سرعة بديهته فقط هي التي
تساعده على الفرار، وخلف سلوكه العفوي كان يفكر في الأمر بسرعة مذهلة.

كانت نبرة صوت الألماني باردة كالموت وهو يقول:

"هل يوجد ما تقوله قبل أن نفتلك حيث إنك جاسوس؟".

أجابه تومي بأسلوبه اللامبالي نفسه: "هناك الكثير ليقال".

قال الألماني: "هل تنكر أنك كنت تتنصت على اجتماعنا عبر باب الغرفة؟".

قال تومي: "لا أنكر هذا، بل يجب عليّ أن أعترف - ولكن حديثكم كان مشوقاً
لدرجة أنه تغلب على ترددي".

قال الألماني: "كيف دخلت؟".

ابتسم تومي وقال: "عزيزنا كونراد هذا. قد أتردد عندما أقول لك إنه ينبغي
أن نتخلى عن خدمات هذا الخادم المخلص، ولكن يجب أن تحصل على كلب
حراسة أفضل من هذا".

(مجر كونراد في فناء صبر، وقال عابثاً عندما التفت له الرجل ذو اللحية:

"لقد قال لي كلمة السر، كيف كنت سأعلم أنه يخدعني؟".

قال تومي: "نعم، كيف كان سيعلم؟ لا تلق باللوم على الرجل المسكين. لقد
مكنني تصرفه الأهوج من أن أراكم جميعاً وجهاً لوجه".

شعر بأن كلماته قد ألقت القلق في قلوب جميع الموجودين، ولكن الألماني
عالمهم بصمتون بإشارة من يده وقال:

"الرجال الموتى لا يروون القصص".

قال تومي: "أه، ولكنني لم أمت بعد".

قال الألماني: "ولكنك ستمت قريباً صديقي الشاب".

تصاعدت الهمهمات من الباقين، فبق قلب تومي بعنف على الرغم من أن أسلوبه العفوي اللامبالي لم يتغير على الإطلاق.

قال تومي بحزم: "لا أعتقد هذا. سيكون علي أن أعترض على الموت".

حيرهم جميعاً ما قاله، فقد رأى هذا جلياً على وجه مختطفه الذي سأله "هل يمكن أن تخبرني بالسبب الذي يمنعنا من قتلك؟".

أجابه تومي: "هناك الكثير من الأسباب. اسمع، لقد طرحت علي الكثير من الأسئلة. دعني أطرح عليك واحداً من باب التغيير. لماذا لم تقتلني على الفور قبل أن أستعيد وعيي؟".

تردد الألماني، فاغتنم تومي الفرصة وقال:

"لأنك لا تعلم كم من المعلومات أعرف - ومن أين حصلت على هذه المعلومات. وإذا ما قتلتي الآن، فإنك لن تعرف أبداً".

عند هذه المرحلة، لم يحتمل بوريس الوقوف للمشاهدة، فخطا للأمام وهو يلوح بذراعيه ويقول:

"أيها الجاسوس. إننا لن نتهاون معك. اقتله. اقتله".

وارتفع التصفيق.

قال الألماني وهو ينظر لـ تومي: "أسمع؟ ما رأيك في هذا؟".

هز تومي كتفيه وقال: "ماذا؟ مجموعة من الحمقى. دعمهم يطرحوا على أنفسهم بعض الأسئلة. كيف دخلت هذا المكان؟ تذكر ما قاله عزيزنا كودرا - لقد دخلت بكلمة السر الخاصة بكم، أليس كذلك؟ كيف عرفت كلمة سرهم؟ أعتقد أنك لا تعتقد أنني قد وصلت إلى هنا بمحض المصادفة وأنتي قد قلت له أول كلمة تبادرت إلى ذهني، أليس كذلك؟".

كان تومي سعيداً بالكلمات الأخيرة التي قالها. الأمر الوحيد الذي كان نادراً عليه هو أن توبينس ليست هنا لتحبيه عليها.

قال الألماني فجأة: "هذا صحيح. أيها الرفاق، لقد تعرضنا للخيانة".

تصاعدت الغمغات كالهدير، وابتم لهم تومي مشجعاً. وقال:

"هذا أفضل. كيف تأمل في النجاح في أي عمل إذا لم تعمل عقلك فيه؟".

قال الألماني: "ستخبرنا بمن خاننا، ولكن هذا لن ينقذ حياتك - أوه لا. يجب أن نخبرنا بكل ما تعرفه. إن بوريس هذا يعرف طرقاً رائعة تجعل أي شخص يتكلم".

قال تومي بازدراء وهو يقاوم شعوراً غير مستحب استقر في معدته: "هراء. انك لن تعذبني ولن تقتلني".

سأله بوريس: "ولم لا؟".

قال تومي بهدوء: "لأنك ستقتل الإوزة التي تبيض ذهباً".

خيم الصمت على المكان، وكان يبدو أن ثقة تومي قد استحوذت على تفكيرهم، فقد فقدوا ثقتهم بأنفسهم، ونظر الرجل ذو الملابس الرثة إلى تومي في حيرة، وقال بهدوء: "إنه يخدعك يا بوريس".

شعر تومي بالمقت تجاه الرجل. هل كان هذا الرجل يقرأ أفكاره؟

التفت الرجل الألماني بصعوبة نحو تومي وقال:

"ما الذي تقصده؟".

قال تومي وهو يعتمر أفكاره بشدة: "ماذا تعتقد أنني أقصد؟".

خطا بوريس فجأة إلى الأمام ولكم تومي في وجهه كلمة كالتنبؤ وقال:

"تحدث، أيها الإنجليزي الحقيير - تحدث".

قال تومي بهدوء: "لا تنفعل لهذه الدرجة يا صديقي العزيز. هذا أسوأ ما فيكم أيها الأغراب، لا يمكنكم أن تصمتوا. والآن، دوري لأسألك، هل أبداً كشخص فاعل في وجود أية فرصة تمنعكم من قتلي؟".

نظر حوله بثقة، وكان سعيداً بأنهم غير قادرين على سماع نبضات قلبه المنتظمة التي أعطت المصادقية لكلماته.

أقر بوريس في النهاية: "لا، لا تبدو كذلك".

فكر تومي في نفسه قائلاً: "حمداً لله أنه لا يستطيع قراءة الأفكار"، ثم قال بصوت عالٍ مستغلاً الأفضلية التي حصل عليها:

"أنا أدعوها نظرية، ولكني واثق تماماً من الحقائق، الحقائق التي لا يعلمها أحد غيري أنا. على أية حال، ماذا ستخسرون؟ إذا كنت قادراً على العثور على الوثائق - فستمنحوني حياتي وحرיתי في المقابل. هل قبلتم المساومة؟"

قال الألماني بهدوء: "وإذا رفضنا؟"

اضطجع تومي على الأريكة وقال:

"يوم التاسع والعشرين سيحل بعد أقل من أسبوعين —"

تردد الألماني للحظة ثم أشار إلى كونراد وقال:

"خذك إلى الغرفة الأخرى."

ظل تومي جالساً على الفراش في الغرفة الصغيرة المجاورة، وكان قلبه يدق ببطء. لقد قام بكل ما يملك من معلومات في هذه المحاولة. ماذا سيقربون؟ وبينما كانت هذه الأفكار تعصف بعقله، كان يتحدث بتهكم مع كونراد، مثيراً غضب حارس الباب سيئ الطباع لدرجة الجنون.

في النهاية، انفتح باب الغرفة، وأمر الرجل الألماني كونراد باصطحاب تومي إلى الغرفة الأولى مرة أخرى، فقال تومي:

"أمل ألا يكونوا قد حكموا عليّ بالإعدام. هيا يا كونراد، خذني إلى الغرفة الأخرى. لقد وصل السجين إلى المحكمة أيها السادة."

جلس الرجل الألماني خلف الطاولة، وطلب من تومي أن يجلس في المقعد المقابل له، وقال لـ تومي:

"لقد قبلنا شروطك. يجب أن نحصل على الوثائق قبل أن نتركك ترحل". قال تومي بلطف: "أحمق. كيف تعتقد أنني سأتمكن من البحث عنها وأنا محبوس هنا؟"

قال الألماني: "ماذا تتوقع إذن؟"

قال تومي: "يجب أن أذهب حراً طليقاً للبحث عنها".

ضحك الألماني وقال: "هل ترانا مجموعة من الأطفال الصغار لتتركك رجل من هنا بدون أية ضمانات سوى قصتك المليئة بالوعد؟"

"ولماذا تعتقد أنني واثق من أنكم لن تقتلونني لهذه الدرجة؟ لأنني أعلم أمراً ما يسمح لي بالمساومة".

نظر له الرجل ذو اللحية بحدة وقال: "مساومة؟"

قال تومي: "نعم - المساومة. حياتي وحرיתי في مقابل -"، ثم توقف عن الحديث.

قال الرجل ذو اللحية: "مقابل ماذا؟"

خيم الصمت على المكان لدرجة أنه يمكنك سماع صوت الإبرة إذا ما سقطت على الأرض.

تحدث تومي ببطء قائلاً:

"مقابل الوثائق التي أحضرها دنفرز معه من أمريكا على متن السفينة لوزيتانيا".

كان تأثير كلماته عليهم كالصاعقة، فقد نهضوا جميعاً واقفين، فأشار لهم الألماني بالصمت وانحنى على تومي ووجهه مشتعل من فرط الانفعال وقال: "أنت تمتلكها إذن؟"

بهدوء شديد، هز تومي رأسه نفيًا.

قال الألماني: "هل تعلم مكانها؟"

هز تومي رأسه مرة أخرى وقال: "على الإطلاق".

قال الألماني: "إذن - إذن"، ثم تعلّمت كلماته من فرط الغضب والحيرة.

نظر تومي حوله فرأى الغضب والحيرة على وجوه جميع من في الغرفة ولكن نجح أسلوبه الهادئ الواثق - لم يشك أي منهم في صدق كلماته.

قال تومي: "أنا لا أعلم أين الأوراق - ولكني أعتقد أنني قادر على العثور عليها لدي نظرية بخصوصها —"

قال الألماني: "هراء".

رفع تومي يده، فصمت الجميع، فعاد ليقول:

قال تومي مفكرًا بعمق: "لا، على الرغم من أن هذه الخطة تناسبني تمامًا إلا أنني لم أعتقد أنكم ستوافقون عليها. حسنًا، علينا أن نتوصل إلى حل وسط. ماذا لو كلمت كونراد هذا بمرافقتي. إنه رجل وفي، ومستعد دائمًا للكمي".

قال الألماني بيروود: "إننا نفضل أن نظل هنا، وسيقوم أحد الأعضاء بالتعليماتك بالحرف الواحد. إذا ما واجه أية صعوبات، فسيعود لك لتعطيه المزيد من التعليمات".

قال تومي شاكياً: "لقد تعبنتني كثيرًا. إنه أمر شائك، وقد لا يقوم به الرجل الآخر بالكفاءة المطلوبة، وأين ساكون أنا؟ لا أعتقد أن أيًا منكم يمتلك أية لباقة". ضرب الألماني الطاولة وقال: "هذه هي شروطنا، والا، الموت".

أسند تومي ظهره إلى المقعد متململاً وقال:

"يجبني أسلوبك. فقط، ولكنه جذاب. حسنًا، لقد قضي الأمر، ولكن هناك أمرًا واحدًا ضروريًا، وهو أن أقابل الفتاة".

قال الألماني: "أية فتاة؟".

قال تومي: "جاين فين بالطبع".

نظر له الرجل الألماني بهدشة، ثم قال ببطء كما لو كان يختار كلماته بعناية:

"ألا تعلم أنها لا يمكنها أن تخبرك بأي شيء؟".

بدأ قلب تومي يدق بسرعة أكبر. هل من الممكن أن يقابل الفتاة التي يبحث عنها وجهًا لوجه؟

قال تومي بهدوء: "أنا لن أطلب منها أن تخبرني بأي شيء. لن ألح عليها هذا ما في الأمر".

قال الألماني: "ولما تريد رؤيتها إذن؟".

توقف تومي قليلاً.

قال أخيرًا: "لأرى تعبيرات وجهها عندما أطرح عليها سؤالاً واحدًا".

مرة أخرى ظهرت نظرة غريبة على وجه الرجل الألماني لم يستوعبها تومي. قال الألماني: "إنها لن تتمكن من الإجابة على أي شيء".

قال تومي: "هذا لا يهم. سأراقب وجهها عندما أطرح السؤال".

قال الألماني: "هل تعتقد أن هذا سيخبرك بأي شيء؟"، قالها ثم بدأ يضحك بحكة كريهة، فشعر تومي أكثر من أي وقت مضى بأن هناك شيئًا خفيًا لا يعلمه. نظر له الرجل الألماني بحيرة وقال بهدوء: "لقد بدأت في التساؤل عما إذا كنت أعلم الكثير كما نظن أم لا".

شعر تومي بأن سيطرته عليهم قد وهنت عن ذي قبل، ولكنه شعر بالحيرة. هل قال شيئًا خاطئًا؟ لقد كان يتحدث بعصوية.

قال تومي: "ربما تعلم أمورًا أكثر مما أعلم. كما أنني لم أظاهر بأنني مدرك لجميع تفاصيل عملكم، ولكنني أعلم أيضًا أمرًا لا تعلم عنه شيئًا، وهذه هي سماتي للبقاء على قيد الحياة. لقد كان دافنرز ماهرًا -"، ثم توقف عن الحديث عندما شعر بأنه أخبره بأكثر مما يجب.

انفجرت أسارير الرجل الألماني قليلًا.

وشغف قائلاً: "دافنرز، لقد فهمت -"، ثم توقف عن الحديث قليلًا وأشار لكونراد وقال: "خذني إلى الطابق العلوي - كما تعلم".

قال تومي: "انتظر قليلًا، ماذا عن الفتاة؟".

قال الألماني: "سنرتب الأمر".

قال تومي: "أرجو هذا".

قال الرجل الألماني: "سنرى ما يمكننا فعله. هناك شخص واحد فقط يمكنه البت في مثل هذا الأمر".

سأله تومي على الرغم من أنه يعلم الإجابة: "من؟".

قال الألماني: "السيد براون —"

قال تومي: "هل يمكنني أن أقابله؟".

قال الألماني: "ربما".

قال كونراد بخشونة: "هيا".

نهض تومي في طاعة. عندما خرجا من الغرفة أمره سجاناه بأن يصعد الدرج وتبعه صاعداً الدرج. في الطابق العلوي، فتح كونراد باب إحدى الغرف ودخل تومي غرفة صغيرة الحجم. أضاء كونراد مصباحاً غازياً يصدر صوتاً كالضجيج ثم خرج من الغرفة. سمع تومي صوت مفتاح الباب وهو يدور في مزلاجيه.

بدأ تومي في استكشاف الغرفة التي سُجن فيها. كانت الغرفة أصغر حجماً من الغرفة التي تقع في الطابق السفلي، ولم تكن جيدة التهوية، ثم أدرك أنه لا توجد بها أية نوافذ. بدأ يدور في الغرفة التي كانت ذات حوائط قذرة، مثلها مثل كل ما يوجد في المنزل. كانت هناك أربع صور معلقة على أحد حوائط الغرفة تصور مشاهد من فيلم "فاوست" - مارجريت وهي تحمل صندوق حليها، مشهد دار العبادة، سيبيل وزهوره وفاوست وميستوفوليس. جعل الأخير تومي يذكر السيد براون مرة أخرى. كان تومي يشعر، في تلك الغرفة المغلقة بإحكام بباريها المغلق الثقيل، كعمزول عن العالم، وبأن القوة الشريرة لهذا المجرم العتيق المسمى بالسيد براون حقيقة. يمكنه أن يصرخ كما يحلو له، ولكن لن يسمعه أحد. لقد كانت الغرفة مثل القبر الذي دُفن فيه حياً...

حاول تومي أن يجمع بصعوبة شتات نفسه، فرقد على الفراش وبدأ يفكر. كان رأسه يؤلمه بشدة، كما أنه كان جائعاً، وكان الصمت الذي يحيط به كثيباً.

قال تومي محاولاً تهدئة نفسه: "على أية حال، ربما أقابل الزعيم - السيد براون الغامض، ومع القليل من الحظ والخداع، قد أقابل جاين فين أيضاً. بعد ذلك —"

بعد ذلك، أقر تومي بأن ما كان يفكر فيه أمر كئيب.

السابع عشر

آنيت

إن مشكلات المستقبل سرعان ما تختفي أمام مشكلات الحاضر، ومن بين المشكلات الحالية الأكثر إلحاحاً كان الجوع. كان تومي يمتلك شهية صحية وقوية، وبدأ كما لو كانت شرائح اللحم مع البطاطس التي تناولها على الغداء تنامي إلى عقد بعيد من الزمان. أدرك نادماً أنه لن يتمكن من النجاح مادام يشعر بالجوع.

بدأ تومي يذرع الغرفة التي سُجن فيها جيئةً وذهاباً بدون هدف، ولمرة أو مرتين تخطى عن كرامته وبدأ يطرق الباب بعنف، ولكن لم يجبه أحد.

قال تومي: "لا يمكنهم هذا. لا يمكن أن يكونوا يقصدون أن يتركوني لأموت يوماً. تنامي في داخله خوف جديد من أنه ربما كان هذا أحد "الأساليب الرائعة" التي تجعل السجين يتكلم، والتي يميز بها بوريس، ولكنه عندما بدأ التفكير فيها شعر بأنها فكرة سخيفة.

هرر في نفسه قائلاً: "إنه كونراد القبيح. سأستمتع بالانتقام منه في أحد الأيام. أعتقد أنه ينتقم مني، لا شك في هذا".

الفتح الباب. تذكر تومي خطته بضرب كونراد على رأسه، ولكن سبق السياف
العدل. بعد دقيقة، شعر بالسعادة، حيث إن من دخل الغرفة لم يكن كونراد، ولكن
فأنا كانت تحمل صينية وضعتها على الطاولة.

في ضوء المصباح الغازي الخافت، نظر لها تومي، وأقر على الفور بأنها كانت
واحدة من أجمل الفتيات اللاتي رآتهن عيناه في حياته. كان شعرها غزيرًا بني
اللون، تتخلله بعض الخصلات الذهبية كما لو كان هناك بعض من أشعة الشمس
العبيسة في أعماقه، والتي تناضل من أجل حريرتها. كان وجهها يشبه الزهور
البرية، وكانت عيناها الواسعتان في لون البندق، لون البندق الذهبي الذي ذكره
مرة أخرى بأشعة الشمس.

مرت بعقل تومي فكرة قوية فقال:

"هل أنت جاين فين؟"

هالت الفتاة: "اسمي أنيت يا سيدي."

تكلمت الإنجليزية بلهجة ركيكة ولكن ناعمة.

قال تومي في دهشة: "أوه، هل أنت فرنسية؟"

هالت أنيت: "نعم يا سيدي. هل تتحدث الفرنسية؟"

قال تومي: "لا، على الإطلاق. ما هذا؟ هل هذا هو الإفطار؟"

أومأت الفتاة برأسها موافقة، فجلس تومي على طرف الفراش وبدأ في
التفحص مكونات الصينية. كان إفطاره مكونًا من الخبز والسمن النباتي المصنع
والدجاج من القهوة.

قال تومي متنهّدًا: "إن الحياة هنا ليست مثل الريتز، ولكنني أشكر الله على ما
تقدمه لي إياه أخيرًا."

جذب أحد المقاعد في حين استدارت الفتاة نحو الباب، فصاح تومي قائلاً:
"انتظري قليلاً. هناك الكثير من الأمور التي أريد في أن أسألك عنها يا
أنيت. ماذا تفعلين في هذا المنزل؟ لا تقولي لي إنك ابنة أخي كونراد أو ابنته أو
أي شيء من هذا القبيل، لأنني لن أصدقك."

غرس المزيد من التفكير في نفسه شعورًا بأنه يجب أن يضرب كونراد
ضربة شديدة على رأسه بيضاوي الشكل. بدأ تومي يضرب رأسه برفق وقرق في
تخيالاته، وطرأت عليه فكرة. لم لا يحول الخيال إلى واقع؟ لا شك في أن
كونراد هو مستأجر المنزل، أما الآخرون، ربما عدا الرجل ذا اللحية، يستخدمون
المنزل لعقد الاجتماعات فقط. لذا، لم لا يتربص بكونراد خلف الباب ليهاجمه
عند الدخول بضربة بأحد المقاعد أو اللوحات المهترئة على رأسه. يجب عليه
بدون شك، أن يضربه بقوة شديدة، وبعد هذا - بعد هذا يمكنه أن يخرج من
الغرفة بكل بساطة. إذا ما قابل شخصًا آخر في أثناء خروجه من المنزل، حينها
- كان تومي سعيدًا بفكرة مواجهة شخص ما بقبضتيه العاريتين. كانت مثل هذه
المواجهة تروقه أكثر من المواجهة اللفظية التي حدثت عصر هذا اليوم. قال
تومي الذي أعجبته الخطة بإزاحة اللوحة التي يظهر فيها الشيطان وفأوست من
الجدار ووقف خلف الباب. كانت آماله تصل إلى عنان السماء، فقد كانت تبدو له
الخطة بسيطة ولكن ممتازة.

مر الوقت بدون أن يظهر كونراد. لم يكن تومي قادرًا على إدراك الليل من
الصباح في محبسه، ولكن ساعة تومي، التي كانت تتمتع بقدر كبير من الدقة
أخبرته بأن الساعة التاسعة مساءً. فكر تومي أنه إن لم يحضر كونراد الغداء له
فعليه أن ينتظر الإفطار. عندما دقت الساعة العاشرة، بدأ يفقد الأمل، وارتفع
على الفراش عله يجد العزاء في النوم. في خلال خمس دقائق، نسي كل شيء من
محنته.

أيقظه صوت المفتاح وهو يدور في المزلج من نومه. لم يكن تومي من
نوعية الأبطال الذين يستيقظون من النوم كاملي الوعي، حديق تومي في سكر
الغرفة وبدأ يتساءل أين يكون، ثم تذكر كل شيء ونظر في ساعته وكانت تشير
إلى الثامنة.

قال تومي لنفسه: "هذا إما شاي الصباح أو الإفطار، وأدعو الله أن يكون
الأخير."

قالت آنيث: "أنا أقوم بالخدمة هنا يا سيدي، ولست أمت بصلة قرابة لأحد".

قال تومي: "فهمت. هل تعلمين شيئاً عما سألتك عنه منذ قليل؟ هل سمعت بهذا الاسم من قبل؟".

قالت آنيث: "أعتقد أنني سمعت بعض الناس يتحدثون عن جاين فين".

قال تومي: "تعلمين أين هي؟".

هزت الفتاة رأسها نفيًا، فقال تومي:

"أهي موجودة في هذا المنزل؟".

قالت آنيث: "لا يا سيدي. يجب أن أذهب الآن - إنهم ينتظرونني".

أسرعت بالخروج من الغرفة وأغلقت الباب بالمفتاح.

تساءل تومي وقد بدأ في تناول إفطاره:

"من الذين ينتظرونها؟ مع بعض الحظ، قد تساعدني هذه الفتاة على الخروج من هنا. لا يبدو أنها أحد أفراد العصابة".

في تمام الواحدة، ظهرت آنيث مرة أخرى حاملة صينية أخرى، ولكن كان معها كونراد هذه المرة.

قال تومي بلطف: "صباح الخير. يبدو أنك لم تستحم بعد".

زمجر كونراد مهددًا، فقال تومي:

"لا يمكنك الرد بهدوء، أليس كذلك يا عزيزي؟ مرحى، مرحى، لا يمكن أن تكون أذكياً وجميلي الشكل في الوقت ذاته. ماذا سأتناول على الغداء؟ حساء؟ كيف عرفت؟ أمر بديهي عزيزي واتسون - رائحة البصل تملأ المكان".

زمجر الرجل قائلاً: "تحدث كما يحلو لك. أعتقد أنك لن تعيش طويلاً لتواصل الحديث".

لم يكن ما قاله الرجل بالأمر المحبب، ولكن تومي تجاهله وجلس إلى الطاولة، وقال وهو يلوح بذراعه:

"ارحل أيها الوغد، إنك لا تجيد الحديث".

في المساء، رقد تومي في الفراش وهو يفكر بعمق. هل سيرافق كونراد الفتاة مرة أخرى؟ إذا لم يفعل، فهل سيخاطر بأن يجتذبها في صفه؟ قرر أن يجرب جميع الاحتمالات، فقد كان في موقف لا يحسد عليه.

في تمام الثامنة، جعله صوت المفتاح المألوف وهو يدور في مزلاج الباب يهيمز واقفاً على قدميه. كانت الفتاة بمفردها فقال لها:

"أغلق الباب، أرغب في التحدث معك قليلاً".

أطاعته الفتاة.

قال تومي: "اسمعي يا آنيث. أريدك أن تساعديني على الخروج من هنا".

هزت الفتاة رأسها وقالت: "مستحيل. هناك ثلاثة منهم جالسون في الدور الأرضي".

قال تومي الذي كان ممتناً من المعلومات التي أخبرته بها:

"أوه، ولكن هل ستساعديني إذا ما واثقت الفرصة؟".

قالت الفتاة: "لا، يا سيدي".

قال تومي: "ولم لا؟".

ترددت الفتاة قليلاً ثم قالت:

"أعتقد - لأنهم أقراني، وأنت تجسست عليهم، ومن حقهم أن يحسوك هنا".

قال تومي: "إنهم أشاروا يا آنيث. إذا ما قمت بمساعدتي، فسأبعدك عنهم، وقد أحصلين على مبلغ جيد من المال".

ولكن الفتاة هزت رأسها مرة أخرى وقالت:

"لا يمكنني هذا. أنا خائفة منهم".

ثم استدارت لتغادر الغرفة.

حينذاك صاح تومي: "أئن تفعلين أي شيء لمساعدة فتاة أخرى؟ إنها في مثل سنك. أئن تساعدني على الفرار من هؤلاء الأشرار؟".

قالت أنيت: "هل تقصد جاين فين؟".

قال تومي: "نعم".

قالت أنيت: "إنها من حضرت إلى هنا بحثاً عنها، أليس كذلك؟".

قال تومي: "نعم".

نظرت له الفتاة، ثم مسحت جبهتها بيدها وقالت:

"جاين فين. لطالما سمعت هذا الاسم. إنه مألوف بالنسبة لي".

تقدم تومي نحوها وقال:

"لا بد أنك تعرفين شيئاً عنها، أليس كذلك؟".

ولكن الفتاة استدارت فجأة وقالت:

"أنا لا أعرف أي شيء عنها - أعرف اسمها فقط"، سارت نحو الباب ولكنها صرخت فجأة. حديق فيها تومي فوجدها تنظر إلى اللوحة التي كان قد أسندها إلى الحائط في الليلة السابقة. للحظة رأى نظرة الرعب في عينيها، ولكن حلت محلها نظرة الراحة بشكل غير مفهوم، ثم غادرت الغرفة فجأة. لم يفهم تومي شيئاً مما فعلته الفتاة. هل تخيلت أنه كان سيهاجمها بهذه اللوحة؟ بالطبع لا. أعاد تثبيت اللوحة على الجدار بعناية.

مرت ثلاثة أيام مملة أخرى، وبدأ تومي يشعر بالعصبية. لم يكن قد رأى أي أحد خلال تلك الفترة سوى كونراد وأنيت، وأصبحت الفتاة بكاء، لم تكن تتحدث سوى بكلمات مقتضبة، وكان الارتياح يبدو جلياً في عينيها. شعر تومي بأنه إن استمرت عزلته هذه لفترة أطول من ذلك فقد يصاب بالجنون. فهمم كونراد أنهم ينتظرون أوامر السيد براون. اعتقد تومي أنه ربما كان خارج البلاد وأنه كان يجب عليهم انتظار عودته.

ولكن ليلة اليوم الثالث حملت صحوة جديدة.

كانت الساعة تقترب من السابعة عندما سمع صوت خطوات أقدام خارج باب الغرفة. بعد وقت قليل انفتح الباب ودخل كونراد، ومعه كان الرقم أربعة عشر الذي يوحي شكله بالشر. اضطرب قلب تومي عندما رآه.

قال الرجل وفي عينيهِ نظرة شريرة: "مساء الخير أيها الحاكم. هل أحضرت الحبال معك؟".

أخرج كونراد في صمت حبلاً قوياً، وبعد ذلك كانت يبدأ الرقم أربعة عشر القاسيتان تربطان الحبل حول أطراف تومي، في حين كان كونراد يثبتهُ أرضاً.

قال تومي: "ما الأمر بحق السماء؟".

ولكن ابتسامة كونراد الصامتة البطيئة جعلته يصمت.

تابع الرقم أربعة عشر عمله متجاهلاً ما قاله تومي. وبعد دقيقة كان تومي مقيداً وعاجزاً بالكامل، ثم تحدث كونراد أخيراً:

"هل كنت تعتقد أنك قادر على خداعنا بكل ما تعرفه وما لا تعرفه؟ كنت ناسو منا. وطوال هذا الوقت كنت تخدعنا. إنك لا تعرف شيئاً على الإطلاق. لقد انكشف أمرُك أيها الحقير".

ظل تومي صامتاً، فلم يكن هناك ما يقال. لقد كشف السيد براون البارع سره، ولكن خطرت له فكرة مفاجئة فقال:

"خطاب جميل يا كونراد، ولكن لم كل هذه القيود؟ لم لا تجعل هذا الرجل المهذب يذبني على الفور؟".

قال الرقم أربعة عشر فجأة: "هراء. هل تعتقد أننا ساذجون لدرجة أن نقتلك هنا ونجعل الشرطة تأتي لتستطلع الأمر؟ بالطبع لا. لقد تلقينا الأوامر بنقلك لالتك صباح الغد، ولكننا لا نترك أي شيء للمصادفة كما ترى".

قال تومي: "لا يمكن أن تكون هناك كلمات أكثر سداجة من كلماتك - عدا وجهك".

قال رقم أربعة عشر: "أخرس".

قال تومي: "يسعدني هذا. إنك ترتكب خطأ فادحاً - ولكن خطأك لن يمكن لداركه".

قال الرقم أربعة عشر: "لن يمكنك أن تخدعنا بهذا مرة أخرى. إنك تتحدث كما لو كنت لا تزال مقيماً في فندق الريتز، أليس كذلك؟".

قال كونراد: "هيا يا آنيث".

قالت آنيث: "ها أنا ذا قادمة".

أغلق الباب وسمع تومي كونراد يقول:

"أغلق الباب جيداً وأعطيني المفتاح".

اختفى صوت خطوات الأقدام، وظل تومي متسماً في مكانه من فرط الدهشة. كان الشيء الصغير البارد الذي وضعته آنيث في يده عبارة عن مديّة صغيرة، وكان نصلها مفتوحاً. من الأسلوب الذي اتبعته في عدم النظر إليه، وما فعلته مع أنوار الغرفة، استنتج أن الغرفة مراقبة. لابد أن هناك فتحة مراقبة في أحد حوائط الغرفة. تذكر كيف كانت حريصة دائماً في تعاملها معه، واستنتج أنه ربما كان خاضعاً للمراقبة طوال الوقت. هل قال أي شيء جعله يكشف نفسه؟ بالكاد. كان قد كشف عن رغبته في الهرب وإيجاد جاين فين، ولكنه لم يفصح عن أي شيء يكشف هويته. بالفعل، كان السؤال الذي طرحه على آنيث يدل على أنه لا توجد بينه وبين جاين فين صلة شخصية، ولكنه لم يتظاهر بعكس هذا. السؤال المطروح الآن هو، هل تعلم آنيث المزيد من المعلومات بالفعل؟ هل كان انكارها موجهاً بالأساس لمن يستمعون لحديثهما؟ عند هذه النقطة لم يتمكن من التوصل لأي استنتاج.

ولكن كان هناك سؤال آخر مهم جعله يتجاهل جميع التساؤلات الأخرى. هل سيمكنه، وهو مقيد بهذه الطريقة، قطع قيوده؟ بدأ بحذر في قطع الحبل الذي يقيّد معصميه بنصل المديّة صعوداً وهبوطاً. كان عملاً دقيقاً، وأحياناً كان يتأوه من الألم عندما كان نصل المديّة يجرح معصمه، ولكنه واصل قطع الحبل ببطء وإصرار. كان تومي قد جرح معصمه بشدة ولكنه شعر في النهاية بأن الحبل يرتخي. عندما تحررت يده، كانت البقية سهلة. بعد خمس دقائق كان يقف في منتصف الغرفة بصعوبة بسبب أطرافه المتشنجة. كان اهتمامه الأول هو أن يضمّد معصمه المجروح، ثم جلس على طرف الفراش يفكر. لقد أخذ كونراد مفتاح الباب، لذا لم يكن يتوقع الكثير من المساعدة من آنيث. كان المخرج الوحيد للغرفة هو بابها، لذا يبدو أنه يجب عليه أن ينتظر حضور

لم يجبه تومي. كان يتساءل عن الكيفية التي اكتشف بها السيد براون هويته. فكر في أن توبينس عندما شعرت بالقلق أبلغت الشرطة، وأن الشرطة قد أذاعت أمر اختفائه على الملأ، ولم تبدل العصاة جهداً كبيراً في ربط الأمرين بعضهما بالآخر. خرج الرجلان من الغرفة وأغلقا الباب، وتركوا تومي غارقاً في أفكاره التي لم تكن أفكاراً مبهجة. كان قد بدأ يشعر بتبئيس أطرافه وتشنجهما. لقد كان عاجزاً من دون أي أمل يلوح في الأفق.

مرت ساعة تقريباً عندما سمع المفتاح يدور في المزلاج والباب يفتح. كانت آنيث، فدد قلب تومي بعنف. كان قد نسي كل شيء عن الفتاة. هل من الممكن أن تكون قد حضرت من أجل مساعدته؟

سمع تومي فجأة صوت كونراد يقول:

"أخرجني من عندك يا آنيث. إنه لن يرغب في العشاء الليلة".

قالت آنيث: "نعم، نعم، أعلم هذا، ولكنني أريد أن أخذ الصينية الأخرى، إننا بحاجة إليها".

صاح كونراد: "حسناً، أسرع".

توجهت الفتاة نحو الطاولة من دون أن تنظر لتومي وحملت الصينية ورفعت يدها وأطافت الأنوار.

قال كونراد - الذي كان واقفاً خارج الباب:

"اللعنة عليك يا آنيث. لماذا فعلت ذلك؟".

قالت آنيث: "أنا أفعل هذا على الدوام. كان يجب أن تخبرني بالأفعل هذا. هل أضيتها مرة أخرى يا سيد كونراد؟".

قال كونراد: "لا، أخرجني من عندك".

صاحت آنيث وهي تنحني بجانب فراش تومي في الظلام:

"على الفور سيدي. هل قيدت الرجل جيداً؟ إنه مثل الدجاجة المعدة للطهي". ضاقت نبذة صوتها تومي ولكنه شعر بالدهشة عندما شعر بيدها تتلمس قيوده بهدوء، وتضع شيئاً ما صغيراً وبارداً في يده.

الرجلين لنقله، ولكن عندما يفعلان... ابتسم تومي، وتحرك بحذر شديد في الظلام الدامس وتحسس اللوحة التي على الجدار حتى عثر عليها ورفعها، وشعر بالسعادة لأن خطته الأولى لم تضع هباءً. كل ما كان عليه فعله الآن هو الانتظار وقد فعل.

مر الليل ببطء شديد، وشعر تومي بأن الساعات لا تنتهي، ولكنه سمع أخيراً صوت خطوات أقدام، فوقف منتصباً وسحب نفساً عميقاً وأمسك باللوحة بشدة. انفتح الباب، وتدفقت أشعة الضوء الخافتة من الخارج. توجه كونراد ليشعل المصباح الغازي، وشعر تومي بالأسف لأن كونراد هو من دخل أولاً، فقد كان يرغب في أن يرد له الصاع صاعين. تبعه الرقم أربعة عشر. بمجرد أن عبر عتبة الباب، ضربه تومي باللوحة ضربة قوية، فسقط رقم أربعة عشر على الأرض بدوي شديد جراء تحطم كوب زجاجي، وخرج تومي على الفور من الغرفة وأغلق الباب، وكان المفتاح في المزلج فأداره مغلقاً الباب حين بدأ كونراد في ضرب الباب من الداخل مطلقاً اللعنات.

تردد تومي للحظة، فقد كان يسمع صوت شخص ما يعدو على الأرضية في الطابق السفلي، ثم سمع صوت الرجل الألماني يقول وهو يصعد الدرج: "ما الأمر يا كونراد؟"

شعر تومي بيد توضع على كتفه، وكانت أنيت تتف بجانيه، فأشارت إلى سلم مهترئ يقود إلى العلية.

جذبتة أنيت خلفها صاعدة السلم وقالت:

"أسرع - إلى أعلى"، وسرعان ما كانا يقفان في علية مغبرة مليئة بأشياء مبعثرة هنا وهناك. نظر تومي حوله وقال: "لن يفيدنا وجودنا هنا. إنه فخ. لا يوجد مخرج".

وضعت الفتاة إصبعها على شفتيها وقالت:

"صه. انتظر"، وزحفت حتى وصلت إلى قمة السلم وبدأت في التنصت على ما يحدث في الأسفل.

كانت أصوات الطرقات على الباب عالية، فقد كان الرجل الألماني ورجل آخر يحاولان فتح الباب عنوة. قالت أنيت هامسة: "سيعتقدان أنك ما زلت في الداخل. لا يمكنهما أن يسمعا ما يقوله كونراد. إن الباب سميك للغاية".

قال تومي: "كنت أعتقد أنك قادرة على سماع ما يحدث بالغرفة؟".

قالت أنيت: "هناك فتحة تنصت في جدار الغرفة المجاورة. إن إدراك هذا يدل على الذكاء، ولكنهما لن يفكرا في هذا - كل ما يهمهما الآن هو دخول الغرفة".

قال تومي: "نعم - ولكن انظري -"

انحنى الفتاة وقالت: "اترك الأمر لي"، ولدهشته، رأى الفتاة تربط طرف حبل طويل بمقبض دورك كبير مشروخ، وتأكدت من ربطه جيداً، ثم التفتت إلى تومي وقالت: "هل معك مفتاح باب الغرفة؟".

قال تومي: "نعم".

قالت أنيت: "أعطني إياه".

أعطائها المفتاح.

فقالت: "سأهبط لأسفل. هل تعتقد أنك قادر على الهبوط نحو منتصف السلم ثم القفز خلفه، بحيث لا يمكنهما رؤيتك؟".

أوماً تومي برأسه أن نعم.

قالت أنيت: "هناك خزانة في الجزء المظلم من الممر. اختف خلفها. أمسك بعنق هذا الخيط في يدك، وعندما أخرج الآخرين - قم بشده".

قبل أن يتمكن من أن يطرح عليها أي سؤال آخر، كانت تهبط السلم بخفة، وأصبحت بين الجمع وهي تصرخ:

"يا إلهي، يا إلهي، ماذا حدث؟".

التفت الرجل الألماني إليها وقال متوعداً:

"لا شأن لك بهذا. اذهبي إلى غرفتك".

قام تومي بالقفز بحذر إلى خلف السلم، وطالما لن يقوم أي منهم بالنظر نحوه، فسيكون كل شيء على خير ما يرام. زحف تومي حتى وصل خلف الخزائن، وكان الجمع لا يزال يفصل بينه وبين الدرج.

تظاهرت أنيت بأنها تعثرت بشيء ما فقالت:

"يا إلهي، ها هو المفتاح؟".

اختطف الرجل الألماني المفتاح من يدها، وفتح الباب، فخرج منه كونراد متوعدًا، وقال:

"أين هو؟ هل أمسكتكم به؟".

قال الألماني بحدة وقد شحب وجهه:

"لنا لم نر أي أحد. من تعني؟".

أطلق كونراد وعيدًا آخر ثم قال:

"لقد هرب".

قال الألماني: "مستحيل. كان يجب أن يمر بنا".

في اللحظة ذاتها قام تومي، وهو يتسهم، بجذب الخيط، فتصاعد صوت تحطم في العلبة. في لحظات كان الرجال يتدافعون صاعدين سلم العلبة المتهترئة واختفوا في الظلام في الأعلى.

وفي لمح البصر، قفز تومي من مكان اختبائه وهبط الدرج مسرعًا ساحبًا الفتاة خلفه. لم يكن هناك أحد في ردهة المنزل، وبدأ يحاول فتح باب المنزل، ونجح أخيرًا، وانفتح الباب، التفت للخلف، ولكنه لم يجد أنيت.

وقف تومي مشدوهاً. هل عادت للطابق العلوي مرة أخرى؟ أي جنون هذا! كان لا يطيق الانتظار طويلاً ولكن بقي مكانه، لم يكن من الممكن أن يتركها ويهرب.

سمع فجأة صوت صرخة عالية، وصوت استفسار من الرجل الألماني، ثم صوت أنيت تقول:

"يا إلهي، لقد هرب، بسرعة، من كان يتصور هذا؟".

بقي تومي واقفاً مكانه. هل كان هذا أمراً منها له بالفراق؟ أعتقد أنه كذلك.

بعد هذا سمع صوت أنيت العالي يقول:

"هذا منزل سيئ. أريد العودة إلى مارجريت. إلى مارجريت، إلى مارجريت".

عدا تومي عائداً نحو الدرج. هل كانت تريد أن يهرب ويتركها؟ ولكن لماذا؟

على أية حال، يجب أن يحاول أن يأخذها معه. ولكن بعد ذلك، شعر برعب

شديد، فقد كان كونراد يقفز هابطاً الدرج مطلقاً صيحة بربرية عندما رآه، وكان الآخرون خلفه.

أوقف تومي اندفاع كونراد بكلمة كالقنبلة وجهها إلى وجهه ارتطمت بفكه

سقط على الأرض دون حراك، وتعثر الرجل الذي كان يهبط الدرج خلفه

بجسده. من على قمة السلم، ظهر ضوء لامع، واحتكت طلقة رصاص بأذن تومي.

أدرك تومي أنه يجب أن يخرج من هذا المنزل في أسرع وقت ممكن، فلم يكن

بوسعه فعل أي شيء. لأنيت. لقد رد له كونراد الصاع صاعين، الأمر الذي جعله

يشعر بالرضا، فقد كانت للكلمة التي وجهها له قوة للغاية.

قفز تومي خارجاً من الباب وصفقه خلفه. كان الحي خالياً من المارة عدا

شاحنة تخص أحد الخبازين. يبدو أن هذه الشاحنة هي التي كان سيتم نقله فيها

إلى خارج لندن، وكان سيتم العثور على جثته على بعد عدة أميال من المنزل في

ضاحية سوهو. قفز السائق من السيارة وحاول اعتراض طريق تومي. تحركت

قبضة تومي مرة أخرى موجّهة لكلمة أخرى قوية إلى فك السائق الذي رقد على

الرصيف من دون حراك.

بدأ تومي بالعدو بأقصى ما أوتي من قوة. انفتح الباب الأمامي للمنزل،

وانهمرت عليه طلقات الرصاص كالسيل. لحسن الحظ لم تصبه أي منها حتى

وصل أخيراً إلى ناصية الميدان.

فكر تومي في نفسه: "هناك أمر واحد مؤكد، أنهم لن يستمروا في إطلاق

النار. سيفتقون انتباه الشرطة إذا ما فعلوا. هل سيجرؤون على إطلاق النار هنا؟".

سمع صوت خطوات أقدام من يطاردونه تقترب، فضاغف من سرعة عدوه بمجرد أن يتمكن من الخروج من تلك الشوارع الجانبية، سيكون في أمان. سيجد رجال الشرطة في مكان ما - ليس لأنه سيطلب منهم المساعدة إلا إذا كان بحاجة لذلك. كان الأمر يتطلب توضيحاً، الأمر الذي لم يكن ممكناً. في اللحظة التالية، لعب الحظ دوره. كان قد تعثر في شخص راقد على الأرض، والذي أطلق صيحة خوف ونهض وبدأ يعدو. توارى تومي في مدخل إحدى البنايات، وسرعان ما رأى اثنين ممن يطاردونه - كان أحدهما الرجل الألماني - وهما يعدوان خلف الرجل الآخر.

جلس تومي بهدوء على عتبة الباب ليلتقط أنفاسه، ثم نهض وسار في الاتجاه المعاكس. نظر إلى ساعته، وكانت تشير إلى الخامسة والنصف، وكانت أشعة الشمس قد بدأت تشق السماء بسرعة. على ناصية الشارع التالي، مر أحد رجال الشرطة وألقى على تومي نظرة متشككة. شعر تومي بالإهانة. عندما مر يده على وجهه بدأ في الضحك. لم يكن قد حلق ذقنه أو استحم طوال ثلاثة أيام. من المؤكد أنه سيبدو قذراً.

توجه على الفور إلى مبنى حمام تركي كان يعرف أنه يفتح أبوابه طوال الليل. خرج منه بعد ذلك في ضوء النهار وهو يشعر بأنه قد استعاد نفسه، وأصبح قادراً على وضع الخطط مرة أخرى.

قبل أي شيء، يجب أن يتناول وجبة شهية. لم يكن قد أكل شيئاً منذ ظهر يوم أمس. دخل أحد المطاعم وطلب بعض البيض واللحم المقدد والقهوة. وبينما كان يتناول الطعام، تصفح جريدة الصباح التي كانت موضوعة أمامه على الطاولة. لفت انتباهه مقال طويل عن كرامينين، الرجل الذي يقال عنه إنه "العقل المدبر للبشافية" في روسيا، والذي وصل للتو إلى لندن - اعتقد البعض أنها زيارة غير رسمية. ذكر المقال بعض المعلومات المختصرة عن مسيرته المهنية، كما أكد بشدة أنه، وليس القادة الكبار، هو من دبر الثورة الروسية.

كانت صورة الرجل ظاهرة في منتصف تلك الصفحة من الجريدة.

قال تومي وفمه ممتلئ بالبيض واللحم المقدد:

"هنا إذن هو رقم واحد. أنا واثق من هذا. يجب أن أواصل العمل".

دفع تومي ثمن إفطاره، وتوجه نحو مقر الحكومة البريطانية. عندما وصل إلى هناك، أخبرهم باسمه وبأنه يحمل رسالة بالغة الأهمية. في خلال دقائق، كان يجلس مع الرجل الذي لم يكن معروفاً هنا باسم السيد كارتر. كان الرجل ينظر له وحاجبه معقودان وقال:

"اسمع، لم يكن يجب عليك أن تأتي لتطلب مقابلي بهذه الطريقة. كنت أعتقد أننا قد اتفقتنا على هذا".

قال تومي: "بالفعل يا سيدي، ولكن لم يكن من الممكن أن أضيع ثانية واحدة".

قص عليه تومي ما حدث خلال الأيام الماضية باختصار شديد.

في منتصف حديث تومي، قاطعه السيد كارتر ليلقي بعض التعليمات عبر الهاتف، وكانت جميع مظاهر الضيق قد اختفت من على وجهه حالياً. أوما السيد كارتر برأسه في انفعال عندما أنهى تومي حديثه وقال:

"لقد كنت محقاً. لقد كانت كل ثانية مهمة. أخشى أن نكون قد تأخرنا كثيراً بالفعل. إنهم لن ينتظروا ثانية واحدة قبل الهرب. سيتضح كل شيء على الفور. إلا أنهم ربما يكونون قد تركوا شيئاً ما خلفهم قد يصلح كخيط نتبعه. لقد قلت إنك اكتشفت أن الرقم واحد هو كرامينين، أليس كذلك؟ هذا أمر غاية في الأهمية. لقد كنا بحاجة ماسة إلى أي دليل ضده كي لا تقوم الحكومة بالقبض عليه دون أن نستفيد من وضعه. ماذا عن الآخرين؟ لقد قلت إن هناك شخصين يعدوان مألوفين بالنسبة لك، أليس كذلك؟ انظر إلى هذه الصور فقد تجد صورتيهما بينهما".

بعد دقيقة، أخرج تومي إحدى الصور، فنظر لها السيد كارتر مندهشاً، وقال: "أه، ويستواي، لم أتخيل هذا، لقد كان يتظاهر بأنه شخص عادي. أما بالنسبة للشخص الآخر، فأعتقد أنه يمكنني التخمين"، ثم سلم صورة أخرى له تومي، وابتسم قائلاً: "أنا محق إذن. من هذا؟ أيرلندي، اتحادي بارز، عضو في مجلس النواب. كل هذا على سبيل التغطية عليه من دون شك. كنا نرتاب في

أميره، ولكننا لم نكن نملك دليلاً. نعم، لقد قمت بعمل رائع أيها الشاب. تقول إن التاريخ سيكون في يوم التاسع والعشرين. هذا يعطينا القليل جداً من الوقت القليل جداً".

تردد تومي: "ولكن —"

قرأ السيد كارتر أفكاره فقال:

"أعتقد أنه يمكننا التعامل مع الإضراب العام. إنها مقامرة - ولكننا نملك فرصة ذهبية، ولكن إذا ما ظهرت مسودة الاتفاقية تلك - فقد انتهى أمرنا. ستم الفوضى أرجاء إنجلترا. ما الأمر؟ السيارة؟ هيا يا بيريسيفورد. سنذهب لنلقي نظرة على هذا المنزل".

كان هناك شرطيان مكلفان بحراسة المنزل في ضاحية سوهو، وتحدث أحد المحققين بصوت خافت مع السيد كارتر الذي التفت إلى تومي وقال:

"لقد هربوا - كما اعتقدنا. ربما يجب علينا أن نتحرى أمر المنزل".

كان دخول المنزل مرة أخرى يبدو بالنسبة لـ تومي كالحلم. كان كل شيء كما تركه تماماً. الغرفة التي تم حبسه فيها واللوحه المشهية، والدورق المكسور في العلبة، غرفة الاجتماعات بطاولتها الطويلة، ولكن لم يكن هناك أثر لأية أوراق، يبدو أنه قد تم تدميرها جميعاً أو أخذها معهم في أثناء الهرب. ولم تكن هناك أية إشارة على وجود آنيث.

قال السيد كارتر: "إن ما قلته لي عن الفتاة يجعلني أشعر بالحيرة. هل تعتقد أنها عادت إلى داخل المنزل متعمدة؟".

قال تومي: "يبدو هذا يا سيدي. لقد عادت إلى الطابق العلوي بينما كنت أحاول فتح الباب".

قال السيد كارتر: "يبدو أنها أحد أفراد العصابة إذن، ولكن كونها امرأة لم تستطع رؤية رجل فاتن مثلك يُقتل. ولكن يبدو أنها متورطة في الأمر معهم، وإلا لم تكن لتعود إليهم".

قال تومي: "لا يمكنني أن أصدق أنها أحد أفراد العصابة يا سيدي. لقد بدت مختلفة —"

قال السيد كارتر وهو يبتسم ابتسامة جعلت وجهه يحمر خجلاً: "إنها جميلة، أليس كذلك؟".

أقر تومي بجمال آنيث في خجل، فقال السيد كارتر: "بالمناسبة، هل ذهبت إلى الأنسة توبينس بعد؟ لقد أرسلت لي الكثير من الرسائل بخصوصك".

قال تومي: "كنت أخشى أن تشعر بالقلق. هل أبلغت الشرطة؟".

هز السيد كارتر رأسه نفياً، فقال تومي:

"أتعجب إذن عن كيفية كشفهم أمري".

نظر له السيد كارتر في حيرة، فشرح له تومي الأمر. وأما السيد كارتر برأسه وقال:

"حقاً، إنه أمر مثير للريبة، إلا إذا كان ذكر الريتز مجرد مصادفة، أليس كذلك؟".

قال تومي: "ربما كان الأمر كذلك يا سيدي، ولكن لا بد من أنهم تمكنوا من كشف أمري بشكل مفاجئ بطريقة ما".

قال السيد كارتر وهو ينظر حوله: "حسناً، لا يوجد شيء آخر يستحق وجودنا هنا. ما رأيك في أن تتناول الغداء معي؟".

قال تومي: "شكراً لك سيدي، ولكنني أفضل أن أعود إلى توبينس لأطمئنهما".

قال السيد كارتر: "بالطبع. أبلغها خالص تحياتي وأخبرها بالآ تصدق بسهولة أنك قتلت في المرة القادمة".

ابتسم تومي وقال: "لا يمكنني أن أقتل بهذه السهولة يا سيدي".

قال السيد كارتر باقتضاب: "هذا ما أعتقد. حسناً، إلى اللقاء. تذكر أنك رجل مستهدف حالياً، فاعتن بنفسك". قال تومي: "شكراً لك سيدي".

أشار تومي لواحدة من سيارات الأجرة وقفز داخلها، فانطلقت نحو فندق الريتز، ووقف يفكر قليلاً في رد فعل توبينس عندما تراه.

قال تومي لنفسه: "ما الذي تخطط له توينس في الوقت الحالي. ربما تخطط لمطاردة ريتا. بالمناسبة، ما الذي كانت تقصده أنيت باسم مارجريت. لم أتمكن من فهم ما تقصده في حينها"، أحرزته الفكرة قليلاً، حيث إنه كان يثبت أن السيدة فانديمياير والفتاة كانتا على صلة وثيقة.

اقتربت سيارة الأجرة من فندق الريتز، فاندفع تومي عابراً أبوابه بسرعة، ولكن بمجرد أن دخل إلى الفندق، فترت حماسته. فقد أخبره موظف الاستقبال بأن الأنسة كاوتي قد غادرت منذ ربع الساعة.

الثامن عشر

البرقية

دخل تومي مطعم الفندق، وهو يشعر بالحيرة، وطلب وجبة كبيرة، فقد علمته الأيام الأربعة التي كان حبيباً فيها قيمة الطعام الجيد.

كان على وشك أن يضع في فمه بعضاً من الوجبة التي اختارها بعناية من قائمة الطعام، عندما رأى جوليوس وهو يدخل الغرفة. لوح تومي بقائمة الطعام بهجة ونجح في جذب انتباه جوليوس. عندما رأى جوليوس تومي، بدا كما لو كانت عيناه ستقفزان من محجريهما. توجه نحو تومي وصافحه بقوة شعر الأخير بأنها غير ضرورية.

قال جوليوس: "يا إلهي، هل هذا أنت حقاً؟".

قال تومي: "بالطبع هذا أنا، ولم لا؟".

قال جوليوس: "ولم لا؟ ألم تعلم يا رجل أننا اعتقدنا أنك قد مت؟ لقد كنا بصدد إقامة جنازتك بعد بضعة أيام".

سأله تومي: "من الذي اعتقد أنني قد مت؟".

قال جوليوس: "توينس".

قال تومي: "أعتقد أنها قد تذكرت المثل عن موت الشاب الطبيب. أعتقد أنني قمت بالكثير من الآثام لذا فقد نجوت. أين هي توينيس؟"

قال جوليوس: "أليس هنا؟"

قال تومي: "لا، لقد قال لي موظف الاستقبال إنها قد خرجت."

قال جوليوس: "أعتقد أنها ذهبت للتسوق. لقد قمت بتوصيلها بالسيارة إلى هنا منذ حوالي الساعة، ولكن ألن تنفض عنك هذا الهدوء البريطاني وتخبرني بما حدث؟ ماذا كنت تفعل طوال هذه الفترة بحق السماء؟"

أجابه تومي: "إذا ما كنت ستتناول طعامك هنا، فاطلبه الآن، حيث إنها قصة طويلة."

جذب جوليوس مقعداً إلى الجانب المقابل من الطاولة، ونادى النادل، وأخبره بالطعام الذي يريده، ثم التفت إلى تومي وقال:

"هيا أخبرني، أعتقد أنك قد قمت ببعض المغامرات."

رد عليه تومي في تواضع: "بوحدة أو اثنتين"، ثم بدأ يقص عليه ما حدث. استمع له جوليوس دون أن ينبس ببنت شفة، ونسي أن يتناول ما في نصف الأطباق التي وضعت أمامه. وعندما انتهى تومي أطلق جوليوس تنهيدة طويلة وقال:

"إنك شجاع للغاية. إن ما حدث لك يشبه أحداث الروايات الرخيصة."

قال تومي وهو يمد يده ليلتقط ثمرة خوخ:

"والآن ماذا عنك؟"

قال جوليوس: "حسناً، يجدر بي أن أقر بأننا قد قمنا ببعض المغامرات نحن أيضاً."

قام هو أيضاً بدور الراوي، وبدأ بمهمته الفاشلة في بورتسموث، ثم أخبره بما حدث عندما عاد إلى لندن، وشرائه السيارة والقلق الذي كان يتزايد في صدر توينيس، والأحداث الاستثنائية التي وقعت الليلة السابقة.

سأله تومي: "ولكن، من قتلها؟ لا يمكنني استيعاب هذا."

أجابه جوليوس باقتضاب: "لقد قال الطبيب إنها قد تناولت السم بنفسها."

قال تومي: "وماذا عن السير جايمس؟ ماذا يعتقد؟"

أجابه جوليوس: "كونه أحد نجوم القضاء، فإنه شخص كتوم. أعتقد أنه احتفظ بالحكم على الأمر لنفسه"، ثم بدأ يقص على تومي تفاصيل ما حدث صباح هذا اليوم.

قال تومي باهتمام: "فقدت ذاكرتها؟ بحق السماء، هذا يفسر سبب نظرهم لي بغرابة عندما طلبت استجوابها. لقد أخطأت في هذا الأمر. ولكني لا أعتقد أن هذا من نوعية الأمور التي قد يتمكن المرء من تخمينها."

قال جوليوس: "ألم يعطوك أي تلميح عن المكان الذي قد تتواجد فيه جايمس؟"

هز تومي رأسه في أسف وقال:

"لا شيء على الإطلاق. أنا أحقق كما تعلم. كان يجب علي أن أحصل على المزيد من المعلومات منهم بطريقة ما."

قال جوليوس: "أعتقد أنك محظوظ بكونك هنا الآن. إن خداعك إياهم كان جيداً. لا يمكنني أن أتصور كيف أنك تمكنت من التفكير في كل هذا بهذه السرعة."

قال تومي ببساطة: "لقد كنت في موقف يحتم علي التفكير في أمر ما."

خيم الصمت للحظات، ثم عاد تومي ليتحدث عن وفاة السيدة فانديميير قائلاً:

"لا يوجد شك في أنها ماتت جراء تسمم الكولرال، أليس كذلك؟"

قال جوليوس: "أعتقد هذا. إن الأطباء يقولون على الأقل إنها أزمة قلبية سببها جرعة زائدة من العقار، أو هراء من هذا القبيل. لا بأس، لن يكون علينا أن نقلق بشأن إجراء تحقيق حول موتها، ولكني أعتقد أنني وتوينيس والسير جايمس المبجل تفكر في الأمر ذاته."

قال تومي: "السيد براون، أليس كذلك؟"

قاصعه تومي قائلاً: "متى طلبت منك جدول مواعيد القطارات؟".

قال الصبي: "بعدما سلمتها البرقية يا سيدي".

قال تومي: "برقية؟".

قال الصبي: "نعم".

قال تومي: "متى كان ذلك؟".

قال الصبي: "حوالي الثانية عشرة والنصف يا سيدي".

قال تومي: "أخبرني بما حدث بالتفصيل".

سحب الصبي نفساً عميقاً ثم قال:

"لقد أخذت برقية إلى الغرفة رقم ٨٩١ - كانت السيدة هناك. فتحت البرقية ثم شغقت وقالت لي بسعادة: أحضر لي جدول مواعيد القطارات، وأسرع يا هنري. هذا اسمي يا سيدي. هنري، ولكن —"
قال تومي بنفاد صبر: "لا يهمني اسمك، أكمل".

قال هنري: "حسناً يا سيدي. أحضرت لها ما طلبت، وطلبت مني أن أنتظر، وبدأت في البحث عن موعد بعينه، ثم نظرت إلى الساعة، وقالت:

أسرع وأخبرهم بأن يطلبوا سيارة أجرة، وبدأت في ارتداء قبعتها أمام المرأة، وسرعان ما كانت في الطابق السفلي للفندق، تقريباً وصلت في الوقت الذي وصلت فيه، ثم رأيتهما تخرج من الفندق وتستقل سيارة الأجرة، وسمعتها تخبر السائق بما أخبرتك به".

توقف الصبي عن الحديث وبدأ في التقاط أنفاسه، وواصل تومي التحديق إلى وجهه. في اللحظة ذاتها عاد جولويس ممسكاً بخطاب مفتوح في يده، فالتفت له تومي وقال:

"أعتقد يا هيرشايمر أن توبينس قد ذهبت للتحقيق بمشردها".

قال جولويس: "اللعنة".

قال جولويس: "بكل تأكيد".

أوما تومي برأسه وقال:

"ولكن السيد براون لا يمتلك أجنحة. لا يمكنني تصور كيف دخل المنزل وخرج منه".

قال جولويس: "ماذا عن نوع من التواصل التخاطري؟ تأثير مغناطيسي أجبر السيدة فانديميير على الانتحار؟".

نظر له تومي باحترام وقال:

"أمر جيد يا جولويس، جيد للغاية، خاصة أسلوب تعبيرك عن الأمر. ولكن هذه الفكرة تربكني. أنا أتوق إلى رؤية السيد براون وجهاً لوجه. أعتقد أن المحققين الماهرين الشباب يجب أن يبدأوا العمل، ويقوموا بدراسة المداخل والمخارج، وأن يطرقوا التفكير حتى يتوصلوا إلى حل اللغز. دعنا نذهب إلى مسرح الجريمة، وأرجو أن نعثر على توبينس، إن فندق الريتز بأكمله سيستفيد برؤية لم الشمل المبتهج".

عندما سأل موظف الاستقبال أخبرهما بأن توبينس لم تعد بعد.

قال جولويس: "أعتقد أنني سأذهب للبحث عنها في الطابق العلوي، ربما كانت جالسة في غرفة معيشتي"، وانصرف.

فجأة تحدث صبي صغير قائلاً بصوت خجل:

"أعتقد أن السيدة الشابة - قد استقلت القطار، يا سيدي".

نظر له تومي وقال: "ماذا؟".

احمر وجه الصبي الصغير أكثر وقال:

"سيارة الأجرة يا سيدي. لقد سمعتها تخبر السائق بالتوجه إلى محطة شايرينج كروس وأن يسرع".

حدق به تومي، وقد جحظت عيناه في دهشة، فتشجع الصبي الصغير وواصل حديثه قائلاً:

"أعتقد أنها لهذا السبب قد طلبت مني جدول مواعيد القطارات".

نظر له تومي بفضول للحظات، وبدا أنه سيتكلم، ولكنه غير رآيه ولم يقل شيئاً. توبييس وجوليوس. حسناً، ولم لا؟ ألم تعترف بحقيقة أنها لم تتعرف على أي رجل ثري؟ ألم تفصح برغبتها في الزواج من أجل المال إذا ما وافتها الفرصة لذلك؟ إن لقاءها مع هذا المليونير الأمريكي قد أتاح لها هذه الفرصة - ومن غير المرجح أن تترك تلك الفرصة تنسل من بين يديها. لقد كانت تعشق المال. لعلها قالت هذا. لماذا يلقي عليها باللوم على أنها تتصرف وفقاً لاعتقاداتها؟

ولكن، ألقى تومي باللوم عليها بالفعل. لقد كان يشعر باستياء شديد لا تفسير له من السهل قول هذا - ولكن يجب ألا تتزوج الفتاة العاقلة من أجل المال. قالت، توبييس باردة وأتانية، وسيكون سعيداً إذا لم يرها مرة أخرى. يا له من عالم قبيح!

أيقظه صوت جوليوس من أفكاره حين قال:

"نعم، أعتقد أن كلاً منا يصلح للآخر تماماً. لقد سمعت أن الفتيات عادة ما يرفضنك في المرة الأولى - أعتقد أنه عرف متفق عليه."

أمسك تومي بذراعه وقال: "رفضت؟ هل تقول رفضت؟"

قال جوليوس: "نعم، ألم أخبرك بهذا؟ لقد قالت لي لا بدون أي سبب مقنع. فيما يقول المغول: الأثنى المطلقة، ولكنها ستوافق بعد أن تفكر بشكل كاف. لقد جعلت الحصول على الرد منها —"

قاطعه تومي بدون أدب قائلاً:

"ماذا كتبت في هذه الرسالة؟"

سلمه جوليوس الرسالة وهو يقول:

"لا يوجد بالرسالة أي ذكر عن المكان الذي ستذهب إليه، ولكن يمكنك أن تنظر بنفسك إذا لم تكن تصدقني."

كانت الرسالة المكتوبة بخط توبييس الطفولي تقول:

قال تومي: "نعم، لقد استقلت سيارة أجرة إلى محطة شايرينج كروس وكان على عجلة من أمرها بعدما تلقت برقية"، ثم وقعت عيناه على الخطاب الذي يمسك به جوليوس وقال: "أوه، لقد تركت للرسالة. هذا جيد، إلى أين ذهبت؟" وبحركة عنوية، مد يده ليأخذ الخطاب من جوليوس، الذي قام بطييه ووضع في جيبه، وكان يشعر بالحرج فقال:

"لا أعتقد أن هذه الرسالة تتعلق بالأم، إنها بخصوص أمر آخر - أمر سألته أن تخبرني به."

بدا تومي حائراً ويتختر الحصول على المزيد من المعلومات قائلاً:

"أوه."

قال جوليوس فجأة:

"اسمع، أعتقد أنه من الأفضل أن أخبرك بالأم. لقد طلبت من الأناقة توبييس أن تتزوجني."

قال تومي بشكل ألي وقد شعر بالدوار من المفاجأة:

"أوه"، فقد كانت كلمات جوليوس مفاجئة، وجعلت عقله يدور للحظات.

أضاف جوليوس قائلاً: "يجدري أن أخبرك بأني قبل أن أطلب منها مثل هذا الطلب، تأكدت منها أنني لم أ تدخل بأي شكل من الأشكال بينكما —"

أيقظ تومي نفسه وقال في سرعة: "لا بأس. أنا وتوبييس أصدقاء منذ سنوات، لا أكثر". ثم أشعل سيجارة ويدها ترتعشان قليلاً وقال:

"لا بأس، لطالما قالت توبييس إنها تبحث عن —"

توقف عن الحديث فجأة، وقد أحمر وجهه، ولكن جوليوس لم يكن منزعجاً وهو يقول:

"أوه، أعتقد أنني الرجل الشري الذي تبحث عنه. لقد أخبرتني الأناقة توبييس بكل شيء على الفور. إنها لم تحاول خداعي. أعتقد أن كلاً منا سيكون مناسباً للآخر."

عزريزي جوليس،

من الأفضل دائماً توضيح الأمور. لا أعتقد أنه يمكنني التفكير في الزواج قبل أن يتم العثور على تومي. دعنا نترك هذا الأمر حتى ذلك الحين.

المخلصة،

توبينس

محبوبة باللونين الأبيض والبرتقالي. فرد تومي كرة الورق وقرأ البرقية التي

أثارت نقول:

تعالى على الفور، منزل موت، إيبوري، يوركشاير، جريت ديفيلوبينتس

تومي

نظر كل منهما للآخر في حيرة، وكان جوليس هو من تحدث أولاً، حيث

قال:

"أنت لم ترسل هذه البرقية، أليس كذلك؟"

قال تومي: "بالطبع لم أفعل. ما الذي تقصده؟"

قال جوليس بهدوء: "أعتقد أن الأمر يعني الأسوأ. لقد تمكنوا منها."

قال تومي: "ماذا؟"

قال جوليس: "أمر مؤكد. لقد وقعوا البرقية باسمك، وقد التقطت الطعم

بال سداجة."

قال تومي: "يا إلهي، ماذا سنفعل؟"

قال جوليس: "أن نتحرك، ونذهب وراءها على الفور. لا يوجد وقت لنضيقه.

من حسن حظنا أنها لم تأخذ البرقية معها، لأنها لو كانت قد فعلت هذا لم تكن ستتمكن من اقتفاء أثرها، ولكن علينا أن نسرع. أين جدول مواعيد القطارات؟"

انتقلت حماسة جوليس إلى تومي، فلو كان تومي بمفرده، فإنه كان سيجلس يفكر في الأمر لنصف الساعة قبل أن يقرر ما سيفعله، ولكن مع وجود جوليس هيرشايمر، كانت العجلة أمراً محتملاً.

بعد أن أطلق بعض التمتمة أعطى جوليس جدول مواعيد القطارات إلى تومي الذي كان قادراً على فك رموزها، ولكن تومي تركه ليلتقط جدولاً آخر.

قال تومي: "ها نحن ذا. إيبوري، يورك، من محطة كينجز كروس، أو من محطة سانت بانكراش. (لا بد أن الصبي قد أخطأ. إنها محطة كينجز كروس

أعاد تومي الرسالة إلى جوليس مرة أخرى، وعيناه تلمعان. كانت مشاعره تخضع لردة فعل حادة، فقد شعر الآن بأن توبينس فتاة نبيلة وغير مهتمة بالمال. ألم ترفض جوليس بدون تردد؟ صحيح أن الرسالة قد حملت دلائل الضعف، ولكنه قد يغفر هذا. كانت الرسالة تبدو كرشوة لجوليس لتخفيفه على بذل المزيد من الجهد من أجل العثور على تومي، ولكنه افترض أنها لم تكن تعني هذا. العريضة توبينس، لا توجد فتاة في الكون تشبهها. عندما رآها - ولكن انقطعت أفكاره بفعل رعشة عنيفة.

فقال وهو يحاول جمع شتات نفسه:

"كما تقول، لا توجد أية إشارة إلى المكان الذي توجهت إليه، مرحبا هنري."

توجه الصبي الصغير نحوه ملياً نداءه، فأعطاه تومي خمسة شلنات.

قال تومي: "هناك أمر آخر، هل تتذكر ما فعلته السيدة الشابة بالبرقية؟" شفق هنري وقال: "لقد كورتها وألقها في المدفأة، وأصدرت هاتفاً مثل، يا سيدي."

قال تومي: "لقد صورت الأمر ببراعة يا هنري. ها هي الشلنات الخمسة الخاصة بك. هيا يا جوليس، دعنا نعثر على البرقية."

أسرعا صاعدين الدرج. كانت توبينس قد تركت مفتاح غرفتها في الباب. كانت الغرفة على الحال نفسها التي تركتها عليها، وكان في المدفأة كرة من الورق

"هل يمكنك أن تخبرني بالطريق إلى منزل موت؟".

قال الحمال: "منزل موت؟ إنه بعيد عن هنا. إنه المنزل الكبير الذي يطل على البحر".

نظر إليه تومي بوقاحة، وبعد أن استمعاً إلى توجيهات الحمال الدقيقة والمبهمة، استعدا لمغادرة المحطة. كانت السماء قد بدأت تمطر، فرعاً ياقتي عليهما وبينما كانا يسيران في قارعة الطريق توقف تومي فجأة وقال: "انظر"، ثم عاد مسرعاً إلى المحطة وبدأ التحدث مع الحمال مرة أخرى، قائلاً: "اسمع. هل تتذكر وصول امرأة شابة في قطار سابق، قطار الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق قادمة من لندن؟ ربما تكون قد سألتك عن منزل موت".

وصف توينيس للحمال بأقصى ما مكنه ذاكرته، ولكن الحمال هز رأسه. كان هناك الكثير من الركاب الذين وصلوا في هذا القطار. لم يكن بإمكانه أن يتذكر امرأة شابة واحدة بعينها، ولكنه كان واثقاً من أن لا أحد قد سألته عن الطريق لمنزل موت.

عاد تومي لـ جوليوس وأخبره بما حدث. كان اليأس يتملكه بشدة. كان يشعر بأنهما لن ينجحا في تحقيق ما حضرا من أجله. كان العدو متقدماً عليهما بثلاث ساعات كاملة. كانت الساعات الثلاث أكثر من كافية بالنسبة للسيد براون، فلم يكن ليتجاهل احتمال أن يتم العثور على البرقية.

بدأ أن الطريق لا نهاية له. كانا قد استدارا حول ناصية خطأ وسارا لنصف ميل تقريباً بعيداً عن الوجهة التي يرغبانها. كانت الساعة قد تجاوزت السابعة عندما أخبرهما صبي صغير بأن منزل موت يقع على ناصية الشارع التالي.

كانت بوابة المنزل الصدئة تهتز بشكل كئيب وهي معلقة في مفصلاتها. كان الطريق المؤدي للمنزل مغطى بطبقة سميكة من أوراق الأشجار. كان هناك شيء ما بخصوص المنزل، أرسل قشعريرة باردة في جسديهما. سارا في الطريق التالي المؤدي للمنزل، وكتمت أوراق الأشجار وقع أقدامهما. كانت الشمس قد غابت، وكان الأمر يشبه السير في عالم الأشباح. كانت أغصان الأشجار فوق

وليس شيرينج كروس) في الثانية عشرة وخمسين دقيقة، هذا هو القطار الذي استقلته، إنها الآن الثانية وعشر دقائق، لقد رحل القطار، القطار التالي في الثالثة والثلاث، وهو قطار بطيء للغاية".

قال جوليوس: "ماذا عن السيارة؟".

هز تومي رأسه وقال:

"إذا ما أردت أن ترسلها إلى هناك فلا بأس، ولكن من الأفضل أن ننتقل القطار. علينا أن نلتزم الهدوء في جميع الأحوال".

ابتسم جوليوس وقال:

"حسنًا، ولكنني أصاب بالعرب كلما فكرت في أن هذه الشابة البريئة معرضة للخطر".

أوماً تومي برأسه شاردًا، فقد كان يفكر، ثم قال بعد لحظات:

"جوليوس، فيم يريدونها في رأيك؟".

قال جوليوس: "ماذا؟ لا أفهم".

قال تومي وهو يقطب حاجبيه مفكرًا:

"ما أعنيه هو أنني لا أعتقد أنهم يرغبون في إيذاها، بل سيحتجزونها رهينة. إنها غير معرضة لخطر وشيك، لأننا إن توصلنا لأية معلومات، فإنها ستكون مفيدة بالنسبة لهم. ماداموا يحتجزونها، فستكون أيدينا مقيدة. هل فهمت؟".

قال جوليوس وهو يفكر بعمق: "بالطبع. هذا صحيح".

تابع تومي حديثه قائلاً: "هذا إلى جانب أنني أثق كثيرًا بقدرات توينيس".

كانت الرحلة بالقطار مرهقة، فقد توقف في الكثير من المحطات، وكانت العربات مزدحمة. واضطرا إلى تغيير القطارات مرتين، مرة في دونكاستر ومرة في محطة صغيرة. كانت محطة إيبوري خالية من الركاب وكان بها حمال واحد توجه نحوه تومي قائلاً:

رأسيهما تتصادم وتتصدع بصوت حزين، ومن وقت لآخر كانت أوراق الأشجار المبللة تسقط في صمت إلى الأسفل، وتفاجهما يملسها البراد على وجنتيهما عندما التفا حول أحد أركان الطريق، ظهر لهما المنزل الذي بدا لهما فارغاً ومهجوراً. كانت النوافذ مغلقة، وكانت الأعشاب تنمو على الدرج المؤدي للمنزل. هل كان هذا المنزل هو المكان المنعزل الذي استدرجت إليه توبييس؟ من الصعب تصديق أن هناك أقدماً آدمية قد خطت على هذا الطريق منذ أشهر مضت.

قرع جوليوس جرس الباب الصدي، فتصاعد صدى رنين الجرس في الفراغ الكبير داخل المنزل. لم يفتح أحد الباب. قرعوا الجرس عدة مرات - ولكن لم تكن هناك أية دلالة على الحياة داخل المنزل. دارا بعد ذلك حول المنزل، وقار الصمت يخيم على المكان والنوافذ مغلقة. إذا ما صدقا ما تخبرهما به أعينهما لاقتنعا بأن المنزل خال.

قال جوليوس: "لا يمكننا فعل شيء".

عادا أدراجهما مرة أخرى إلى البوابة، فقال الأمريكي الشاب:

"يجب أن تكون هناك قرية ما بالقرب من هنا. يمكننا أن نستفسر من المنزل. ربما كان هناك من يعلم أي شيء عن المكان، وما إذا كان هناك أي شخص أقام فيه مؤخراً".

قال تومي: "نعم، إنها فكرة جيدة".

سارا على الطريق حتى وصلا إلى قرية صغيرة. قابلا في أحد شوارع القرية عاملاً يسير مؤرجحاً حقيبة أدواته، فأوقفه تومي ساللاً، فقال الرجل:

"منزل موت؟ لا يوجد من يقطنه. لم يقطنه أحد منذ سنوات. إن السيدة سويني تملك مفتاحه إذا ما أردت دخوله - منزلها بجانب مكتب البريد".

شكره تومي، وسرعان ما وجدا مكتب البريد، الذي كان عبارة أيضاً عن متجر للحلوى والسلع المتنوعة، فطرقا باب الكوخ المجاور. فتحت لهما ابنة امرأة نظيفة ومفعمة بالصحة، وسلمتهما مفتاح منزل موت على الفور وهي تقول:

"ولكني لا أعتقد أن هذا المنزل من النوعية التي قد تصلح لكما يا سيدي، إنه

في حاجة ماسة للكثير من الإصلاحات. السقف يسرب الماء، وسيكون بحاجة إلى الكثير من المال ليصلح للسكنى".

قال تومي مبتهجاً: "شكراً جزيلاً. أعتقد أنه سيكون منزلاً سيئاً، ولكن المنازل أصبحت نادرة هذه الأيام".

قالت السيدة بصدق: "نعم، إنها كذلك. إن ابنتي وزوجها ظلا يبحثان عن كوخ بأسبهما لفترة طويلة. كل هذا بسبب الحرب، إنها تخل بالكثير من الموازين. ولكن اعذرني يا سيدي، سيكون المنزل مظلماً للغاية ولن تتمكن من رؤية الكثير خلاله. أليس من الأفضل أن تنتظر للغد؟".

قال تومي: "لا بأس. سنلقي نظرة عليه الليلة. لقد مررنا من هنا من قبل ولكننا ضلنا الطريق، ما أفضل مكان لنقضي فيه ليلتنا بالقرب من هنا؟".

بدت السيدة سويني غير واثقة وهي تقول:

"هناك فندق يوركشاير أرمز، ولكنه ليس بالمكان الراقي الذي يناسب نبيلين مثلكما".

قال تومي: "سيناسبنا كثيراً، شكراً لك. بالمناسبة، هل مرت عليك فتاة شابة طالبت منك مفتاح المنزل اليوم؟".

هزت المرأة رأسها نفيًا وقالت:

"لم يأت أحد من أجل هذا المنزل منذ وقت طويل".

قال تومي: "شكراً جزيلاً لك".

عادا أدراجهما إلى منزل موت. بعدما فتحا باب المنزل الأمامي بصعوبة كبيرة، أشعل جوليوس عود ثقاب وفحص أرضية المنزل باهتمام، ثم هز رأسه وقال:

"يمكنني أن أقسم بأنه لم يمر أحد من هنا. انظر إلى الغبار. هناك طبقة سميكة منه، ولا توجد أية آثار أقدام".

بدأ في التجول في أرجاء المنزل المقفر التي كانت على الوضع ذاته، طبقات سميكة من الغبار لا توجد عليها أية آثار.

قال جوليوس: "لا يمكنني أن أصدق أن توبييس قد دخلت هذا المنزل".

قال تومي: "لا بد أنها فعلت".

هز جوليوس رأسه بدون أن يعلق.

قال تومي: "سعود لخصه مرة أخرى غداً، ربما أمكننا رؤية المزيد في ضوء الشمس".

في اليوم التالي، بحثا في أرجاء المنزل مرة أخرى، واستنتجا مترددين أن المنزل لم يدخله أي شخص منذ وقت طويل. كانا على وشك مغادرة القرية عندما منعهما اكتشاف تومي المحفوظ عن ذلك، فعندما كانا يعودان أدراجهما إلى البوابة الرئيسية للمنزل، توقفت تومي فجأة وهو يصيح، وانحنى ليلتمس شيئاً ما بين أوراق الأشجار المتناثرة على الطريق. لقد كان حلية ذهبية صغيرة.

قال تومي: "هذه الحلية تعود لتوبييس".

قال جوليوس "هل أنت واثق من هذا؟".

قال تومي: "واثق تماماً. لطالما رأيتها وهي ترتديها".

سحب جوليوس نفساً عميقاً وقال:

"أعتقد أن هذا يحسم الأمر. لقد حضرت توبييس إلى هنا. سنجعل من هذا المكان مقر قيادتنا، وسنفتح أبواب الجحيم على هذه القرية حتى نجدها. لا بد أن هناك شخصاً ما قد رآها".

بمجرد أن بدأت مهمتهما، كان تومي وجوليوس يعملان معاً ومتفهمين، ولكن النتيجة كانت واحدة. لم ير أحد فتاة تحمل أوصاف توبييس. كانا يشعرا بالحيرة - ولكنهما لم يفقدا الأمل. في النهاية غيرا من طريقة بحثهما. من المؤكد أن توبييس لم تبق لوقت طويل في الحي الذي يقع به منزل موت، مما يشير إلى أنه لا بد من أنها قد تمت السيطرة عليها وأخذها داخل سيارة إلى مكان آخر. جددوا من أسلوب استقساتارتهما بناءً على ذلك. هل رأى أحد ما سيارة تلف أمام منزل موت في ذلك اليوم؟ ولكن لم تكلل جهودهما بالنجاح.

أرسل جوليوس برقية إلى المدينة يطلب فيها إرسال سيارته، وبدأ في مسج

السي يومياً دون كلل. كانت هناك سيارة ليموزين رمادية اللون كانا قد علقا عليها ملصقاً كبيراً وتبعها حتى منزل هاروجايت، واتضح فيما بعد أن المكان مملوك لسيدة معروفة للغاية في تلك الأنحاء.

كانا يبدآن سعيهما يومياً دون كلل. كان جوليوس مثل كلب الصيد، فقد كان يصغر الخيوط التي قد تدله على مكان توبييس. كان قد تتبع جميع السيارات التي مرت بالقرية في ذلك اليوم، حتى إنه كان يقتحم المنازل الموجودة بالقرية وكان يطلب من ملاكها أن يسمحوا له بفحص سياراتهم. كانت اعتذاراته تشبه إلى حد كبير أساليبه، ونادراً ما كان يواجه مقاومة من ضحاياه، ولكن مرت الأيام دون أن تلوح بادرة أمل بإيجاد توبييس. لقد كانت خطة الاختطاف معدة جيداً بحيث بدا أن الفتاة قد اختفت بلا أثر.

كان هناك أمر آخر يشغل عقل تومي، فسأل جوليوس في صباح أحد الأيام بينما كانا يجلسان متواجهين أمام مائدة الإفطار: "هل تعلم كم من الوقت ظللنا هنا؟ حوالي أسبوع، ولم نقرب من إيجاد توبييس، إن الأحد القادم هو يوم التاسع والعشرين".

قال جوليوس: "تباً. لقد نسيت كل شيء عن يوم التاسع والعشرين. لم أكن أفكر في أي شيء سوى توبييس".

قال تومي: "وأنا أيضاً. ولكني على الأقل لم أنس أمر يوم التاسع والعشرين، ولكن يبدو أنه لا يهمني كثيراً بالمقارنة بالعثور على توبييس. اليوم هو الثالث والعشرون، ولم يعد أمامنا الكثير من الوقت، إذا ما كنا سنتمكن من العثور عليها، فيجب أن نفعل ذلك قبل يوم التاسع والعشرين - إن حياتها لن تساوي شيئاً بعد هذا التاريخ. لن تكون هناك حاجة للاحتفاظ برهينة بعد ذلك التاريخ. لقد بدأت أعتقد أننا قد ارتكبنا خطأ فظيلاً بالطريقة التي اتبعناها في محاولة العثور عليها. لقد أضعنا الكثير من الوقت بدون أن نتحرك قيد أنملة".

قال جوليوس: "اتفق معك على هذا. لقد تصرفنا كزوج من الحمقى حاولا أن يحلوا مشكلة أكبر منهما. سأتوقف عن التصرف كأحمق على الفور".

قال تومي: "ماذا تعني؟".

قال جوليوس: "سأخبرك. سأفعل ما كان علينا فعله منذ أسبوع مضى. سأعود إلى لندن وأخبر الشرطة بكل شيء عن هذه القضية. لقد تخيلنا أنفسنا محققين. محققين! لقد كان ما فعلناه حتى الآن قمة الحمق. لقد اكتفيت من هذا الأمر. سأبلغ اسكوتلانديارد بكل شيء".

قال تومي ببطء: "أنت محق. أسأل الله أن تكون على المسار الصحيح".

قال جوليوس: "أن تصل متأخراً أفضل من ألا تصل على الإطلاق. إننا نبدو كزوج من الأطفال يلعبان حول شجرة التوت، أما الآن، فسأذهب مباشرة إلى اسكوتلانديارد وأطلب منهم أن يوجهوني للطريق الذي يجب أن أسلكه. أعتقد أن المحترفين دائماً ما يتفوقون على المبتدئين في النهاية. هل ستأتي معي؟"

هز تومي رأسه، وقال:

"لا حاجة لهذا. أحدنا يكفي. ربما سأظل هنا وأقصي الأمر لمزيد من الوقت. ربما يظهر أمر ما. من يعلم؟".

قال جوليوس: "لا بأس. حسناً، إلى اللقاء. سأعود في القريب ومعى عدد من المحققين، وسأطلب منهم أن يستخدموا أفضل مهاراتهم".

ولكن لم تسر الأحداث كما خطط لها جوليوس، فقد تلقى تومي في وقت لاحق من اليوم بريقة تقول:

تعال إلى فندق مانشستر ميدلاند. أخبار مهمة - جوليوس.

في الساعة والنصف مساءً، كان تومي يخرج من أحد القطارات الريفية البطيئة، وكان جوليوس بانتظاره على رصيف المحطة.

قال جوليوس: "اعتقدت أنك ستستقل القطار عندما تصل برقيتي".

أمسك تومي بذراعه وقال: "ما الأمر؟ هل وجدت توبينس؟"

هز جوليوس رأسه نفياً وقال:

"لا، ولكني وجدت هذه البرقية تنتظرني في لندن بمجرد وصولي".

أعطى جوليوس البرقية إلى تومي الذي اتسعت عيناه وهو يقرأ التالي:

لقد وجدت جاين فين. تعال إلى فندق مانشستر ميدلاند على الفور - بيل
هارتون.

أخذ جوليوس البرقية مرة أخرى وطواها ثم قال:

"أمر غريب. كنت أعتقد أن هذا المحامي قد تخلص من القضية".

هز تومي رأسه في عدم اقتناع.

قابلهما السير جايمس في تمام الثامنة، فقدم جوليوس تومي له، فتصافحا بحرارة وقال السير جايمس:

"لقد أسعدني لقاءك يا سيد بيريسفورد. لقد سمعت من الآنسة توبينس الكثير عنك" - ثم ابتسم وتابع قائلاً: "يبدو الأمر كما لو كنت أعرفك منذ زمن طويل".

التاسع عشر

قال تومي وهو يبتسم: "شكرًا جزيلاً لك يا سيدي". كان تومي يتفحص المحامي العظيم بحماسة، فقد كان مثل توبينس، يمكنه الشعور بجاذبية الآخرين. كان السير جايمس يذكره بالسيد كارتر. على الرغم من أن الرجلين لا يشبهان بعضهما من حيث الشكل، فإنهما يتركان الانطباع ذاته. تحت المظهر المرهق لأحدهما والتحفظ المهني للآخر، كان يرقد أسلوب التفكير ذاته - التفكير حاد مثل السيف.

جاين فين

في الوقت ذاته، كان تومي يدرك أن السير جايمس يتفحصه بدقة هو أيضًا. عندما كانت عينا المحامي تقعان عليه، كان تومي يشعر بأنه يقرأ أفكاره مثل الكتاب المفتوح. لم يتمكن من منع نفسه من التفكير في حكمه النهائي عليه، ولكن لم يكن هناك مجال لمعرفة هذا. كان السير جايمس يحصل على كل شيء، ولكنه لا يفصح إلا عما يختار الإفصاح عنه فقط - حدث أمر ما يدل على هذا على الفور. بمجرد أن انتهى الترحيب، اندفع جوليوس طارحًا سؤالًا من الأسئلة على سرار. كيف تمكن السير جايمس من العثور على الفتاة؟ ولم لم يخبرهم بأنه سيواصل العمل على القضية؟ وغيرها.

داعب السير جايمس ذقنه وابتسم قائلاً:

"بالضبط، بالضبط. حسنًا، لقد عثرت عليها، وهذا أمر رائع في حد ذاته، أليس كذلك؟ إنه أمر رائع".

قال جوليوس: "بالطبع، ولكن كيف تمكنت من العثور عليها؟ لقد اعتقدت أنا والآنسة توبينس أنك قد تخليت عن الأمر".

قال جوليوس وهو يوجه تومي إلى خارج المحطة:

"لقد وصلت بالقطار منذ نصف الساعة. اعتقدت أن البرقية ستصلك قبل أن أغادر لندن، فأرسلت برقية إلى السير جايمس الذي حجز لنا الغرف وسيقابلنا على العشاء في الثامنة مساءً".

سأله تومي بفضول: "ما الذي جعلك تعتقد أن السير جايمس سيتخلى عن القضية؟".

رد عليه جوليوس باقتضاب: "ما قاله بنفسه. إنه رجل كتوم للغاية، مثله مثل غيره من المحامين، لم يكن ليورط نفسه في الأمر إلا إذا كان واثقًا من أنه سيحقق نتائج مبهره".

قال تومي مفكرًا: "أنا أتساءل".

التفت إليه جوليوس وقال: "عم تتساءل؟".

قال تومي: "عما إذا كان هذا هو السبب الحقيقي".

قال جوليوس: "لا شك في هذا".

ولكن السير جايمس كان متحفّظاً لدرجة أنه لم يكن لأحد أن يتمكن من استدراجه ليُبوح بما لا يرغب في البوح به، فقال باقتضاب: "إن للمصادفات طرقاً غريبة".

إلا أن تومي تأكد مما كان يرتاب فيه، لم يكن وجود السير جايمس في مانشستر من باب المصادفة. لم يكن السير جايمس قد تخلّى عن التحقيق في القضية، كما اعتقد جوليوس، بل ولقد تمكن بطرقه الخاصة من أن يتتبع أثر الفتاة المفقودة. الأمر الذي حير تومي هو، ما السبب في كل هذه السرية؟ استنتج تومي أن هذا كان من نقاط ضعف العقول القانونية.

تحدث جوليوس قائلاً: "بعد العشاء، أرغب في الذهاب ورؤية جاين على الفور".

قال السير جايمس: "أخشى أن هذا ليس ممكناً. لا أعتقد أن الطبيب سيسمح بوجود زوار في فترة الليل. أقترح أن نذهب صباح الغد في العاشرة صباحاً".

احمر وجه جوليوس. لطالما شعر بأن السير جايمس يعامله بعدوانية، كان الأمر عبارة عن صراع بين شخصيتين قياديتين.

قال جوليوس: "ولكني أعتقد أنني سأذهب إلى هناك الليلة وأرى إذا ما كان بمقدوري أن أجعلهم يتجاهلون قواعدهم السخيفة".

قال السير جايمس: "سيذهب جهك هباءً يا سيد هيرشايمر".

كان لكلمات السير جايمس وقع كالصاعقة، فنظر تومي إلى جوليوس الذي كان عصبيًا ومنفعلًا، وكانت يده التي رفعت كأس الشراب نحو فمه ترتعش قليلاً، وكان ينظر للسير جايمس يتحد. للحظات، بدا أن مشاعر العدواة بينهما ستفجر، ولكن في النهاية نظر جوليوس لأسفل شاعرًا بالهزيمة، وقال:

"أعتقد أنك الفائز في الوقت الحالي".

قال السير جايمس: "شكراً لك. سنتقابل في العاشرة صباحاً إذن؟"، ثم التفت إلى تومي وقال: "يجب أن أقر لك يا سيد بيريسفورد، بأنني قد فوجئت بوجودك هنا الليلة، فإن آخر ما سمعته منك من صديقك أنهما كانا قلقين للغاية على

رمقه المحامي بنظرة حادة ثم واصل مداعبة ذهنه وقال:

"آه، لقد اعتقدت هذا، أليس كذلك؟ هل اعتقدت هذا حقاً؟ يا عزيزي".

قال جوليوس: "ولكني أعتقد الآن أننا كنا مخطئين".

قال السير جايمس: "حسناً، لا أعلم إذا ما كان يجدر بي قول هذا، ولكني أعتقد أنه من حسن حظنا جميعاً أننا تمكنا من العثور على الفتاة".

قال جوليوس وقد انتقلت أفكاره إلى مسار آخر:

"ولكن، أين هي؟ لقد اعتقدت أنك ستحضرها معك".

قال السير جايمس باقتضاب: "لن يكون هذا ممكناً".

قال جوليوس: "لماذا؟".

قال السير جايمس: "لأن الفتاة وقعت ضحية حادث سير، وأصيب ببعض الإصابات الطفيفة في رأسها. تم اصطحابها إلى المستشفى، وعندما أفاقنا قالت إن اسمها جاين فين. عندما سمعت هذا، نقلتها إلى منزل أحد الأطباء - أحد أصدقائي، وأرسلت لك البرقية على الفور. بعد ذلك، فقدت وعيها مرة أخرى ولم تتحدث منذ ذلك الحين".

قال جوليوس: "إنها لم تصب بإصابات خطيرة، أليس كذلك؟".

قال السير جايمس: "بعض الجروح والكدمات - من وجهة النظر الطبية، لا يمكن لهذه الإصابات الطفيفة أن تسبب في مثل هذه الحالة. يمكن أن تكون حالتها الحالية عبارة عن صدمة ذهنية جراء استعادة ذاكرتها".

صاح جوليوس بانفعال: "هل ستستعيد ذاكرتها؟".

طرق السير جايمس على الطاولة بتفاد صبر وقال:

"لا شك في هذا يا سيد هيرشايمر، فقد كانت قادرة على تذكر اسمها الحقيقي. كنت أعتقد أنك فهمت هذه النقطة".

قال تومي: "وهل كنت هنا بالمصادفة؟ لا يمكنني تصديق هذا".

سلامتك. لم يكونا قد سمعنا شيئاً عنك منذ أيام، وكانت الأنسة توبينس تعتقد أنك قد واجهت بعض المشكلات".

ابتسم تومي وقال: "لقد واجهت بعضها بالفعل يا سيدي. لم أواجه أية مواقف في حياتي أصعب من التي واجهتها خلال تلك الأيام".

بناءً على طلب السير جايمس، بدأ تومي يقص عليه أحداث مغامرته باختصار، فنظر له السير جايمس باهتمام عندما انتهى من روايته وقال:

"لقد تمكنت من إخراج نفسك من ذلك الموقف العصيب ببراعة. هنياً لك. لقد أظهرت قدراً كبيراً من البراعة وأديت دورك بتمكن شديد".

احمر وجه تومي خجلاً بفعل هذا الإطراء، وقال:

"لم أكن لأتمكن من الفرار لولا تلك الفتاة يا سيدي".

ابتسم السير جايمس قليلاً ثم قال: "لقد كنت محفوظاً لأنها فكرت في مساعدتك"، كان تومي على وشك الاعتراض عندما تابع السير جايمس قائلاً: "لا شك في أنها أحد أفراد العصابة، أليس كذلك؟".

قال تومي: "لا أعتقد هذا يا سيدي. أعتقد أنهم يحتجزونها هناك بالقوة، ولكن الطريقة التي كانت تتعامل بها لم تتفق مع هذه الفرضية. لقد عادت إليهم على الرغم من أنها كانت قادرة على الهرب".

أوماً السير جايمس برأسه وقال:

"ماذا قالت لك؟ شيئاً ما عن رغبتها في الذهاب إلى مارجريت، أليس كذلك؟".

قال تومي: "نعم يا سيدي. أعتقد أنها كانت تقصد السيدة فاندماير".

قال السير جايمس: "لطالما كانت تُعرف باسم ريتا فاندماير. إن جميع أصدقائها يعرفونها باسم ريتا، ولكنني أعتقد أن الفتاة كانت معتادة مناداتها باسمها الحقيقي. في تلك اللحظة التي كانت تصرخ باسمها، كانت السيدة فاندماير إما قد ماتت أو كانت تحتضر. هناك أمر أو اثنان يصدماني بموضوعهما - تغير أسلوب تعاملهم معك على سبيل المثال. بالمناسبة، هل اقتحمت الشرطة المنزل؟".

قال تومي: "نعم يا سيدي ولكنهم كانوا قد لاذوا بالفرار".

قال السير جايمس باقتضاب: "أمر طبيعي".

قال تومي: "لم تجد الشرطة أي خيط لتتبعه".

طرق المحامي على الطاولة وهو يفكر، وقال:

"عجباً —"

كان هناك شيء في صوته جعل تومي ينظر إليه. هل أدرك هذا الرجل شيئاً لم يتمكنوا من إدراكه؟ فقال تومي بعفوية: "كنت أتمنى وجودك هناك يا سيدي، لتفحص المنزل بنفسك".

قال السير جايمس بهدوء:

"كنت أتمنى هذا أنا أيضاً، ثم صمت قليلاً وعاد ليقول: "منذ فرارك، ماذا كنت تفعل؟".

حديق به تومي للتحظات، ثم أدرك أنه لم يكن يعلم، فقال له:

"لقد نسيت أنك لا تعلم شيئاً عما حل بـ توبينس"، كان قد نسي أن يخبر

السير جايمس بما حدث بسبب القلق الشديد وانفعال الغثور على جاين فين.

وضع المحامي الشوكة والسكين على الطاولة بحدة وقال:

"هل حدث شيء للأنسة توبينس؟".

قال جوليوس: "لقد اختفت".

قال السير جايمس: "متى؟".

قال جوليوس: "منذ أسبوع".

قال السير جايمس: "كيف؟".

كان سؤال السير جايمس مباشراً، فأخبره كل من جوليوس وتومي بما حدث

خلال الأسبوع الماضي.

دخل السير جايمس صلب الموضوع مباشرة قائلاً:

قال السير جايمس: "أرغب في الاطلاع عليها. ليس الآن. لقد أضعتما أسبوعاً بأكمله" - أحنى تومي رأسه - "فلن يهم لو أضعتما يوماً آخر أو اثنين. سنتولى أمر الأنسة جاين فين أولاً، ثم سنحاول فك أسر الأنسة توبينس. لا اعتقد أنها معرضة لخطر محقق، طالما أنهم لم يعلموا أننا وجدنا الأنسة جاين فين، وأنها استعادت ذاكرتها. يجب أن نحافظ على عدم إقضاء هذا السر مهما كلفنا الأمر. هل فهمتما؟"

أوما الآخرا برأسيهما، وبعد أن اتفقا على كيفية اللقاء في الصباح التالي، هادهما المحامي العظيم.

في العاشرة من صباح اليوم التالي، كان الشبان يقفان في المكان الذي اتفقا عليه مع السير جايمس، الذي لحق بهما على عتبة الباب. كان السير جايمس وحده من لا تظهر عليه أمارات الانفعال، حيث قدمهما إلى الطبيب قائلاً:

"السيد هيرشايمر - السيد بيريسفورد - الطبيب زويلانس. كيف حال مريضتنا؟"

قال الطبيب: "بخير. لا فكرة لديها عن الفترة التي فقدت فيها الذاكرة، فقد سألتنا هذا الصباح عن عدد الركاب الذين تم إنقاذهم من على متن السفينة لوزيتانيا، وهل تم نشر خبر غرقها بالصحف بعد؟ هذا، بلا شك، ما توقعناه. ولكن يبدو أن هناك ما يشغل بالها."

قال السير جايمس: "اعتقد أنه يمكننا أن نهدئ من روعها. هل يمكننا أن نصعد لها؟"

قال الطبيب: "بالطبع."

كان قلب تومي يدق بسرعة هائلة وهو يتبع الطبيب إلى الطابق العلوي. أخيراً، جاين فين. الفتاة الغامضة التي بحثوا عنها طويلاً، جاين فين المراوغة. لم يكن يتوقع النجاح بهذه الطريقة. هنا في هذا المنزل، وقد استعادت ذاكرتها بأعجوبة، ترقد الفتاة التي تمسك بمستقبل إنجلترا بين يديها. ظهرت ابتسامة هفيفة على شفتي تومي. أم لو كانت توبينس هنا بجانبه لتشاركه لحظة النصر ولجراح مغامرتهم المشتركة. نحى فكرة وجود توبينس جانباً، وكانت ثقته

"برقية موقعة باسمك؟ إنهم يعرفون الكثير عنكم. إنهم لم يعلموا مقدار المعلومات التي حصلت عليها من هذا المنزل. لقد اختطفوا الأنسة توبينس كرد فعل على فرارك، وعند الضرورة قد يمنعوك من الكلام مهددين بإيذائها".
أوما تومي برأسه وقال: "هذا ما اعتقدته يا سيدي".

نظر له السير جايمس بحدة وقال:

"هل فكرت في هذا؟ جيد. الأمر الغريب هو أنهم لم يكونوا يعلمون أي شيء عنك عندما قبضوا عليك. هل أنت واثق من أنك لم تبج بهويتك بأية حال من الأحوال؟"

هز تومي رأسه نافيًا، فقال جوليوس: "هذا صحيح، لهذا أعتقد أن هناك من أخبرهم - ولم يفعل هذا قبل عصر يوم الأحد".

قال السير جايمس: "ولكن من؟"

قال جوليوس: "لأبد من أنه السيد براون الخارق بلا شك".

كانت هناك نبرة سخرية بادية في صوت الأمريكي، الأمر الذي جعل السير جايمس ينظر له بحدة ويقول: "أنت لا تعتقد بوجود السيد براون يا سيد هيرشايمر، أليس كذلك؟"

قال جوليوس مؤكداً: "لا يا سيدي، لا أعتقد بوجوده. ليس لدرجة كبيرة، أعتقد أنه رئيس صوري - مجرد اسم مخيف للأطفال. أعتقد أن الرئيس الحقيقي لكل ما يحدث هو ذلك الروسي كرامينين. أعتقد أنه قادر على إشعال الثورات في ثلاثة بلدان في الوقت ذاته إن رغب في هذا. ومن المحتمل أن يكون ويتجتون رئيس الفرع الإنجليزي".

قال السير جايمس باقتضاب: "لا أتفق معك في هذا. السيد براون موجود". ثم التفت إلى تومي وقال: "هل لاحظت أين تم تسليم البرقية إلى توبينس؟"

قال تومي: "لا يا سيدي".

قال السير جايمس: "هل أحضرتها معك؟"

قال تومي: "إنها في الأعلى ضمن أشياءي".

"لقد أخبروني ببعض الأمور الغريبة: أنني فقدت ذاكرتي، وأن هناك أعواماً قد مرت لا أعلم عنها شيئاً - أعواماً ضاعت من حياتي".
قال جوليوس: "ألم تلاحظي هذا بنفسك؟".

اتسعت عينا الفتاة وقالت: "لا، يبدو لي أنه لم يمر وقت طويل منذ تم وضعنا في زوارق النجاة. ما زلت أرى ما حدث كما لو كان يحدث أمامي الآن"، ثم أغمضت عينيها وهي ترتجف.

نظر جوليوس إلى السير جايمس الذي أوماً له، فقال جوليوس:

"لا تقلقي. لا يوجد ما يستحق القلق. اسمعي يا جاين، هناك أمر ما نرغب في معرفته. كان هناك رجل على متن السفينة كان يحمل وثائق مهمة معه، وهناك رجال مهومون في هذه الدولة يعتقدون أنه أعطاك هذه الوثائق. هل هذا صحيح؟"
ترددت الفتاة وبصرها ينتقل بين الرجلين الآخرين، ففهم جوليوس ما قصده وقال:

"هذا السيد بيريسفورد، فوضته الحكومة البريطانية بالعثور على الوثائق وإعادتها. وهذا السير جايمس بيل إدجارتون، عضو البرلمان، وأحد كبار رجال الحكومة. يعود الفضل له في العثور عليك أخيراً. هل يمكنك أن تقصي علينا ما حدث؟ هل أعطاك دانفرز الوثائق؟".

قالت جاين: "نعم، قال إن فرصة وصولها لبر الأمان أكبر معي، لأنهم كانوا يجلون النساء والأطفال أولاً من على ظهر السفينة".

قال السير جايمس: "كما اعتقدنا تماماً".

قالت جاين: "لقد قال إنها وثائق غاية في الأهمية - وأنها ستصنع فارقاً كبيراً في صالح قوات الحلفاء، ولكن إذا كان هذا منذ وقت طويل، وأن الحرب انتهت، فما أهميتها في الوقت الحالي؟".

قال جوليوس: "أعتقد أن التاريخ يعيد نفسه يا جاين. في البداية كانت هناك رغبة ملحة للعثور على الوثائق، ولكن انتهت هذه الرغبة، ولكن الآن، عادت تلك الرغبة من جديد - ولكن لأسباب أخرى. هل يمكنك أن تسلميها لنا الآن؟".

في السير جايمس تتزايد، فقد كان هو الرجل الذي سيتمكن، بدون شك، من العثور على مكان توبينس. في الوقت ذاته، جاين فين. راوده فجأة شعور بالخوف الشديد، ماذا لو وجدوها ميتة... قتلها السيد براون؟.

في اللحظة التالية كان يسخر من أفكاره المبالغ فيها، فقد فتح الطبيب باب الغرفة ودخلوا جميعاً. على الفراش الأبيض، والضمادات تحيط برأسها، كانت ترقد الفتاة. للحظة، بدا المشهد بأكمله ضرباً من الخيال، فقد كان كما لو أنه أعد بعناية ليظهر بهذا الشكل.

نقلت الفتاة بصرها بينهم بعينين حائرتين، وكان السير جايمس هو أول من تحدث قائلاً:

"أسفة فين. هذا ابن خالك السيد جوليوس بي. هيرشايمر".

اصطبغ وجه الفتاة باللون الأحمر عندما تقدم منها جوليوس وأمسك بيدها وقال:

"كيف حالك يا ابنة عمتي جاين؟".

لم تخف على أذني تومي الارتعاش الذي بدا في صوته.

سألتها الفتاة: "هل أنت حقاً ابن خالي هيرام؟".

كان صوتها، الذي يحمل اللكنة الغربية، رقيقاً ورائعاً. بدا صوتها مأثوفاً على أذني تومي بشكل غريب، ولكنه تجاهل هذا الانطباع قدر الإمكان.

قال جوليوس: "نعم".

تابعت الفتاة حديثها بصوتها الرقيق قائلة:

"لقد كنا نقرأ عن خالي هيرام في الصحف، ولكني لم أتخيل أن أقابلك في أحد الأيام. لقد اعتقدت والدتي أن خالي هيرام لن يسامحها أبداً".

أقر جوليوس قائلاً: "لم يكن أبي ليسامحها بالفعل، ولكني أعتقد أن الجيل الجديد مختلف. لا حاجة بنا إلى استمرار العداوة بين أفراد العائلة الواحدة. أول ما تبادر إلى ذهني بعد انتهاء الحرب هو أن آتي إلى هنا للعثور عليك".

امتنع وجه الفتاة قليلاً وقالت:

في عمق الفتحة قدر إمكانني. ثم قطعت بعضاً من الشجيرات - ووخزنتي بشدة - ووضعتها داخل الفتحة بحيث لا يمكن لأحد أن يتصور وجود فتحة في هذا المكان. ثم علمت المكان بعناية في ذاكرتي، حتى أتمكن من العودة إليه مرة أخرى. كانت هناك صخرة ضخمة غريبة الشكل في هذا المكان - تشبه كلباً جالساً يستعطف صاحبه. ثم عدت أدراجي على الطريق ذاته إلى حيث كانت تنتظرنني السيارة، وعدنا إلى المدينة. ثم ركبت القطار. كنت خجلة من نفسي عندما تخيلت أن الرجل الذي يجلس في المقعد الذي أمامي في القطار يغمز إلى المرأة الجالسة بجانبني، فشعرت بالخوف مرة أخرى، وشعرت بالامتنان بأن الأوراق في أمان. خرجت إلى ممر عربية القطار لأستنشق بعض الهواء. فكرت في التسلل إلى عربية أخرى، ولكن نادتنني المرأة وقالت لي إنني أسقطت شيئاً ما، وعندما انحنيت لأرى ما وقع مني، شعرت بضربة قوية على رأسي - هنا." وضعت يدها على مؤخرة رأسها وقالت: "ولا أتذكر أي شيء آخر حتى استيقاظي في المستشفى".

خيم الصمت، ثم قال السير جايمس: "شكراً لك أنسة فين. أرجو ألا تكون قد أرهقناك". قالت جاين فين: "لا بأس. إن رأسي يؤلمني قليلاً، ولكنني أشعر بأنني بخير." خطا جوليوس نحوها وأمسك بيدها مرة أخرى وقال: "إلى اللقاء يا ابنة عمتي جاين. سأذهب للعثور على تلك الوثائق، ولكنني سأعود سريعاً، وسأصطحبك إلى لندن لنستمتع قليلاً قبل أن نعود إلى الولايات المتحدة. أعني هذا - لذا أسرع وتعافى".

قالت جاين: "لا يمكنني هذا".

قال جوليوس: "ماذا؟"

قالت جاين: "إنها ليست معي".

قال جوليوس: "ليست معك".

قالت جاين: "لا، لقد خبأتها".

قال جوليوس: "خبأتها؟"

قالت جاين: "نعم، كنت أشعر بالخوف. كنت أشعر بأن هناك من يراقبني، فشعرت بالذعر"، ثم وضعت يدها على رأسها وتابعت قائلة: "إن هذا آخر ما أتذكره قبل الاستيقاظ هنا في هذا المستشفى..."

قال السير جايمس بنبرة صوته الحادة:

"أكملي. ما الذي تتذكرينه؟"

التفتت إليه في طاعة وقالت:

"كان هذا في هوليهد. ذهبت إلى هناك، لا أتذكر لماذا..."

قال السير جايمس: "هذا لا يهم، أكملِي."

قالت جاين: "في خضم الزحام الشديد على رصيف المرفأ، تسلت مبتعدة، لم يكن هناك من يراني. ركبت سيارة، وأخبرت السائق بأن يأخذني خارج المدينة. نظرت إلى الخلف عندما خرجنا إلى الطريق السريع فوجدت أنه لم يكن هناك أحد يتبعنا. رأيت طريقاً ضيقاً على جانب الطريق، فأخبرت السائق بأن ينتظرنني".

توقفت للحظة ثم تابعت قائلة:

"قادني الطريق الجانبى إلى جرف صخري، يهبط وصولاً إلى البحر تحيطه الشجيرات الصفراء من الجانبين - كانت تبدو مثل أسنة اللهب الذهبية. نظرت حولي، ولم يكن هناك أي شخص على مرمى البصر، ولكن على مستوى بصري، رأيت فتحة بين الصخور، كانت فتحة صغيرة تمكنت بالكاد من أن أدخل يدي فيها، ولكنها كانت عميقة. أخذت لفة القماش المشمع من حول رقبتى وأدخلتها

كان التردد يبدو جلياً في صوته، وعلى التقويض، كان جوليوس يبدو مرتاحاً لعدم ذهابه معهما، حيث قال:

"لا أعتقد أن الأمر سيكون صعباً، إنه مجرد لعبة غمضية بسيطة".
قال السير جايمس: "أمل ذلك".

قال جوليوس: "بالتأكيد. ماذا تعتقد أنه سيكون؟".

قال السير جايمس: "إنك ما زلت شاباً يا سيد هيرشايمر. عندما تصل إلى مثل عمري ستتعلم درساً واحداً: لا تستهن بمغامرتك".

أذهلت جاذبية نبهة صوته تومي، ولكنها لم تترك تأثيراً كبيراً على جوليوس، الذي قال:

"هل تعتقد أن السيد براون قد يحاول هو أيضاً الحصول على الوثائق؟ إذا ما حاول هذا، فأنا مستعد له"، ثم وضع يده في جيبه وقال: "أنا أحمل مسدساً. إنني أحمله معي في كل مكان". ثم أخرج مسدساً آلياً، وطرق عليه بإعجاب قبل أن يعيده إلى مكانه وهو يقول:

"ولكني أعتقد أنني لست بحاجة له في هذه الرحلة، فمن سيخبر السيد براون بالأمر".

هز المحامي كفيه وقال:

"لم يكن هناك من يخبر السيد براون بأن السيدة فانديمياير ستخونه، ولكنها ماقت بدون أن تتحدث".

صمت جوليوس على الفور، وأضاف السير جايمس بهدوء:

"كل ما أريد فيه هو أن أجعلك تأخذ حذرك، إلى اللقاء، وحظاً سعيداً. لا تقوموا بأية مخاطرات غير ضرورية عندما تحصلان على الوثائق، إذا كان هناك أي شيء يجعلكما تعتقدان أنكما مراقبان، فدمروها على الفور. حظاً سعيداً لكما. إن الأمر بين أيديكما الآن"، وصافحهما بقوة.

بعد عشر دقائق كان الشابان مستقلان القطار متوجهين إلى شيلستر.

العشرون

سيق السيف العذل

قاموا في الشارع بعقد اجتماع للتخطيط للحرب، حيث أخرج السير جايمس ساعته من جيبه وقال:

"لقد توقف قطار نقل المسافرين من السفينة في محطة شيلستر الساعة الثانية عشرة وأربع عشرة دقيقة، وإذا ما بدأتما على الفور، فأعتقد أنكما ستتمكنان من اكتشاف الصلة".

نظر له تومي في حيرة وقال:

"هل يجب أن تسرع بهذا الشكل؟ إن اليوم هو الرابع والعشرون".

قال جوليوس، قبل أن يجيب المحامي:

"أعتقد أنه من الأفضل دائماً الاستيقاظ مبكراً. سنبدأ في البحث عن هذا الشيء على الفور".

قطب السير جايمس حاجبيه قليلاً وقال:

"كنت أتمنى أن أذهب معكما، ولكن يجب أن أكون في اجتماع في تمام الثانية، للأسف".

"حسناً، اسمع. لقد كنت أشعر باليأس من العثور على جاين - كما أن الأمر بأكمله يدل على الحماسة، كما أن - حسناً - الفرنسيين على سبيل المثال، يتعاملون مع تلك الأمور بصورة أكثر منطقية، حيث إنهم يفرقون بين الحب والزواج".

احمر وجه تومي وقال: "حسناً، أعتقد أن ما تقوله —" قاطعه جوليوس مسرعاً: "اسمع، لا تكن متسرعاً. أنا لا أقصد ما فهمته. أعتقد أن الأمريكيين يهتمون بحسن الخلق أكثر مما تهتمون به أنتم. ما كنت أعنيه هو أن الفرنسيين يتعاملون مع الزواج كما لو كان صفقة - ستجد شخصين يصلحان بعضهما للآخر، ويهتمان بالأموال المالية، ويستعرضان أمر الزواج بأكمله بشكل عملي، كما لو كان صفقة".

قال تومي: "إذا ما كان رأيي مهماً، لقد أصبح الجميع يتصرفون بعملية هذه الأيام. لقد أصبحنا نقول طوال الوقت: بم سيفيدني الزواج؟ لقد أصبح الرجال سيئين والنساء أسوأ".

قال جوليوس: "أهدأ قليلاً يا بني. لا تنفعل لهذه الدرجة".

قال تومي: "أنا منفعل بالفعل".

نظر له جوليوس وقرر أنه من الحكمة ألا يقول أي شيء آخر.

كان أمام تومي وقت طويل ليهدأ قبل أن يصلا إلى هوليهيد، وعادت الابتسامة الجذلة إلى وجهه عندما شرعا في التوجه إلى المكان الذي يبيعانه.

بعد أن سالا عدداً من الأشخاص وبمساعدة خريطة، شعرا بأنهما على الطريق الصحيح، لذلك أوقفا سيارة أجرة على الفور، توجهت بهما نحو طريق يؤدي إلى هليج تريادور. طلبا من السائق ألا يسير بسرعة كبيرة، وكانا يراقبان الطريق بعناية حتى لا تفوتهما رؤية الطريق الترابي الضيق. وصلا إلى ذلك الطريق بعد وقت قصير من مغادرة المدينة، فأخبر تومي السائق بالتوقف على الفور، وسأله بعفوية عما إذا كان هذا الطريق يؤدي للبحر أم لا، وعندما أخبره السائق بأنه يؤدي للبحر، قام تومي بدفع أجرة السائق بسخاء.

مر وقت طويل بدون أن ينبس أي منهما بكلمة، حتى كسر جوليوس أخيراً حاجز الصمت بقول أمر لم يتوقعه تومي على الإطلاق، حيث قال:

"اسمع، هل شعرت بأنك أحمق عند رؤية وجه فتاة من قبل؟".

قال تومي: "لا يمكنني أن أجزم، ليس على ما أتذكر، ولكن لماذا؟".

قال جوليوس: "لأنني خلال الشهرين الماضيين كنت أتصرف تجاه جاين كأنني أحمق. عندما رأيت صورتها لأول مرة الأولى، دق قلبي بحبها مثلما يحدث في الروايات الرومانسية. أعتقد أنني أشعر بالخلج من الاعتراف بهذا، ولكنني حضرت إلى هنا وكلي إصرار على العثور عليها وتصحيح مسار الأمور، وأن أعود بها إلى الولايات المتحدة وهي زوجتي".

قال تومي بدهشة: "أوه".

اعتدل جوليوس في جلسته وقال باهتمام:

"يبدل هذا على كم يمكن للرجل أن يجعل من نفسه أحمق، وبمجرد أن يرى الفتاة بشحمها ولحمها يشفى من حبها".

قال تومي: "أوه"، ولم يكن قادراً على قول أي شيء آخر.

استطرد جوليوس قائلاً: "أنا لا أحط من قدر جاين. إنها فتاة رائعة، وأعتقد أن أي رجل آخر قد يقع في حبها على الفور".

قال تومي أخيراً: "ولكنني أعتقد أنها فتاة بارعة الجمال".

قال جوليوس: "بلا شك، ولكنها لا تشبه صورتها على الإطلاق. أعتقد أنها كذلك على أقل تقدير، لأنني كنت سأتعرف عليها على الفور. إذا ما رأيتهما ضمن جمع من الناس كنت سأقول: أنا أعرف هذه الفتاة، ولكن ربما كان هناك خطب ما بهذه الصورة"، ثم هز جوليوس رأسه وتندد قائلاً:

"أعتقد أن الرومانسية أمر غريب للغاية".

قال تومي ببرود: "بلا أدنى شك، خاصة إذا ما كنت قد حضرت إلى هنا من أجل حبك لفتاة، ثم تطلب يد أخرى للزواج بعد أسبوعين".

بدا جوليوس منزعجاً مما قاله تومي، وقال:

بعد لحظات، كانت سيارة الأجرة تسير ببطء عائدة إلى هوليهد. راقبها كل من جوليوس وتومي حتى توارت عن الأنظار ثم عادا إلى الطريق الترابي الضيق مرة أخرى.

سأل تومي بارتياح: "هل هذا هو الطريق الصحيح؟ يجب أن يكون هناك عدد كبير من الشجيرات على جانبيه".

قال جوليوس: "بالطبع. انظر إلى جميع هذه الشجيرات. أتذكر ما قالته جاين؟".

نظر تومي إلى الشجيرات الصغيرة التي تشبه البراعم الذهبية التي كانت تحيط بجانبي الطريق واقتنع بأنه الطريق الصحيح.

سار كل منهما في طابور، وكان جوليوس في المقدمة. عندما نظر تومي خلفه منزعًا للمرة الثانية، التفت له جوليوس وقال: "ما الأمر؟".

قال تومي: "لا أعلم. أعتقد أن هناك من يتبعنا".

قال جوليوس: "مستحيل. كنا سنراه".

أقر تومي بأن جوليوس كان محقًا، ولكن تعمق شعوره بالانزعاج أكثر. رغمًا عنه، بدأ يصدق قدرة عدوه اللامحدودة.

قال جوليوس وهو يربت جيبه:

"أتمنى أن يظهر هذا الشخص. إن مسدسي يتوق للعمل".

سأله تومي بفضول شديد: "هل تحمله معك دائمًا؟".

قال جوليوس: "أغلب الوقت. أعتقد أن لا أحد يعلم ما قد يواجه".

صمت تومي في احترام، فقد كان منبهراً بالمسدس الصغير. بدا أنه يدرأ خطر السيد براون بدرجة كبيرة.

كان الطريق قد أصبح الآن يجاور حافة الجرف الصخري موازيًا للبحر. توقف جوليوس فجأة مما دفع تومي إلى الإسراع نحوه، وسأله قائلاً: "ما الأمر؟".

قال جوليوس: "انظر هناك. أليست هذه هي الصخرة؟".

نظر تومي إلى ما يشير جوليوس إليه فرأى في منتصف الطريق تقريباً، صخرة ضخمة لا شك في أنها تشبه لحد كبير كلباً يستجدي العطف من صاحبه.

قال تومي رافضاً أن يشارك جوليوس مشاعره:

"هذا ما كنا نتوقع رؤيته، أليس كذلك؟".

نظر له جوليوس بحزن وهز رأسه أسفاً وقال:

"يا لهدونك البريطاني المزعج! بالطبع هذا ما كنا نتوقع رؤيته - ولكن هذا بالذات ما يزعجني، أن نجد الصخرة في المكان الذي توقعنا أن نراها فيه".

تومي الذي كان يلتزم الصمت، كان يتوقع المزيد، فتحرك نحو الصخرة وقال:

"واصل السير. ماذا عن الفجوة؟".

بدأ يفحصان جوانب الجرف الصخري بدقة، وسمع تومي نفسه يقول:

"أعتقد أن الشجيرات لن تكون هنا بعد كل هذه السنوات".

قال جوليوس: "أعتقد أنك محق".

فجأة، أشار تومي إلى شيء ما ويده ترتجف وقال:

"ماذا عن تلك الفجوة هناك؟".

قال جوليوس بصوت تملؤه الرهبة:

"إنها هي بلا شك".

نظرا بعضهما إلى الآخر.

قال تومي: "عندما كنت في فرنسا، كان جندي المراسلة الخاص بي عندما فشل في استدعائي، كان يقول دائماً إنه شعر بأمر غريب. لم أكن أصدقه. ولكن"

هواء كان يشعر بهذا أولاً، فإن هذا الشعور موجود، وأنا أشعر به الآن، وبشدة".

نظر تومي إلى الصخرة بشغف وصاح قائلاً:

"للجنة. مستحيل. خمس سنوات. فكر في الأمر. هناك الكثير من الأطفال الذين يبحثون عن أعشاش الطيور وحضلات الهواء الطلق وآلاف الأشخاص يمرون من هذا الطريق. لا يمكن أن تظل الوثائق هنا. هناك احتمال ضئيل للغاية أن تظل هنا في مكانها. إنه أمر منافٍ للمنطق".

لا شك في أنه كان يشعر بأن الأمر مستحيل - ربما بسبب أنه لم يكن يصدق ما فشل فيه الكثيرون. كان الأمر سهلاً للغاية، لذا لم يكن يصدق أنه حقيقي. يجب أن تكون الفجوة فارغة.

نظر إليه جوليوس وابتناسمة واسعة مرتسمة على وجهه وقال:

"أعتقد أنك قد فقدت أعصابك، ها نحن ذا"، ومد يده داخل الفجوة وقال: "إنها ضيقة. يبدو أن يد جاين أصغر كثيراً من يدي. لا يمكنني أن أستشعر وجود أي شيء - لا - ما هذا؟ يا إلهي"، وأخرج لفافة صغيرة وأخذ يلوح بها ببهجة وقال:

"إنها الوثائق، ملفوفة في لفافة من القماش المشمع. أمسكها حتى أخرج مديتي".

لقد تحقق المستحيل. كان تومي يمسك باللفافة الغالية بين يديه. لقد نجح.

غمغم تومي: "أمر غريب، من المفترض أن تكون غرز الخياطة قديمة ومهترئة، ولكنها جديدة".

مزقها الخيط، وفتحا لفافة القماش المشمع. كانت في داخلها ورقة مطوية قاما بفرد الورقة بأيد مرتعشة، ولكن كانت الورقة فارغة، فنظرا لبعضهما البعض في حيرة.

صاح جوليوس: "هراء. هل كان دافنرز مجرد غطاء؟".

هز تومي رأسه نفياً، فلم تكن هذه الإجابة مرضية بالنسبة له، ثم فجأة تهازل وجهه وقال:

"وجدتها. الجبر السري".

قال جوليوس: "هل تعتقد هذا؟".

قال تومي: "إن الأمر يستحق المحاولة. إن الجبر يظهر عادة عند تسخينه. أحضر بعض الحطب. سنوقد ناراً".

خلال دقائق معدودة، كانت النار تستعر في أعواد الحطب وأغصان الأشجار. أمسك تومي بالورقة وقربها من أسنة اللهب، فتجعدت الورقة قليلاً بفعل الحرارة بدون أية نتيجة أخرى.

أمسك جوليوس بذراع تومي فجأة وأشار إلى الورقة التي بدأت الأحرف تظهر عليها بلون بني خافت.

قال جوليوس: "يا إلهي، لقد كنت محقاً. إن فكرتك كانت رائعة. إنها لم تخطر ببالي".

واصل تومي تقريب الورقة من النار لبيضع دقائق أخرى حتى أتمت الحرارة عملها، ولكن عندما قرأ المكتوب على الورقة صاح بشدة.

فعلى الورقة، وبخط بني أنيق كانت الكلمات الآتية:

مع تحيات السيد براون.

أقر جوليوس قائلاً: "هذا صحيح، إذن، ربما كانت واحدة من الممرضات محتالة ووقفت تتسمع من خارج باب الغرفة. ما رأيك في هذا؟".

قال تومي بحزن: "لا أعتقد أن هذا الأمر أصبح مهماً. ربما كان السيد براون قد عثر عليها منذ أشهر مضت، وأخذ الوثائق، ثم - لا، يا إلهي، هذا ليس مرجحاً. إن كان قد حصل عليها، كان سينشرها على الملأ على الفور".

قال جوليوس: "بلا شك. لابد من أن شخصاً ما قد سبقنا إلى هنا بوقت قصير، ولكن ما يحيرني هو كيف وصلوا إلى هنا بهذه السرعة".

قال تومي وهو يفكر بعمق:

"كنت أرجو لو كان هذا الرجل، بيل إدجارتون، معنا الآن".

حذق به جوليوس وهو يقول:

"لماذا؟ لقد وقع الأمر قبل أن نصل".

تردد تومي قليلاً ثم قال:

"نعم"، ولكنه لم يتمكن من وصف ما يشعر به - الفكرة اللا منطقية عن أن وجود مستشار الملك كان سيمنع وقوع الكارثة. عاد تومي مرة أخرى إلى وجهة نظره السابقة وقال: "لا فائدة من الجدل حول كيفية حدوث ذلك. لقد انتهت الأمور، فشلنا. هناك أمر واحد يجب أن أقوم به".

قال جوليوس: "ما هو؟".

قال تومي: "العودة إلى لندن بأسرع وقت ممكن. يجب تحذير السيد كارتر. إن يمر وقت طويل الآن حتى تقع الكارثة، ولكن على أية حال، يجب أن يعلم ما سيحدث".

لم تكن مهمة تومي بالمهمة المحببة، ولكنه لم يفكر في التخلي عنها. يجب أن يخبر السيد كارتر بفشل مهمته، بعد هذا ستكون مهمته قد انتهت. ركب تومي قطار البريد في منتصف الليل متوجهاً إلى لندن، في حين فضل جوليوس البقاء في هوليهد لهذه الليلة.

الحادي والعشرون

اكتشاف تومي

ظلاً لبضع لحظات يحدقان أحدهما في الآخر من دون أن يستوعبا الأمر مصدومين من وقع المفاجأة. لقد تمكن السيد براون بشكل ما من أن يسبقهما تقبل تومي الهزيمة بهدوء، على العكس من جوليوس الذي قال:

"كيف تمكن بحق السماء من أن يسبقنا؟ هذا ما يزعجني بشدة".

هز تومي رأسه وقال بأسى:

"لقد كانت غرز خياطة اللفافة جديدة، كان يجب أن نخمن..."

قال جوليوس: "لا عليك من الغرز اللعينة. كيف وصل إلى الوثائق قبلنا؟ لقد بدأنا رحلتنا بمجرد أن علمنا بالمكان. من المستحيل أن يصل أي شخص إلى هنا أسرع منا. على أية حال، كيف علم بمكانها؟ هل تعتقد أنه كان هناك جهاز تنصت في غرفة جاين؟ أعتقد هذا".

ولكن لم يتمكن تومي من تقبل هذا.

قال تومي: "لم يكن أحد يعلم أنها ستُنقل إلى هذا المنزل - وفي تلك الغرفة بالذات".

بعد وصوله إلى لندن بنصف الساعة، كان تومي يقف أمام رئيسه منهاش وشاحياً.

قال تومي: "لقد جئت لإخبارك يا سيدي بأنني قد فشلت في مهمتي هناك ذريعاً".

نظر له السيد كارتر بحدة وقال:

"هل تعني أن المعاهدة..."

قال تومي: "وقعت في يد السيد براون".

قال السيد كارتر يهدوء: "أه"، بدون أن يتغير التعبير الذي يعلو وجهه، ولكن لاحظ تومي ظهور اليأس في عينيه. ألقعه هذا أكثر من أي شيء آخر بأنه لم يعد هناك أمل.

قال السيد كارتر بعد بضع دقائق:

"حسنًا، أعتقد أنه يجب ألا نتوقف عن العمل. يسرنني أن أعلم أن الأمر انتهى، ولكن يجب أن نبذل قصارى جهدنا".

قال تومي لنفسه: "إن الوضع ميئوس منه، وهو يعلم هذا جيداً".

نظر السيد كارتر له وقال: "لا تحزن يا بني. لقد بذلت قصارى جهدك. لقد كنت تواجه أحد أعنى العقول الإجرامية في هذا القرن، وقد كنت على وشك النجاح. تذكر هذا".

قال تومي: "شكراً لك سيدي. هذا لطف منك".

قال السيد كارتر: "أنا ألوم نفسي. لطالما كنت ألوم نفسي منذ علمت بذلك الأخبار الأخرى".

جذبت نبهة صوته انتباه تومي، وتساعد خوف جديد في نفسه فقال:

"هل هناك أمر آخر يا سيدي؟".

قال السيد كارتر بحزن:

"أخشى هذا"، ثم مد يده ليمسك بورقة من على مكتبه.

قال تومي: "توبينس؟"

قال السيد كارتر: "اقرأ الورقة بنفسك".

كانت الكلمات المطبوعة بالآلة الكاتبة تتراكم أمام عينيه. كان الوصف عبارة عن العثور على قبعة نسائية خضراء اللون ومعطف في جيبه منديل يحمل الحروف الأولى لاسم توبينس، فنظر تومي متسائلاً إلى السيد كارتر الذي أجابه قائلاً:

"لقد حملتها الأمواج إلى شاطئ يوركشاير - بالقرب من إيبوري. أخشى أنها قد قُتلت".

شهق تومي وقال: "يا إلهي، توبينس. هؤلاء الشياطين - لن يهدأ لي بال حتى أرى لهم الصاع صاعين. سأقتني أثرهم. سوف —"

أوقفته نظرة الشفقة التي ظهرت على وجه السيد كارتر الذي قال:

"أقدر تمامًا ما تشعر به يا بني العزيز، ولكن لا فائدة من هذا. ستضيع جهودك هباءً. قد يبدو ما أقوله قاسياً ولكن نصيحتي لك: قلل من خسائرك. ستسأها بمرور الزمن".

قال تومي: "أنسى توبينس؟ مستحيل".

هز السيد كارتر رأسه وقال:

"هذا ما تعتقده في الوقت الحالي، ولكن الأمر لن يدوم طويلاً - هذه الفتاة الصغيرة الشجاعة. أنا أسف على كل ما حدث. أسف للغاية".

قال تومي: "حتى لا أضيع وقتك. يجب ألا تلقي باللوم على نفسك يا سيدي. لقد كنا أحمقين بقبول مثل هذا العمل. لقد حذرنا من مغبة ما قد يحدث، ولكني كنت أتمنى أن أكون أنا من يُقتل. إلى اللقاء يا سيدي".

عاد تومي إلى فندق الريتز، ولملم متعلقاته القليلة بشكل آلي، فقد كان مشغول البال للغاية. كان لا يزال غارقاً في المأساة التي حدثت لأفضل من عرفه في حياته. كم من المرح قاما به معاً، هو وتوبينس، أما الآن - أوه، لا يمكنه

أن يصدق - لا يمكن أن يكون الأمر حقيقياً. توبينس - ماتت. توبينس العزيزة،
المفعمة بالحياة. لقد كان هذا كابوساً ليس أكثر.

وصلته رسالة تحمل بعض كلمات التعزية من بيل إدجارتون الذي هُزأ
الخبر في الصحف (كان هناك عنوان كبير في الجريدة يقول: ممرضة متطوعة
سابقة: عُثر عليها غارقة). انتهى الخطاب بعرض عمل في إحدى مزارع المواشي
في الأرجنتين، حيث تدور بعض أعمال السير جايems.

غمغم تومي قائلاً وهو يلقي بالرسالة جانباً:

"رجل عطوف".

انفتح الباب، ودخل جوليوس كالإعصار، بطريقته المعتادة، وكان يمسك
بالجريدة في يده، وقال:

"ما هذا؟ يبدو أنهم يملكون فكرة خاطئة عن توبينس".

قال تومي بهدوء: "هذا صحيح".

قال جوليوس: "هل تعني أنهم نالوا منها؟".

أوما تومي برأسه وقال:

"أعتقد أنهم بعد أن حصلوا على المعاهدة - لم تعد توبينس مهمة بالنسبة
لهم، وكانوا يخشون مما قد تفعله إذا ما تركوها ترحل".

قال جوليوس: "اللجنة. توبينس العزيزة. لا شك في أنها أكثر الفتيات شجاعة
في العالم —"

ولكن فجأة، بدا أن أمراً ما قد طرأ على عقل تومي، نهض واقفاً وقال:

"أوه، أنت لا تكثرث لأمرها. اللجنة عليك. لقد طلبت الزواج منها بكل بروء،
ولكنني كنت أحبها. كنت على استعداد لأن أخرج روحي من جسدي لأحميها. كنت
ساقط عاجزاً وأشاهدها تتزوجك، لأنك كنت ستمنحها الحياة التي تستحقها،
أما أنا فقير لا أملك قوت يومي، ولكن لم أكن أتركها تتزوجك لأنني لا أكثرث
لأمرها".

قال جوليوس متملكاً نفسه:

"اسمع".

قال تومي: "أخرج. لا يمكنني احتمال حديثك عن توبينس العزيزة. اذهب
واعتن بابنة عمك. إن توبينس فتاتي. لطالما كنت أحبها منذ أن كنا نلعب معاً
وبنحن أطفال. وكبرنا وظلت الحال كما هي عليه. لن أنسى ما حييت عندما
دخلت المستشفى، وظهرت هي ببقعتها ومئزرها السخيفين. لقد كان الأمر أشبه
بالمعجزة أن أرى الفتاة التي أحب وهي ترتدي زي الممرضات —"

قاطعته جوليوس قائلاً: "زي الممرضات. يا إلهي، أعتقد أنني سأجن. يمكنني
أن أقسم بأنني قد رأيت جاين وهي ترتدي زي الممرضات هي الأخرى، ولكن هذا
مستحيل. لا، لقد تذكرت. لقد رأيتهما تتحدث مع ويتنجتون في تلك العيادة في
بورسموث. إنها لم تكن مريضة هناك، بل كانت ممرضة".

قال تومي غاضباً: "يمكنني أن أقول إنها كانت شريكة معهم منذ البداية. لا
أعجب أن تكون هي من سرق الوثائق من دانفرز".

صاح جوليوس: "مستحيل. إنها ابنة عمتي، وهي أكثر فتاة وطنية في العالم".

قال تومي وهو يصيح أيضاً بصوت عالٍ:

"لا يهمني من تكون، أخرج".

كان الشبان على وشك الشجار، ولكن فجأة، كما لو كان الأمر قد حدث بفعل
السحر، تلاشى غضب جوليوس، وقال بهدوء:

"حسناً، يا صديقي. سأذهب. لا يمكنني أن ألومك على ما تقول. من حسن
الحظ أنك قلت هذا. أنا أكثر رجل أحمق يمكنك أن تتخيله. اهدأ" - نظر له تومي
بنفاذ صبر - فقال جوليوس: "سأذهب الآن على الفور - سأذهب إلى محطة قطار
لندن الشمالية الغربية إذا ما أردت أن تعرف".

صاح تومي: "لا أهتم بأين تذهب".

عندما انطلق الباب خلف جوليوس، عاد ليعد حقائبه وهو يغمغم:

"هذا كل شيء"، ثم قرع الجرس وقال لعامل الغرف:

"خذ حقائبي إلى أسفل".

قال الرجل: "حسنًا سيدي. هل ستسافر؟"

قال تومي بدون أن يهتم بما سيقوله الخادم:

"سأذهب إلى الجحيم".

رد عليه الخادم باحترام: "هل أطلب لك سيارة أجرة يا سيدي؟"

أومأ تومي برأسه أن نعم.

إلى أين سيذهب؟ لم تكن لديه أدنى فكرة. على الرغم من إصراره على أن يترك
الصاع صاعين للسيد براون، لم يكن قد خطط للأمر. قرأ تومي رسالة السيد
جايمس مرة أخرى وهز رأسه. يجب أن ينتقم لمقتل توبينس، ولكن كان عرض
العمل لطفًا من السيد جايمس.

قال تومي: "من الأفضل أن أرد عليه برسالة"، وتوجه نحو طاولة الكتابة.
وكان هناك عدد كبير من الأظرف ولكن بدون أية أوراق. قرع الجرس ولكن لم
يجبه أحد. غضب تومي من تأخر الرد، ولكنه تذكر وجود كم كبير من الأوراق في
غرفة جلوس جوليوس. كان جوليوس قد رحل. لم يكن هناك مانع من الذهاب
خلفه، هذا إلى جانب أنه كان قد بدأ يشعر بالخجل مما قاله. لقد ساعدتهم
جوليوس كثيرًا. سيعتذر له عما بدر منه إذا تمكن من اللحاق به.

كانت الغرفة خالية، فتوجه تومي نحو طاولة الكتابة، وفتح الدرج الأوسط.
ظهرت صورة بمجرد أن فتح الدرج، ولفت انتباهه. وقف للحظات متسمراً في
مكانه، ثم أمسك بالصورة وسار نحو أحد المقاعد، وجلس وهو يحرق في الصورة
التي في يده.

ماذا تفعل صورة الفتاة الفرنسية أنيت في درج مكتب جوليوس هيرشايمر؟

الثاني والعشرون

في شارع داوونينج

لحق رئيس الوزراء سطح المكتب أمامه بعصبية، وكانت تعلو وجهه أمارات
الإرهاق والقلق. واصل رئيس الوزراء حديثه مع السيد كارتر من النقطة التي
انقطع عندها قائلاً:

"لا أفهم. هل تعني أن الوضع ليس مئوساً منه رغم كل ما حدث؟"

قال السيد كارتر: "وكذلك يظن هذا الشاب".

قال رئيس الوزراء: "دعنا نلق نظرة على الرسالة مرة أخرى".

سلمه السيد كارتر الرسالة المكتوبة بخط يده.

البريتي السيد كارتر،

لقد حدث أمر ما صدمني بشدة. ربما أكون أحمق، ولكنني لا أظن هذا. إذا ما
كانت استنتاجاتي صحيحة، فإن هذه الفتاة في مانشستر لم تكن سوى مجرد
محبلة لهم. لقد كان كل شيء معداً مسبقاً ومصطنعاً، حتى نعتقد أن الأمر انتهى
لذا أعتقد أننا كنا نسير على الطريق الصحيح.

أعتقد أنني أعلم من هي جاين فين الحقيقية، وأعتقد أنني أعرف أين توجد الوثائق. ولكن هذا مجرد تخمين، ولكني أشعر بأنه تخمين صائب. على أية حال، لقد وضعت جميع التفاصيل المهمة في ظرف مغلق، وسأطلب منك ألا تفتحه إلا في اللحظة الأخيرة في منتصف ليلة يوم الثامن والعشرين. ستدرك حينها سبب طلبي ذلك. لقد أدركت أيضاً أن قصة موت توبينس قصة ملفقة هي الأخرى، وأنها لم تفرق على الإطلاق. فكرتني هي: كفرصة أخيرة، سيتركون جاين فين تهرب على أمل أن يساعدها هذا على استعادة ذاكرتها، وأنها بمجرد أن تشعر بأنها حرة ستوجه مباشرة لاستعادة الوثائق. لا شك أن في هذا الأمر مخاطرة كبيرة من قبلهم، لأنها تعرف كل شيء عنهم - ولكنهم يشعرون بالحاجة الملحة للحصول على تلك الوثائق. ولكن إن أدركوا أننا قد استعدنا الوثائق، فإن حياة هاتين الفتاتين لن تساوي شيئاً في نظرهم. يجب أن أعرش على توبينس قبل أن تهرب جاين.

أرغب في أن أؤكد الحصول على مصدر تلك البرقية التي وصلت إلى توبينس في فندق الريتز. لقد أخبرني السير جايمس بيل إدجارتون بأنك قادر على مساعدتي. إنه رجل ذكي للغاية.

هناك أمر أخير - أرجو أن تراقب المنزل في سوهو ليلاً ونهاراً.

المخلص،

توماس بيريسفورد

نظر رئيس الوزراء إلى السيد كارتر وقال:

"أين الطرف؟"

ابتسم السيد كارتر بجفاء وقال:

"في واحدة من خزائن البنك. لا يمكنني أن أخاطر بذلك."

تردد رئيس الوزراء للحظة ثم قال:

"هل تعتقد أنه من الأفضل أن نفتحها الآن؟ لا شك في أنه يجب علينا أن نحصل على تلك الوثائق، شريطة أن يكون تخمين هذا الشاب في محله، وعلى الفور. ويمكننا أن نحتفظ بهذه المعلومات سرّاً."

قال السيد كارتر: "هل يمكننا هذا؟ لا أعتقد. هناك جواسيس في كل مكان. بمجرد أن يُعرف الأمر ستنتهي حياة الفتاتين على الفور. لا، إن الشاب يثق بي، ولن أخذله."

قال رئيس الوزراء: "حسنًا، حسنًا، سنترك الأمر على حاله إذن. كيف يبدو هذا الشاب؟"

قال السيد كارتر: "ظاهرياً، يبدو شخصاً عادياً، شاباً إنجليزيًا أحمر، بطيء الفهم، لا يمتلك أي خيال - لذا فإنه من الصعب خداعه. إنه يفهم الأمور ببطء، ولكن بمجرد أن يستحوذ على أمر ما، لا يتركه بسهولة. أما الفتاة فهي تختلف عنه تماماً - ذات حدس رائع ولكنها تفتقد المنطق السليم. إنهما يشكلان فريقاً رائعاً. السرعة وقوة الاحتمال."

قال رئيس الوزراء: "إنه يبدو واثقاً."

قال السيد كارتر: "نعم، وهذا ما ينشئ الأمل في قلبي. إنه من نوع الأشخاص المميزين والذين لا يقدمون على أمر ما إلا إذا كانوا واثقين تمام الثقة مما يفعلون."

ظهر شبح ابتسامة على شفتي رئيس الوزراء وقال:

"وهل هذا الفتى هو من سيهزم أعظم مجرمي هذا العصر؟"

قال السيد كارتر: "هذا الفتى، كما تطلق عليه، أخيل أحياناً وجود شخص ما خلقه."

قال رئيس الوزراء: "من تعني؟"

قال السيد كارتر: "بيل إدجارتون."

قال رئيس الوزراء في دهشة: "بيل إدجارتون؟"

قال السيد كارتر: "يمكنني أن أشعر بضلوعه في الأمر"، وربت الخطأ المفتوح وهو يقول: "إنه هناك - يعمل في الخفاء، بصمت، وبدون أن يظهر لطلالما شعرت بأنه أيًا كان من يمكنه هزيمة السيد براون، فسيكون بيل إدجار أنا، واثق من أنه مشارك في الأمر، ولكنه لا يرغب في أن يتم الكشف عن هذا بالمناسبة، لقد طلب مني طلبًا غريبًا منذ أيام".

قال رئيس الوزراء: "ما هو؟".

قال السيد كارتر: "لقد أرسل لي جزءًا من صحيفة أمريكية، وكان الخبر عن العثور على جثة رجل بالقرب من الميناء في مدينة نيويورك منذ ثلاثة أسابيع وقد طلب مني جمع أكبر كم ممكن من المعلومات عن هذا الأمر".

قال رئيس الوزراء: "وماذا بعد؟".

هز كارتر كتفيه وقال:

"لم أتمكن من الحصول على الكثير. كان شابًا في الخامسة والثلاثين في العمر - رث الثياب - مشوه الوجه بشدة. لم يتم التعرف على هويته".

قال رئيس الوزراء: "هل تعتقد أن هناك صلة بين الأمرين؟".

قال كارتر: "أعتقد هذا، وقد أكون مخطئًا".

خيم الصمت قليلاً، ثم واصل السيد كارتر حديثه قائلاً:

"لقد طلبت منه الحضور إلى هنا. لن يمكننا الحصول منه على أية معلومات لا يرغب في إطلاعنا عليها. إن غريزته القانونية قوية للغاية، ولكنه قد يكشف لنا عن واحدة أو أكثر من النقاط الغامضة في خطاب بيريسفورد. آه، ها هو ذا نهض الرجلان ليرحبا بالزائر، ومرت بخاطر رئيس الوزراء فكرة "أن هذا الرجل قد يكون رئيس الوزراء القادم".

قال السيد كارتر: "لقد وصلنا خطاب من بيريسفورد، لقد قابلته، أليس كذلك؟".

قال المحامي: "لا، لم أقابله".

شعر السيد كارتر بالحيرة فقال:

"أوه".

ابتسم السير جايمس وداعب ذقنه وقال:

"لقد اتصل بي هاتفيًا".

قال السيد كارتر: "هل تمنع أن نخبرنا بما حدث بينكما؟".

قال السير جايمس: "بكل سرور. لقد شكرني على الخطاب الذي أرسلته له في الحقيقة، لقد عرضت عليه عملاً. ثم ذكرني بأمر ما قتلته له في ماننستر بشأن تلك البرقية الزائفة التي أوقعت بالآنسة كاولي. كنت سألتها عما إذا كان قد حدث أي أمر غريب. قال إنه حدث بالفعل - في درج مكتب السيد هيرشايمر، كانت هناك صورة، توقف المحامي عن الحديث قليلاً ثم قال: "سألتها إن كانت الصورة تحمل اسم أحد المصورين وعنوانه في كاليفورنيا، فأجابني: أنت محق، هناك اسمه وعنوانه بالفعل، ثم أخبرني بأمر لم أكن أعرفه. لقد كانت صورة الفتاة التي أنقذته من الأسر - أנית".

قال كارتر: "ماذا؟".

قال السير جايمس: "هذا ما قتلته بالضبط. سألتها عما فعل بالصورة. فأجابني بأنه أعادها إلى حيث كانت، توقف المحامي مرة أخرى ثم قال: "هذا أمر جيد كما تعلم، جيد تماماً. إنه شاب ذكي. هنأته على اكتشافه، فقد كان اكتشافاً مهماً للغاية، فمنذ اكتشافنا أن فتاة ماننستر كانت عميلة، تغير كل شيء. لقد اكتشف بيريسفورد هذا وحده دون مساعدتي، ولكنه شعر بأنه غير واثق في حكمه على أمر الآنسة كاولي. هل أعتقد أنها على قيد الحياة؟ أخبرته، بعد فحص الحقائق، بأن هناك احتمال أن تكون كذلك. أعادنا هذا مرة أخرى إلى البرقية".

قال كارتر: "وماذا بعد؟".

قال السير جايمس: "أخبرته بأن يلجأ إليك للحصول على نسخة من البرقية الأصلية. لقد اعتقدت أنه بعدما غادرت الآنسة كاولي، تم محو وتغيير بعض الكلمات ليصل من يبحث عنها إلى وجهة خاطئة".

أوما كارتر برأسه، وهو يسحب ورقة من جيبه ويقرأها قائلاً:

تعالى على الفور، أستلي بربورز، جايت هاوس، كنت. أخبار عظيمة - تومي

قال السير جايمس: "أمر ידיهي، ولكنه يدل على العبقرية. تغيير بعض كلمات، وتكون المهمة قد تمت. بعد هذا، هناك الخيط المهم الذي اهتموا به".
قال كارتر: "ما هو؟"

قال السير جايمس: "شهادة صبي خدمة الفرف بأن الأنسة كاوتي غادرت إلى محطة شايرينج كروس. لقد كانوا واثقين من أنفسهم بشدة حينما أخذوا أمر خطأ الصبي كأمر مسلم به".

قال كارتر: "أين بيريسفورد الآن إذن؟"

قال السير جايمس: "في جايت هاوس، كنت. إن لم أكن مخطئاً بشأنه".
نظر له السيد كارتر بفضول وقال: "إنني أتعجب أنك لست هناك أنت أيضاً يا بيل إدجارتون."

قال السير جايمس: "أنا مشغول بقضية أخرى".

قال كارتر: "كنت أعتقد أنك في إجازة، أليس كذلك؟".

قال السير جايمس: "لم أتمكن من الحصول على الراحة. ربما تكون دقيقاً لو قلت إنني أعد العدة لقضية جديدة. هل هناك أية معلومات عن هذا الشاب الأمريكي لتخبرني بها؟"

قال كارتر: "أخشى ألا تكون هناك أية معلومات. هل من المهم أن تعرف من هو؟"

قال السير جايمس: "أنا أعلم من هو، ولكن لا يمكنني إثبات هذا بعد - ولكن أعلم".

لم يطرح عليه الرجلان الآخران المزيد من الأسئلة، فقد شعرا بأن هذا لا طائل منه.

قال رئيس الوزراء فجأة:

"هناك أمر لا أفهمه، كيف وصلت تلك الصورة إلى درج مكتب السيد هيرشايمر؟".

قال المحامي بهدوء: "ربما لم تغادره منذ البداية".

قال رئيس الوزراء: "ولكن ماذا عن ذلك المحقق الزائف؟ المحقق براون؟"

قال السير جايمس وهو يتنهد واقفاً:

"يجب ألا أعطيك أكثر من هذا. واصل عملك في خدمة الأمة، يجب أن أعود إلى قضيتي".

عاد جوليوس هيرشايمر بعد يومين من مانشستر، وكانت هناك رسالة من تومي موضوعة على طاولته تقول:

عزيزي هيرشايمر،

أعتذر عما بدر مني. في حال لم نر بعضنا مرة أخرى، إلى اللقاء. لقد عرضت علي وظيفة في الأرجنتين، وسوف أقبلها.

المخلص،

تومي بيريسفورد.

ظهر شيخ ابتسامة على وجه جوليوس للحظات، ثم ألقى الرسالة في سلة المهملات.

ثم غمغم قائلاً: "الأحمق".

قال تومي: "لا أرجو هذا، بالمناسبة، هل لديك عمّة أو ابنة عم أو جدة أو أي من قريبائك النساء مريضة وقد تموت قريباً؟".

انتشرت ابتسامة على وجه ألبرت وقال:

"بالفعل يا سيدي، إن عمّتي المسكينة التي تعيش في الريف مريضة منذ وقت طويل، وهي ترغب في رؤيتي قبل أن تموت".

أوما تومي برأسه موافقاً وقال:

"هل يمكنك أن تبلغ رؤساءك في العمل بهذا، وأن تقابلني في محطة شايرينج كروس بعد ساعة؟".

قال ألبرت: "سأكون هناك يا سيدي، لا تقلق".

كما توقع تومي، أثبت ألبرت المخلص أنه حليف لا يقدر بثمن. اتخذ كل منهما مقرهما في أحد النزل في جايت هاوس. كانت مهمة جمع المعلومات تقع على عاتق ألبرت الذي لم يواجه أية صعوبات في الحصول عليها.

كان منزل آستلي بريورز مملوكاً للطبيب أدامز. كان ذلك الطبيب قد تقاعد من مزاوله المهنة، كما يعتقد مالك المنزل الذي استأجر به مكان إقامتهما، ولكنه يرعى بعض المرضى الخاصين. عندها ضرب الرجل جبهته وقال: "مجانين، كما تعلم".

كان الطبيب من الشخصيات المعروفة في القرية، وكان يشارك في جميع المسابقات الرياضية المحلية - "إنه رجل لطيف ومهذب". هل يعيش هنا منذ وقت طويل؟ أوه، عشر سنوات تقريباً - وربما أكثر. لقد كان عالماً، وعادة ما يأتي الأساتذة والناس من المدينة لمقابلته. على أية حال، لطالما كان المنزل مكتظاً بالزائرين.

في وجه هذه الثثرة، شعر تومي بالارتياح. هل يمكن أن تكون هذه الشخصية المهدية الشهيرة مجرماً خطراً في الحقيقة؟ كانت حياته تبدو منفتحة وعلنية للغاية، بدون أي دليل على قيامه بأعمال مخالفة للقانون. ماذا لو كان الأمر برمته عبارة عن خطأ جسيم؟ شعر تومي برجفة خوف من مجرد التفكير في ذلك.

الثالث والعشرون

سباق ضد الزمن

بعد أن أنهى الاتصال الهاتفي مع السير جايمس، اتصل تومي بعمارات ساوث أودلي السكنية، ووجد أن ألبرت قد انتهى من عمله، فقدم نفسه له على أنه أحد أصدقاء توبينس، فهدأ ألبرت على الفور، وقال:

"لقد كان كل شيء هادئاً هنا مؤخراً. أرجو أن تكون سيدتي الشابة بخير يا سيدي".

قال تومي: "هذا ما أرغب في التحدث معك بشأنه يا ألبرت. لقد اختفت".

قال ألبرت: "هل تعني أن المحتالين تمكنوا منها؟".

قال تومي: "نعم".

قال ألبرت: "هل أخذوها إلى العالم السفلي؟".

قال تومي: "لا، ذلك من هذا، إنها في هذا العالم".

قال ألبرت: "إنه مجرد تعبير يا سيدي. عادة ما يظهر المحتالون في الأفلام وهم يمتلكون مطعماً في العالم السفلي، ولكن هل تعتقد أنهم قتلوها يا سيدي؟".

تومي لم يكن واثقاً من تخطيطاته. عندما سأله تومي عن دليله على ذلك، لم يتمكن ألبرت من عرض أي دليل سوى رأيه الشخصي عنها، حيث قال: "يمكنك أن تدرك هذا من الوهلة الأولى".

تم الأمر ذاته في اليوم التالي (بعد أن حصل الصبي الحقيقي الذي يعمل في متجر الخضراوات على مبلغ إضافي من المال)، ولكن هذه المرة تمكن ألبرت من العودة بالخبر الأول الذي أحيا الأمل في قلوبهما. كانت هناك فتاة فرنسية تقطن المنزل. نحى تومي شكوكه جانباً، فقد ظهر أخيراً تأكيد على صحة نظريته، ولكن لم يكن هناك الكثير من الوقت لإضااعته، فقد كان اليوم هو يوم السابع والعشرين، وكان يوم التاسع والعشرين الشهير هو يوم عيد العمال، اليوم الذي تدور حوله الكثير من الشائعات. كانت الصحف تزداد ثورة، وتم نشر تلميحات عن احتمال حدوث انقلاب على الحكومة من قبل العمال، والتزمت الحكومة الصمت. كانت هناك شائعات حول حدوث خلافات بين قادة العمال، حيث إنهم لم يكونوا موحدي الفكر. كان العاقلون منهم يعتقدون أن الثورة تعني دمار إنجلترا التي يحبونها في قرارة أنفسهم. كانوا يفكرون في المجاعة والتعاسة اللتين ستسببهما الثورة، وكانوا يرغبون في التوصل إلى حل وسط مع الحكومة، ولكن من خلفهم، كانت هناك قوى عمالية تعمل في الخفاء، تجبرهم على تذكر الانتهاكات السابقة للحكومة، وتؤكد ضعف الحلول الوسط وتثير الخلافات بينهم.

شعر تومي بأنه تمكن من فهم الوضع بالشكل الصحيح بفضل السيد كارتر. مع وقوع الوثائق الخطيرة بين يدي السيد براون، قد يميل الرأي العام بأكمله نحو كفة المتطرفين والثوريين من حزب العمال. إذا لم تقع تلك الوثائق بين يدي السيد براون، فستكون المعركة متكافئة. الحكومة والجيش والشرطة في صفها، قد تفوز - ولكن بعد معاناة كبيرة، ولكن تنامي في قلب تومي حلم جديد مناف للعقل. إذا ما تم القبض على السيد براون وكشف النقاب عن هويته الحقيقية، فإنه يعتقد أن المنظمة بأكملها ستداعى وبشكل فوري. إن ما يجعل تلك المنظمة مترابطة هو التأثير الغريب النافذ للزعيم الذي لم يره أحد. وبدونه، يعتقد تومي حدوث دعر فوري، وسيترك الرجال الشرفاء للتفكير بأنفسهم، ويمكن أن تتم المصالحة في اللحظة الأخيرة.

تذكر بعد ذلك: المرضى الخاصون - "المجانين". استفسر بعناية عما إذا كان بين هؤلاء المرضى فتاة شابة، وأعطاهم أوصاف توينيس، ولكن لم يجد أي شخص يعلم شيئاً عن المرضى - نادراً ما كان يراهم أحد خارج المنزل، ولم يجد أيضاً إعطاء أوصاف أنيت لقاطني البلدة في التوصل لمن يتعرف عليها.

كان منزل استلي بريور منزلاً ضحاً مبنياً بالطوب الأحمر، وكان محاطاً بأراض كثيفة الأشجار تحجب رؤية المنزل عن الطريق.

في الليلة الأولى، ذهب كل من تومي وألبرت لاستكشاف الأراضي حول المنزل. بفضل إصرار ألبرت، قاما بالزحف على بطنيهما الأمر الذي ألمهما كثيراً وجعلهما يصدران ضوضاء أكثر مما حدث حينما كانا واقفين على أقدامهما. على أية حال، لم تكن جميع تلك الإجراءات الاحترازية ضرورية، فقد كانت تلك الأراضي المحيطة بالمنزل، تبدو بعد هبوط الظلام، خالية من السكان. تخيل تومي وجود كلب حراسة شرس، وتخيل ألبرت وجود أسد أمريكي أو حية كوبرا مستأنسة، ولكنهما وصلا إلى بعض الشجيرات بجانب المنزل بدون أن يضايقهما أحد.

كانت ستائر نوافذ غرفة الطعام مفتوحة، وكان هناك عدد من الأشخاص مجتمعين حول الطاولة، وكان الشراب ينتقل من شخص لآخر. كان الجمع يبدو طبيعياً ومبتهجاً، من خلال النافذة المفتوحة، كان الهواء يحمل مقاطع من الحديث الذي يدور في الداخل. كان الحوار المحترم يدور حول بطولة المقاطعة للعبة الكريكت.

شعر تومي مرة أخرى بالارتياح، فلم يبد أن هؤلاء الأشخاص يخفون أمراً شريراً وراء هيئتهم العادية. هل تم خداعه مرة أخرى؟ كان الرجل النبيل ذو اللحية الشقراء، والذي كان يجلس على رأس الطاولة، رجلاً عادياً وصادقاً.

لم يتمكن تومي من النوم تلك الليلة. في صباح اليوم التالي، صادق ألبرت، الذي لا يكل، الفتى الذي يعمل في متجر الخضراوات، وأخذ مكانه في العمل وتمكن من التعرف على الطاهية في منزل مولت هاوس. عاد ألبرت إلى تومي وهو يحمل معلومات عن أن الطاهية واحدة من أفراد العصابة بدون شك، ولكن

قال تومي لنفسه: "يجب أن يعتمد المرء على نفسه. ما يجب عليّ فعله هو القبض على الرجل بنفسِي".

كان يعتقد أنه وحده، لأنه طلب من السيد كارتر ألا يفتح الطرف المغلق، فقد كانت مسودة المعاهدة هي الطعام الذي يذليه تومي. كان تومي يعتمد بشكل كبير على توقعاته. كيف تجرباً على الاعتقاد بأنه تمكن من اكتشاف ما فشل في اكتشافه الكثير من الرجال الأكثر ذكاءً؟ ولكن على الرغم من هذا، تمسك أكثر بفكرته.

في المساء، عاد هو وألبرت لاخترق الأراضي المحيطة بمنزل أستلي بريور. كان تومي يأمل في أن يتمكن من دخول المنزل نفسه بطريقة ما. عندما اقتربا من المنزل بدرجة كافية، شقق تومي فجأة.

في الطابق الثاني من المنزل، كان هناك شخص ما يقف بين النافذة والضوء، مخلفاً ظله على الستار. كان تومي قادراً على التعرف على هذا الخيال في أي مكان. إن توينيس في المنزل.

أمسك تومي بكتف ألبرت وقال: "انتظر هنا. عندما أبدأ في الغناء، راقب تلك النافذة".

تراجع مسرعاً نحو مكان ما على الطريق الرئيسي للمنزل، وبدأ في الغناء بصوت عال وهو يمشي متميلاً على الطريق قائلاً:

أنا جندي

جندي بريطاني مسرور

يمكنك أن ترى أنني جندي من قدمي ...

كانت هذه هي الأغنية المفضلة لتوينيس في أثناء الحرب. كان تومي دائماً من أن توينيس سستمع الأغنية وستستمتع وجوده. لم يكن صوت تومي جميلاً، ولكن رثيته كانتا ممتازتين، وكانت الضوضاء التي أصدرها عالية بالدرجة الكافية.

بعد ذلك، ظهر رئيس الخدم ومعه أحد الخدم من باب المنزل الأمامي، واعترض رئيس الخدم طريقه، ولكنه واصل الغناء وهو يقول لرئيس الخدم:

"يا ذا الشوارب الرائعة". أمسك الخادم الآخر بذراعه، وأمسك رئيس الخدم بالذراع الأخرى، وسحباه إلى الطريق المؤدي للمنزل، وألقيا به خارج البوابة الرئيسية. هدد رئيس الخدم باستدعاء الشرطة إذا ما أعاد الكرة مرة أخرى. لقد كان تصرف العصاة ماهرًا، فقد كان أي أحد يرى رئيس الخدم سيقسم بأنه رئيس الخدم، وأياً كان من يرى الخادم الآخر سيقسم أنه خادم، عدا أن رئيس الخدم كان ويتنجتون.

عاد تومي إلى الحانة وانتظر عودة ألبرت، الذي ظهر أخيراً.

صاح تومي قائلاً: "ماذا حدث؟".

قال ألبرت: "بينما كان الرجلان يسحبانك إلى الخارج، انفتحت النافذة، وتم إلقاء شيء ما منها"، وأعطى تومي ورقة مجعدة وقال: "لقد كانت ملفوفة حول ثقل تثبيت الأوراق".

كان مكتوباً على الورقة: "غداً في الموعد ذاته".

صاح تومي: "يا إلهي، لقد اقتربنا كثيراً".

تابع ألبرت حديثه بأنفاس متقطعة:

"لقد كتبت رسالة على ورقة، ولففتها حول حجر، وألقيتها عبر النافذة".

صرخ تومي قائلاً: "إن حماسك هذه ستتسبب في مقتلنا يا ألبرت. ماذا كتبت فيها؟".

قال ألبرت: "قلت إننا موجودون في الحانة. إذا ما تمكنت من الهرب، عليها أن تأتي إلى هنا وتطلق صوتاً كالضفدع".

قال تومي وهو يتنهد في راحة:

"ستعرف أن هذا أنت. إن خيالك يتبعك في كل مكان يا ألبرت. إنك لن تتمكن من ملاحظة صوت الضفدع حتى إن سمعته".

شعر ألبرت بالارتباك.

قال تومي: "هون عليك. لم يحدث شيء. إن رئيس الخدم هذا شخص أعرفه جيداً - وأراه أن على أنه يعرف من أنا، على الرغم من أنه لم يبد هذا إنهم لا يرغبون في إثارة الشبهات. لهذا لم تقابل أية مصاعب. إنهم لا يرغبون في تعجيزي تماماً، ولكنهم في الوقت ذاته لن يجعلوا الأمر سهلاً علينا، إنني عبارة عن بندق في لعبتهم يا ألبرت، هذا ما يظنونني عليه. إذا ما ترك العنكبوت الذبابية تهرب بسهولة، فستشك الذبابية في أن الأمر مفتعل. إذن، سيستفيدون من هذا الشاب الواعد، السيد توماس بيريسفورد، الذي ظهر أمامهم في اللحظة المناسبة، ولكن السيد توماس بيريسفورد لديه رؤية أخرى".

ذهب تومي للفراش ومعنوياته في عنان السماء، فقد وضع خطة محكمة لليلة التالية. كان واثقاً من أن قاطني منزل أستلي بريورز لن يعترضوا طريقه إلا في وقت بعينه، لذا قرر تومي أن يفاجئهم.

رغم هذا، حدث شيء ما أقلقه في منتصف الليل، فقد أخبره أحد العاملين في المنزل بأن هناك شخصاً يرغب في رؤيته في المشرب. تبين بعد هذا أن من يطلب رؤيته سائق عربية مغطى تماماً بالوحل.

سأله تومي: "ما الأمر يا صديقي؟"

قال السائق: "هذه الرسالة لك يا سيدي"، وأعطاه رسالة مطوية موحلة مكتوباً على ظهرها: "سلم الرسالة إلى الرجل الذي يقطن في المنزل بجانب منزل أستلي بريورز وسيعطيك عشرة شلنات".

كانت الرسالة بخط يد توينيس. شعر تومي بالاحترام نحو سرعة بديهاها حيث إنها أدركت أنه سيقم في الحانة تحت اسم مستعار، فشرع بارتياح شديد.

قال تومي: "حسناً".

تمسك الرجل بالرسالة قائلاً:

"ماذا عن العشرة شلنات؟"

أخرج تومي ورقة العشرة شلنات وأعطاهها للرجل الذي ترك الرسالة، ففضها تومي بسرعة وقرأها.

عزيزي تومي،

أعلم أنك من كان يغني ليلة البارحة. لا تأت الليلة، فإنهم في انتظارك. سينقلوننا من المنزل هذا الصباح. سمعت أمراً ما عن ويلز - هوليهيد على ما اعتقد. سألقي بهذه الرسالة على الطريق وربما يحالفني الحظ. لقد أخبرتني أنيت بهرويك. تشجع.

المخلصة،

توينيس

نادى تومي ألبرت قبل حتى أن ينهي قراءة الرسالة قائلاً:

"جهاز حقائبي، سنرحل".

قال ألبرت: "على الفور، سيدي"، وكان يمكن سماع قرع حذاء ألبرت وهو يصعد الدرج مسرعاً.

هوليهيد؟ هل هذا ما في الأمر، بعد كل ما حدث - شعر تومي بالحيرة، وتابع قراءة الرسالة ببطء.

كان يسمع صوت حذاء ألبرت وهو يتحرك في الطابق العلوي.

فجأة، تصاعد صوت صيحة من الطابق السفلي، حيث صاح تومي قائلاً:

"ألبرت. أنا أحقق، لا تجهز الحقيقة".

قال ألبرت: "أمرك سيدي".

فرد تومي الورقة بعناية وقال:

"نعم، أنا أحقق، ولكن هناك شخصاً آخر أحقق، ولقد عرفته أخيراً".

أطاعه السكرتير، وخرج من الجناح وأغلق الباب خلفه في صمت، ثم عاد بعد بضع دقائق قائلاً:

"لقد رفض أن ييوح لي بما يريد - أخبرني بأن الأمر شخصي وحساس، وأنه لا بد أن يراك".

غمغم كرامينين: "مليونير كبير. دعه يصعد، عزيزي إيفان".

غادر السكرتير الغرفة مرة أخرى، وعاد وبصحبتة جوليوس، الذي قال على الفور:

"سيد كرامينين؟".

انحنى الروسي وهو يفحص جوليوس بعينه الشاحبتين الحاقدين.

قال الأمريكي: "لقد سعدت بلقائك. هناك أمر على قدر كبير من الأهمية أريد في الحديث معك بشأنه، على انفراد"، ثم أشار بعينه إلى السكرتير.

قال كرامينين: "إنني لا أخفي عن سكرتيري السيد جرايبر، أية أسرار".

قال جوليوس بجفاء: "ربما كنت كذلك - ولكن يجب أن أقول لك أن تطلب منه المغادرة".

قال كرامينين بهدوء: "إيفان، هل من الممكن أن تنتظر في الغرفة المجاورة؟".

قاطع جوليوس قائلاً: "لن تصلح الغرفة المجاورة، أنا أعلم جيداً تصميم هذه الأجنحة المكونة من غرفتين - وأريد في ألا يكون هناك أي شخص في الجناح بأكمله عدا أنا وأنت. أرسله إلى المتجر ليشتري بما قيمته بنس واحد من المكسرات".

على الرغم من عدم راحته لأسلوب الأمريكي المتحرر في الحديث، فإن الفضول كان يقتل كرامينين الذي قال:

"هل سيستغرق الأمر وقتاً طويلاً؟".

قال جوليوس: "قد يستغرق الليل بأكمله إذا ما أثار اهتمامك".

الرابع والعشرون

جوليوس يقدم المساعدة

في جناحه في فندق كلاريدج، كان كرامينين يتكئ على إحدى الأرائك ويلقي بأوامره إلى سكرتيه باللغة الروسية.

في الوقت ذاته، رن جرس الهاتف الذي كان يحملها السكرتير على ذراعه، فرفع السماعة وتحدث لبعض الوقت، ثم التفت إلى رئيسه قائلاً:

"هناك من يريد رؤيتك في بهو الفندق".

قال كرامينين: "من هو؟".

قال السكرتير: "قدم نفسه على أنه السيد جوليوس هيرشايمر".

ردد كرامينين الاسم قائلاً: "هيرشايمر. لقد سمعت بهذا الاسم من قبل".

قال السكرتير الذي كانت وظيفته تحتم عليه الإلمام بجميع الأمور:

"إنه ابن أحد أباطرة صناعة الحديد في أمريكا. لابد أن هذا الشاب مليونير كبير".

ضاحت عينا كرامينين وقال:

"من الأفضل أن تذهب أنت إليه يا إيفان وتكشف ما يريد".

قال كرامينين: "حسنًا إذن. إيفان، لن أحتاج إليك لهذه الليلة مرة أخرى. اذهب إلى المسرح - خذ الليلة إجازة".
قال إيفان: "شكرًا لك سيدي".
انحنى السكرتير ثم غادر الغرفة.

وقف جوليوس على عتبة الباب يراقبه حتى اختفى، ثم تهدد في النهاية في راحة وأغلق الباب، ثم عاد إلى مكانه السابق في منتصف الغرفة.

قال كرامينين: "والآن يا سيد هيرشايمر. أرجو أن تكون عطوفًا وتخبرني بالأمر".

قال جوليوس: "لن يستغرق الأمر طويلًا"، ثم تغير أسلوبه وهو يقول: "ارفع يدك لأعلى - وإلا أطلقت النار عليك".

حدق كرامينين للحظة في المسدس الآلي المصوب نحوه، ثم أسرع بشكل مضحك ورفع يديه فوق رأسه. في تلك اللحظة، قرر جوليوس ما سيفعله. إن الرجل الذي كان عليه التعامل معه تبين أنه جبان - لذا فإن ما يلي سيكون سهلاً. صاح الروسي بهستيرية: "هذه إهانة بالغة. إهانة. هل تريد قتلي؟".

قال جوليوس: "ليس إذا خفضت صوتك. لا تتحرك نحو الجرس. هذا أفضل".

قال كرامينين: "ماذا تريد؟ لا تفعل أي شيء تندم عليه. تذكر أن حياتي مهمة للغاية بالنسبة لدولتي، ربما وشي بي شخص ما —".

قال جوليوس: "أعتقد أن الرجل الذي سيقترك، سيقدم للبشرية جمعاء خدمة جليلة، ولكن لا تقلق، أنا لا أنوي قتلك هذه المرة - هذا ما في الأمر، إذا ما كنت عاقلًا".

ارتجف الروسي جراء النظرة الصارمة التي ظهرت في عيني جوليوس، ولحق شفثيه الجافتين بلسانه، وقال:

"ماذا تريد؟ نقودًا؟".

قال جوليوس: "لا، أنا أريد جاين فين".

قال كرامينين: "جاين فين؟ لم أسمع بهذا الاسم في حياتي".

قال جوليوس: "كاذب. أنت تعلم تمام المعرفة ما أعني".

قال كرامينين: "قلت لك لم أسمع عنها في حياتي".

صاح جوليوس: "وأنا أقول لك إن هذا المسدس يتوق للانطلاق".

شحب وجه الروسي بشدة وقال:

"أنت لن تجرؤ على —"

قال جوليوس: "بل سأجرؤ".

لاحظ كرامينين شيئًا ما في صوت جوليوس أقنعه على الفور، فقال فجأة:

"حسنًا، افترض أنني أعلم من تتحدث عنها، ماذا سيحدث؟".

قال جوليوس: "ستخبرني الآن - على الفور - أين هي؟".

هز كرامينين رأسه وقال:

"لن أجرؤ على هذا".

قال جوليوس: "ولم لا؟".

قال كرامينين: "لن أجرؤ على هذا، أنت تطلب المستحيل".

قال جوليوس: "أنت خائف، أليس كذلك؟ السيد براون؟ هذا ما يقلقك. هناك

شخص ما بالفعل يدعى السيد براون إذن؟ كنت أشك في هذا، ومجرد ذكر اسمه يجعلك ترتعد خوفًا".

قال له الروسي ببطء: "لقد رأيته، وتحدثت معه وجهًا لوجه. لم أكن أعلم

هذا حتى وقت لاحق. لقد كان واحدًا من المجموعة. لا يجب أن أعرف عليه مرة أخرى. من هو حقيقة؟ لا أعلم، ولكنني أعرف أنه رجل يجب أن نخشاه".

قال جوليوس: "إنه لن يعرف أي شيء عما ستقوله".

قال كرامينين: "إنه يعلم كل شيء - كما أن انتقامه سريع. حتى أنا - كرامينين

- لن أعفى من انتقامه".

قال جوليوس: "لن أخبرني بما أريد إذن؟".

أبطأ السائق من سرعة السيارة، ونظر للخلف وأخبرهما بأنهما على وشك الوصول إلى جايت هاوس. أمر جوليوس الرجل الروسي بأن يدلّهما على الطريق. كانت خطته هي أن يدخل بالسيارة حتى باب المنزل، وهناك سيسأل كرامينين عن الفتاتين. قال له جوليوس إن مسدسه لا يتسامح مع الأخطاء. كان كرامينين في ذلك الوقت كالدمية بين يدي جوليوس. كانت السرعة الخارقة التي وصلوا بها إلى وجهتهم قد أفقدته شجاعته بأكملها. كان قد أعد نفسه للموت في أية لحظة. قطعت السيارة الطريق المؤدي للمنزل وتوقفت أمام الشرفة، فنظر السائق إلى الخلف منتظراً أوامر جوليوس.

قال جوليوس: "عدل وجهة السيارة أولاً يا جورج، ثم اذهب لقرع الجرس وعد إلى مكانك. ولا توقف المحرك، واستعد لأن تنطلق بأقصى سرعة عندما امرك بهذا".

قال جورج: "حسناً يا سيدي".

فتح رئيس الخدم الباب، وشعر كرامينين بالمسدس يضغط على أضلاعه.

همس له جوليوس:

"الآن، وكن حذراً".

أشار الروسي لرئيس الخدم، وكانت شفتاه شاحبتين وصوته مرتعشاً وهو يقول:

"إنه أنا كرامينين. أحضر الفتاة على الفور، لا يوجد وقت لنضيعه".

هبط ويتنحّون الدرج، وأطلق صيحة تعجب عندما رأى جوليوس وقال:

"أنت، ما الأمر؟ من المؤكد أنك تعرف الخطأ —".

قاطعه كرامينين مستخدماً الكلمات التي طالما سببت الهلع غير المبرر:

"هناك من خاننا. يجب تغيير الخطأ. يجب أن نقد أنفسنا. أحضر الفتاة على الفور. إنها فرصتك الوحيدة".

هبط الدرج ممّاً، وسارا نحو السيارة. كان الروسي يرتجف من الغضب، أحاط بهما خدم الفندق، حاول أن يصرخ مستنجداً بهم، ولكن خذلته شجاعته في اللحظة الأخيرة، فقد كان الأمريكي يحترم كلمته.

عندما وصلا إلى السيارة، تنفس جوليوس الصعداء، فقد خرجا من منطقة الخطر، كان الخوف قد سيطر على الرجل الروسي تماماً.

قال جوليوس أمراً: "أركب السيارة"، وعندما لاحظ النظرة الجانبية التي رمقه بها كرامينين قال: "لا، لن يساعدك السائق. لقد كان بحاراً يخدم على غواصة روسية عندما اندلعت الثورة، وقد قتل رجالك أخاه. جورج".

التفت السائق للخلف وقال: "نعم سيدي".

قال جوليوس: "هذا الرجل روسي بلشفي. إننا لا نرغب في إطلاق النار عليه إلا عند الضرورة. هل تفهم ذلك؟".

قال السائق: "أفهم تماماً يا سيدي".

قال جوليوس: "أرغب في الذهاب إلى جايت هاوس في كنت، هل تعرف الطريق؟".

قال السائق: "نعم يا سيدي، سيستغرق الطريق ساعة ونصف الساعة".

قال جوليوس: "اجعلها ساعة، أنا على عجلة من أمري".

قال السائق: "سأبدل أقصى ما بوسعي يا سيدي"، وانطلقت السيارة عبر الزحام.

جلس جوليوس بجانب أسيره واضعاً يده في جيب معطفه، ولكنه كان يتعامل بأدب جم.

قال جوليوس مبتهجا: "كان هناك رجل أطلقت النار عليه في أريزونا —".

في نهاية الرحلة التي استغرقت ساعة، كان كرامينين سيئ الحظ، أقرب إلى الموت من الحياة. بعد أن استمع إلى ما حدث للرجل في أريزونا، استمع إلى قصة أخرى عن رجل من فريسكو، وأخرى عن رجل في جبال روكي. كان أسلوب جوليوس في رواية القصص، على الرغم من عدم دقته، معبراً للغاية.

هبطا الدرج معاً، وسارا نحو السيارة. كان الروسي يرتجف من الغضب. أحاط بهما خدم الفندق، حاول أن يصرخ مستنجداً بهم، ولكن خذلته شجاعته في اللحظة الأخيرة، فقد كان الأمريكي يحترم كلمته.

عندما وصلا إلى السيارة، تنفس جوليوس الصعداء، فقد خرجا من منطقة الخطر، كان الخوف قد سيطر على الرجل الروسي تماماً.

قال جوليوس أمراً: "اركب السيارة"، وعندما لاحظ النظرة الجانبية التي رمقه بها كرامينين قال: "لا، لن يساعدك السائق. لقد كان بحاراً يخدم على غواصة روسية عندما اندلعت الثورة، وقد قتل رجالك أخاه. جورج".

التفت السائق للخلف وقال: "نعم سيدي".

قال جوليوس: "هذا الرجل روسي بلشفي. إننا لا نرغب في إطلاق النار عليه إلا عند الضرورة. هل تفهم ذلك؟".

قال السائق: "أفهمه تماماً يا سيدي".

قال جوليوس: "أرغب في الذهاب إلى جايت هاوس في كنت، هل تعرف الطريق؟".

قال السائق: "نعم يا سيدي، سيستغرق الطريق ساعة ونصف الساعة".

قال جوليوس: "اجعلها ساعة، أنا على عجلة من أمري".

قال السائق: "سأبذل أقصى ما بوسعي يا سيدي"، وانطلقت السيارة عبر الزحام.

جلس جوليوس بجانب أسيره واضعاً يده في جيب معطفه، ولكنه كان يتعامل بأدب جم.

قال جوليوس مبتهجاً: "كان هناك رجل أطلقت النار عليه في أريزونا —" في نهاية الرحلة التي استغرقت ساعة، كان كرامينين سيئ الحظ، أقرب إلى الموت من الحياة. بعد أن استمع إلى ما حدث للرجل في أريزونا، استمع إلى قصة أخرى عن رجل من فريسكو، وأخرى عن رجل في جبال روكي. كان أسلوب جوليوس في رواية القصص، على الرغم من عدم دقته، معبراً للغاية.

أبعث السائق من سرعة السيارة، ونظر للخلف وأخبرهما بأنهما على وشك الوصول إلى جايت هاوس. أمر جوليوس الرجل الروسي بأن يدلّهما على الطريق. قالت خطته هي أن يدخل بالسيارة حتى باب المنزل، وهناك سيسأل كرامينين عن المذاتين. قال له جوليوس إن مسدسه لا يتسامح مع الأخطاء. كان كرامينين في ذلك الوقت كالدمية بين يدي جوليوس. كانت السرعة الخارقة التي وصلوا بها إلى وجهتهم قد أفقدته شجاعته بأكملها. كان قد أعد نفسه للموت في أية لحظة. شعلت السيارة الطريق المؤدي للمنزل وتوقفت أمام الشرفة، فنظر السائق إلى الخلف منتظراً أوامر جوليوس.

قال جوليوس: "عدّل وجهة السيارة أولاً يا جورج، ثم اذهب لقرع الجرس وعود إلى مكانك. ولا توقف المحرك، واستعد لأن تنطلق بأقصى سرعة عندما أمرك بهذا".

قال جورج: "حسنًا يا سيدي".

فتح رئيس الخدم الباب، وشعر كرامينين بالمسدس يضغط على أضلاعه.

همس له جوليوس:

"الآن، وكن حذراً".

أشار الروسي لرئيس الخدم، وكانت شفتاه شاحبتين وصوته مرتعشاً وهو يقول:

"إنه أنا كرامينين. أحضر الفتاة على الفور، لا يوجد وقت لنضيقه".

هبطا ويتجشّون الدرج، وأطلق صيحة تعجب عندما رأى جوليوس وقال:

"أنت، ما الأمر؟ من المؤكد أنك تعرف الخطة —".

قاطعه كرامينين مستخدماً الكلمات التي طالما سببت الهلع غير المبرر:

"هناك من خاننا. يجب تغيير الخطة. يجب أن نقتل أنفسنا. أحضر الفتاة على الفور. إنها فرصتك الوحيدة".

تردد ويتجشون للحظات ثم قال: "هل أتتكم الأوامر منه؟".

قال كرامينين: "أمر بديهي. هل كنت سأتى إلى هنا من لقاء نفسي؟ أسرع لا يوجد وقت للنضيمه. يجب أن تحضر الفتاة الأخرى الحقاء أيضاً".

استدار ويتجشون ويبدأ يعدو نحو المنزل، ومرة الدقائق ببطء شديد، ثم ظهر شخصان مكبلان بالقيود وتم دفعهما نحو السيارة. حاولت الفتاة الأصغر حجماً أن تقاوم، ولكن ويتجشون دفعها إلى داخل السيارة. انحنى جوليوس إلى الأمام، وعندما فعل هذا، سقط ضوء الباب المفتوح على وجهه، فأطلق رجل آخر من خلف ويتجشون، يقف على قمة الدرج صيحة تعجب، لقد انكشف أمرهم. صاح جوليوس: "انطلق يا جورج".

ضغط السائق دواسة الوقود بقوة، فاندفعت السيارة بسرعة كبيرة.

أطلق الرجل على قمة الدرج سباً، واندفعت يده نحو جيبيه. بعد ذلك لمح ضوء مبهر وصوت عالٍ، ومرة الرصاص على بعد بوصة واحدة من الفتاة الأطول.

صاح جوليوس: "انحني يا جاين. اهبطي إلى قاع السيارة"، دفعها بقوة إلى الأسفل، ثم وقف وصوب بدقة وأطلق النار.

صاحت توبينس: "هل أصبت؟".

أجابها جوليوس: "بالتأكيد، ولكني لم أقتله. إن هذا المجرم لن يموت بسهولة. هل أنت بخير يا توبينس؟".

قالت توبينس: "بالطبع. أين تومي؟ ومن هذا الرجل؟"، قالتها وهي تشير إلى كرامينين المرتجف.

قال جوليوس: "لقد سافر تومي إلى الأرجنتين. لقد اعتقد أنك قد مده اخترق البوابة يا جورج، أحسنت. سيستغرق الأمر خمس دقائق قبل أن يبدأوا في مطاردتنا. أعتقد أنهم سيستخدمون الهاتف، لذا احترس من وضع الشرائك أمامك - ولا تسر في طريق مستقيم. كنت تقولين من هذا يا توبينس، أليس كذلك؟ دعيني أعرفك على السيد كرامينين. لقد أقمته بالقيام بهذه الرحلة من

أجل الاستشفاء".

ظل الروسي صامئاً وهو يرتعد في خوف.

سألته توبينس بشك: "ولكن ما الذي جعلهم يطلقون سراحنا؟".

قال جوليوس: "أعتقد أن السيد كرامينين قد طلب منهم هذا بأدب جم، فلم يتمكنوا من رفض طلبه".

كان هذا أكثر مما يتحمل الرجل الروسي الذي قال فجأة:

"اللعة عليك - اللعة عليك. إنهم يعلمون الآن أنني قد خنتهم. لن يمكنني أن أؤمن على حياتي لساعة واحدة في هذا البلد".

واقفه جوليوس قائلاً: "هذا صحيح. أنصحك بالعودة إلى روسيا على الفور".

صاح الروسي: "دعني أذهب إذن. لقد قمت بما طلبته مني. لماذا تحتجزني؟".

قال جوليوس: "ليس لأنني أستمع بصحتك. أعتقد أنه يمكنك الذهاب الآن إذا أردت، ولكني كنت أفضل اصطحابك إلى لندن".

قال الروسي: "ذلك لن تصل أبداً إلى لندن، دعني أذهب الآن".

قال جوليوس: "بالتأكيد. توقف يا جورج. إن الرجل لا يرغب في العودة معنا.

إذا ما ذهب إلى روسيا يا سيد كرامينين، أتوقع أن تستقبلني بحراة و —".

ولكن قبل أن ينهي جوليوس جملته، وقبل حتى أن تتوقف السيارة تماماً، كان الرجل قد ألقي بنفسه منها واختفى في الظلام.

قال جوليوس عندما انطلقت السيارة مرة أخرى:

"لقد كان يتوق للمغادرة. كما أنه لم يودع السيدتين بأدب. جاين، يمكنك النهوض الآن".

تحدثت جاين للمرة الأولى قائلة:

"كيف تمكنت من إقناعه؟".

ربت جوليوس على مسدسه وقال:

"يعود الفضل إلى هذا المسدس".

صاحت الفتاة وقد أشرب وجهها بحمرة الخجل وهي تنظر إلى جوليوس بإعجاب:
"رائع".

قالت توبينس: "لم تكن أنا وأنيث نعلم ما سيحدث لنا. لقد أسرع ويتنجنون بإخراجنا، فاعتقدنا أنها النهاية".

قال جوليوس: "أنيث، هل هذا ما تطلقينه عليها؟".

بدا أن عقله يحاول استيعاب الفكرة الجديدة.

قالت توبينس وهي تفتح عينيها عن آخرهما:
"هذا اسمها".

قال جوليوس: "اللعنة. ربما تعتقد أن هذا اسمها لأنها فقدت ذاكرتها، الفتاة المسكينة، ولكننا حررنا جاين فين الحقيقية هذه".

صاحت توبينس: "ماذا؟—"

ولكنها قطعت حديثها، وبصوت غاضب، انفرست رصاصه في مقعد السيارة خلف رأسها.

صاح جوليوس: "أخفض رأسيكما، إنه كمين. إن هؤلاء الأشخاص يتصرفون بسرعة كبيرة. أسرع يا جورج".

انطلقت السيارة بسرعة كبيرة إلى الأمام، وسمع دوي ثلاث رصاصات أخرى، ولكنها لم تصب السيارة، فنهض جوليوس، وانحنى على جانب السيارة وقال:

"لا يوجد من أطلق النار عليه، ولكني أعتقد أنه سيكون هناك كمين آخر في القريب العاجل".

رفع جوليوس يده ليضعها على وجنته فقالت آنيث بسرعة:

"هل أصبت؟".

قال جوليوس: "مجرد خدش بسيط".

نهضت الفتاة على قدميها وقالت:

"دعني أخرج، دعني أخرج، أوقف السيارة. إنهم يبحثون عني. يجب ألا تفقدوا حياتكم بسببي. دعوني أرحل"، كانت الفتاة تحاول فتح باب السيارة.

أمسكها جوليوس من ذراعيها ونظر في عينيها، فقد كانت تحدثت دون لفتها الأجنبية، وقال بلطف:

"اجلسي يا عزيزتي. أعتقد أنه لا يوجد خطب ما بذاكرك. لقد كنت اخدعينهم طوال هذا الوقت، أليس كذلك؟".

نظرت له الفتاة، وأومات برأسها، ثم انفجرت باكياً، فربت جوليوس كتفها وقال:

"اهدئي، اهدئي - فقط اجلسي. إننا لن نتركك".

قالت الفتاة وسط دموعها:

"إنك من أمريكا. يمكنني أن أخمن هذا من لكتك. هذا يشعرني بالحنين للوطن".

قال جوليوس: "بالطبع أنا من الوطن. أنا ابن خالك - جوليوس هيرشايمر. لقد جئت إلى أوروبا من أجل العثور عليك - ويا له من حظ سعيد أنني تمكنت من هذا".

هدأت سرعة السيارة، وقال جورج:

"لقد وصلنا إلى مفترق طرق، وأنا لا أعرف إلى أي طريق أتوجه".

أبطأت السيارة كثيراً لدرجة أنها كانت على وشك التوقف، عندما تسلق شخص ما السيارة وأدخل رأسه إلى داخلها، وكان تومي الذي قال:
"أسف".

نظر له الجميع بدهشة، فقال:

"لقد كنت بين الشجيرات التي تحيط بالطريق في المنزل، وتمسكت بالسيارة من الخلف، ولم يكن من الممكن أن أجعلكم تعلمون بوجودي قبل أن أخف سرعة السيارة. كل ما أمكنني فعله هو التمسك بالسيارة. والآن، أخرجاً أيتها الفتاتان من السيارة".

قالت توبينس: "نخرج؟".

قال تومي: "نعم، هناك محطة قطار في هذا الاتجاه. سيصل القطار بعد ثلاث دقائق، ستمكنان من اللحاق به إن أسرعتما".

سأله جوليوس: "ما الذي تهدف إليه بحق السماء؟ هل تعتقد أنهم سينخدعون بتركهما السيارة؟".

قال تومي: "أنا وأنت لن تترك السيارة، فقط الفتاتان".

قال جوليوس: "هل جئت يا بيريسفورد. لا يمكنك أن تترك الفتاتين في الخارج بمفردهما، ستكون هذه هي النهاية".

التفت تومي إلى توبينس وقال:

"أخرجني على الفور يا توبينس. خذنيها معك، وافعلي كما أقول لك. لن يتمكن أحد من إيذاؤك، إنك في أمان. استقلي القطار إلى لندن، واذهبي مباشرة إلى السير جايمس بيل إدجارتون. إن السيد كارتر خارج المدينة ولكنك ستكونين في أمان معه".

صاح جوليوس: "اللعنة عليك، هل جئت؟ جاين ابقِي مكانك".

وبحركة سريعة، اختطف تومي المسدس من جوليوس وصوبه نحوه وقال: "ستصدق الآن أنني لم أجن؟ أخرجاً، وافعل ما قلته لكما - وإلا سأطلق النار".

خرجت توبينس من السيارة بسرعة، وهي تجذب جاين التي لا حول لها ولا قوة خلفها، قائلة:

"هيا، لا بأس، مادام تومي واثقاً مما يقول - فكل شيء على ما يرام. أسرع، سيفوتنا القطار".

بدأت الفتاتان في العدو.

صاح جوليوس في غضب: "ما الذي تفعله بحق —"

قاطعه تومي قائلاً:

"اهداً. هناك أمر أرغب في التحدث معك بشأنه يا سيد جوليوس هيرشايمر".

الخامس والعشرون

قصة جاين

وصلت توبينس إلى محطة القطار وهي تتأبط ذراع جاين صاحبة إياها على طول الطريق، والتقطت أذناها صوت القطار وهو يقترب.

قالت توبينس وهي تلهث:

"أسرعِي وإلا سيفوتنا القطار".

وصلتا إلى رصيف المحطة في اللحظة نفسها التي توقف القطار فيها. فتحت توبينس باب إحدى مقصورات الدرجة الأولى الفارغة، وألقت الفتاتان نفسيهما على المقاعد المبطنة.

نظر رجل داخل المقصورة، ثم انتقل إلى المقصورة التالية، ولكن جاين فُتزت من مكانها بعصبية، وكان الرعب يملأ عينيها، ونظرت متسائلة إلى توبينس وقالت:

"هل هو أحد أفراد العصابة؟ هل تعتقدين ذلك؟".

هزت توبينس رأسها نفيًا، ثم قالت:

"لا، لا، كل شيء على خير ما يرام"، ثم أمسكت بيدي جاين بين يديها وقالت،
 "لم يكن تومي ليطلب منا فعل ذلك إن لم يكن متأكدًا مما يفعل".

قالت جاين: "ولكنه لا يعرفهم مثلما أعرفهم أنا"، وارتجفت الفتاة ثم قالت:
 "أنت لا تفهمين. خمس سنوات - خمس سنوات طوال. كنت أشعر أحيانًا بأني
 سأجن".

قالت توبينس: "لا عليك، لقد انتهى الأمر".

قالت جاين: "حقًا؟".

بدأ القطار في التحرك، وبدأت سرعته في التزايد تحت ستار الليل، وهاجأ
 قفزت جاين من مكانها وقالت:

"ماذا كان هذا؟ أعتقد بأني رأيت وجهًا - ينظر من خلال النافذة".

قالت توبينس: "لا، لا يوجد أي شيء، انظري"، ثم حلت الرباط الذي يربط
 النافذة الزجاجية وفتحتها على مصراعها.

قالت جاين: "هل أنت واثقة؟".

قالت توبينس: "تمام الثقة".

شعرت جاين بأنها بحاجة إلى تبرير ما فعلته، فقالت:

"أعتقد أنني أتصرف كما لو كنت أربئًا خائفًا، ولكن الأمر ليس بيدي، فإذا ما
 أمسكوا بي الآن فسوف —"، واتسعت عيناها في ذعر.

توسلت لها توبينس قائلة:

"لا تفعلين. اكنني للخلف ولا تفكري في الأمر. لم يكن تومي ليجعلنا نقوم
 بهذا الأمر إن لم يكن آمنًا".

قالت جاين: "ولكن ابن خالي لم يكن يعتقد أن الأمر آمن. لم يكن يريدنا
 أن نرحل".

قالت توبينس وهي تشعر بالإحراج:

"لا".

قالت جاين بحدة: "ما الذي تفكرين به؟".

قالت توبينس: "لماذا؟".

قالت جاين: "لقد كانت هناك نبذة غريبة في صوتك".

قالت توبينس: "كنت أفكر في أمر ما، ولكني لا أرغب في أن أخبرك به في
 الوقت الحالي. قد أكون مخطئة، ولكني لا أعتقد هذا. إنها مجرد فكرة مرت
 بخاطري منذ قوت طويل مضى. أعتقد أن تومي أدرك الأمر هو أيضًا - أثق بهذا.
 لكن، لا تقلقي - سيتوافر لنا الكثير من الوقت فيما بعد لنحدث عن الأمر،
 وربما نكون مخطئين. والآن، افعل ما أقوله لك - اكنني للخلف ولا تفكري في
 أي شيء".

انخفضت الرموش الطويلة على عيني جاين الخضراوين وهي تقول:
 "سأحاول".

جلست توبينس متيقظة بشدة - كانت تشبه في هذا الوضع، كلب الحراسة. لم
 تتمكن من منع نفسها من الشعور بالعصبية. كانت عيناها تنتقلان بسرعة بين
 النافذتين. كانت قد حددت موضع مقبض الطوارئ. لم تكن توبينس قادرة على
 التعبير عما تخشاه بالكلمات، ولكنها كانت في نفسها بعيدة كل البعد عن الثقة
 التي كانت تظهر في كلماتها. ليس لأنها لم تكن واثقة في تومي، بل لأنها كانت
 تشك أحيانًا في قدرة شخص بسيط وشریف مثل تومي على مواجهة العقلية
 الإجرامية الفذة لذلك المجرم العتيد.

إذا ما تمكننا من الوصول إلى السير جايمس بيل إدجارتون بأمان، فسيكون
 كل شيء على خير ما يرام. ولكن هل ستمكنان من الوصول إليه؟ ألم تبدأ القوى
 الخفية التابعة للسيد براون في التجمع للحيلولة دون ذلك؟ حتى ذلك المشهد
 الأخير الذي رأت فيه تومي وهو يقبض على المسدس لم تجعلها تشعر بالراحة.
 ربما تمكنوا من التغلب عليه الآن بفضل كثرة أعدادهم... وضعت توبينس خططها
 للنجاح في مسعاها.

عندما أبطل القطار من سرعته باقترابه من محطة شايرينج كروس، وقفت
 جاين فين مغزوعة وقالت:

"هل وصلنا؟"

قالت توبينس: "نعم، لقد وصلنا إلى لندن بدون أية مشكلات. إذا ما كان سيحدث أمر ما لنا، أعتقد أن هذا سيبدأ الآن. أسرع، اخرجي من القطار. سنستقل واحدة من سيارات الأجرة."

بعد دقيقة، كانتا تعبران حاجز المحطة بعد أن دفعنا الرسوم المطلوبة، وقفزنا في سيارة أجرة.

قالت توبينس للسائق: "إلى محطة كينجز كروس"، ثم شعرت بالفرح، فقد نظر رجل ما عبر نافذة السيارة في أثناء الاستعداد للانطلاق، وكانت توبينس واثقة من أنه الرجل نفسه الذي دخل المقصورة التي كانت تجاورهما في القطار. كانت تشعر بأن هناك من يراقبها من جميع الاتجاهات.

قالت توبينس لجاين: "اسمعي، إذا ما كانوا يعتقدون أننا ذاهبتان إلى السير جايمس، فإنهم سيفقدون أثرنا، والآن قد يتصورون أننا ذاهبتان إلى السيد كارتر، إن منزله الريفي يقع في مكان ما في شمال لندن."

عندما وصلت السيارة إلى كروسينج هولبورن، كان هناك زحام شديد وتوقفت السيارة تماماً. كان هذا ما تنظره توبينس التي قالت لجاين: "أسرع، افتحي الباب من ناحيتك."

خرجت الفتاتان من السيارة إلى الزحام، وبعد دقيقتين كانتا تستقلان سيارة أجرة أخرى وتعودان إلى طريقهما الرئيسي، هذه المرة نحو منزل كارلتون هاوس تيراس.

قالت توبينس وصوتها يحمل الكثير من الرضا:

"حسناً، هذا من شأنه أن يشبتهم. لا يمكنني التوقف عن التفكير في مدى مهارتي. أعتقد أن سائق السيارة الأخرى يصب علينا اللعنات حالياً، ولكني دونت رقم لوحات سيارته، وسأرسل له أجرته بالبريد غداً، وبهذا لن يكون قد خسر ماله. ماذا يفعل ذلك السائق - أوه."

كان هناك صوت ضوضاء عالية وصدمة. لقد اصطدمت بهم سيارة أجرة أخرى.

في لمح البصر، خرجت توبينس من السيارة، وكان هناك شرطي يقترب من موقع الحادث، قبل أن يصل الشرطي، كانت توبينس تعطي سائق السيارة خمس شنلنات، واختفت هي وجاين وسط الزحام.

قالت توبينس وهي تلهث:

"لقد اقتربنا كثيراً"، كان الحادث قد وقع في ميدان ترافلجار.

قالت جاين: "هل تعتقدين أن الحادث قد وقع بشكل عرضي، أم متعمد؟"

قالت توبينس: "لا أعلم. الاحتمالان قائمان."

أسرعت الفتاتان الخطى وأيديهما متشابكتان.

قالت توبينس فجأة: "ربما كنت أتخيل، ولكني أشعر بأن هناك من يتبعنا."

غمغمت جاين: "أسرع، أسرع."

كانتا قد وصلتا إلى ناصية الشارع الذي يقع به منزل كارلتون هاوس تيراس، وشعرتا بأن معنوياتهما في عنان السماء، ولكن فجأة، اعترض طريقهما رجل ضخيم يبدو عليه عدم الاتزان قائلاً:

"مساء الخير سيداتي، إلى أين تذهبان بهذه السرعة؟"

قالت توبينس بشكل آخر: "دعنا نمر من فضلك."

قال الرجل: "أريد أن أقول كلمة لصديقتك الجميلة هذه"، ومد يده المرتعشة وأمسك جاين من كتفها. سمعت توبينس صوت أقدام أخرى قادمة من الخلف. لم تتوقف توبينس لتحاول أن تعرف ما إذا كان القادمون أصدقاء أم أعداء. أحنّت رأسها على الفور، منفذة مناورة تعلمتها أيام الطفولة، وضربت الرجل الذي يعترض طريقهما بقوة في بطنه الكبير. نجحت مناورة توبينس على الفور، واستقر المقام بالرجل جالساً يتألم على الرصيف، وبدأت كل من توبينس وجاين في العدو بأقصى ما أوتيتا من قوة. كان صوت خطوات الأقدام يتعالى من خلفهما، وكانتا تلهثان بشدة عندما وصلتا إلى باب منزل السير جايمس. ضغطت توبينس بشكل مستمر جرس الباب، في حين واصلت جاين الطرق على الباب.

"لقد صعدت على متن سفينة لوزيتانيا من أجل العمل في باريس. لقد كنت أعارض الحرب بشدة وكنت أتوق لأن أقدم المساعدة بطريقة أو بأخرى. كنت أدرس اللغة الفرنسية، وقال معلمي إنهم بحاجة للمساعدة في أحد المستشفيات في باريس، لذا أرسلت خطاباً للمستشفى عارضة خدماتي، وقد قبلوها. لم يتبق أحد من عائلتي، لذا كان من السهل علي ترتيب أمور سفري.

عندما ضرب الطوربيد سفينة لوزيتانيا، اقترب رجل مني. كنت قد رأيته أكثر من مرة خلال الرحلة - وقد استقر في مخيلتي أنه خائف من شيء ما أو شخص ما. سألتني إن كنت أمريكية وطنية، وأخبرني بأنه يحمل وثائق مهمة للغاية بالنسبة للحلفاء، وطلب مني أن أخذها. كان علي أن أنتظر ظهور إعلان في جريدة التايمز، وإذا لم يُنشر الإعلان، كان علي الذهاب إلى السفير الأمريكي.

كان أغلب ما حدث بعد ذلك يشبه الكابوس الذي يراودني في أثناء نومي في بعض الأحيان... لا حاجة بنا لذكر هذا الأمر. أخبرني السيد دانفرز أن أتوخى الحذر. ربما كان هناك من يراقبه منذ خروجه من نيويورك، ولكنه لم يكن يعتقد ذلك. في البداية، لم تراودني أية شكوك، ولكني شعرت بالقلق في القارب المتوجه إلى هوليهيد. كانت هناك امرأة معينة تهتم بي بشدة، وكانت تحاول أن تقيم علاقة صداقة معي - السيدة فاندنماير. في البداية كنت أشعر بالامتنان لاهتمامها بي، ولكني كنت أشعر طوال الوقت بأن هناك أمراً ما ينفرني منها، وبعد ذلك، عندما كنا على متن القارب الأيرلندي، رأيته يتحدث مع رجل غريب الشكل، ومن الطريقة التي كانا ينظران بها نحوي، أدركت أنهما يتحدثان عني. تذكرت أنها كانت تقف بالقرب مني عندما أعطاني السيد دانفرز الوثائق، وقبل هذا، كانت تحاول أن تتحدث معه لمرة أو مرتين. بدأت أشعر بالخوف، ولكني لم أكن أدري ما يجب علي أن أفعل.

كانت تراودني فكرة ملحة للتوقف في هوليهيد، وعدم الذهاب إلى لندن في ذلك اليوم، ولكني سرعان ما أدركت أن هذا سيكون عملاً أحمق. كان الحل الوحيد هو أن أتصرف كما لو كنت لم ألاحظ أي شيء، وأن أمل في حدوث الأفضل. لم أكن أتخيل أنهم قادرون على النيل مني إذا ما توخيت الحذر. هناك أمر واحد

وصل الرجل الذي كان يعترض طريقيهما إلى الدرج المؤدي للمنزل، ولكنه تردد للحظة، وفي الوقت ذاته افتتح الباب، فدفعت الفتاتان نفسيهما إلى الداخل. خرج السير جايملس من غرفة المكتبة وهو يقول: "مرحباً. ما الأمر؟"

توجه السير جايملس نحوهما وأحاط جابن بذراعه حيث أنها كانت تترنح بشدة، وانكأت عليه جابن حتى وصلت إلى المكتبة، حيث أرقدها السير جايملس على واحدة من الأرائك. قام بعد ذلك بصب بعض من الشراب الذي كان على الطاولة في كأس وقدمه لها، بل وأجبرها على تناوله. جلست بعد ذلك وهي تتنهد في راحة، على الرغم من الرعب الظاهر في عينيها.

قال السير جايملس: "لا بأس. لا تخافي يا صغيرتي، لقد أصبحت بأمان الآن."

بدأت جابن تهدأ وينتظم تنفسها، وتعود الحمرة إلى وجنتيها، فنظر السير جايملس إلى توبينس في حيرة وقال:

"أنت لم تموتي إذن يا آنسة توبينس، كما كانت الحال مع صديقك تومي".
قالت توبينس: "إن شباب المغامرين لا يمكن قتلهم بسهولة".

قال السير جايملس باهتصاب: "يبدو هذا صحيحاً. هل أنا محق عندما أقول إن مغامرتكما المشتركة قد كُلت بالنجاح، وإن هذه هي الآنسة جابن فين؟"

نهضت جابن جالسة وقالت:

"نعم، أنا جابن فين، وهناك الكثير لأقصه عليك".

قال السير جايملس: "قصي قصتك عندما تستعيدين قوتك —"

ارتفع صوتها قليلاً وهي تقول:

"لا - الآن. سأشعر بالأمان أكثر عندما أبوح بما أخفيه".

قال المحامي: "كما ترغبين".

جلس السير جايملس على أحد المقاعد المواجهة للأريكة، في حين بدأت جابن في سرد قصتها بصوت منخفض قائلة:

فعلته كإجراء احترازي، وهو أنني فتحت لفافة القماش المشمع وأخرجت الوثائق ووضعت بدلاً منها أوراقاً فارغة، ثم خلطتها مرة أخرى كما كانت، بحيث إذا تمكن أي شخص من سرقتها مني، فإن الأمر لن يكون مهماً.

كان ما يقلقني، هو ما الذي سأفعله بالوثائق الحقيقية. في النهاية، فتحت الوثائق - وكانت عبارة عن ورقتين فقط - ووضعتهما بين صفحتي إعلانات في إحدى المجلات، وقمت بلبصق الصفحتين معاً ببعض الغراء الذي أخرجته من أظرف الخطابات، ووضعت المجلة بدون أكرات في جيب معطفي.

في هوليهيد، حاولت أن أدخل مقصورة مع أناس يبدو عادييين، ولكن بدا أن هناك مجموعة من الأشخاص تحيط بي طوال الوقت وتدفعني في الاتجاه الذي لا أرغب في التوجه إليه. كان هناك أمر غريب ومخيف حيال ما يحدث في النهاية، وجدت نفسي في مقصورة واحدة مع السيدة فاندimaير. خرجت إلى الممر، ولكن جميع المقصورات الأخرى كانت مليئة بالركاب، لذلك اضطررت لأن أعود وأجلس معها. طمأنت نفسي لحقيقة وجود أشخاص آخرين معنا في المقصورة - كان هناك رجل وسيم وزوجته يجلسان في المقعد المقابل لي، شعرت بالسعادة لوجودهما حتى وصلنا إلى مشارف لندن، حيث اتكأت للخلف وأغمضت عيني. أعتقد أنهم ظنوا أنني نمت، ولكن عيني كانتا نصف مفتوحتين، وفجأة رأيت الرجل الوسيم يخرج شيئاً ما من حقيبته ويعطيه للسيدة فاندimaير، وغمز لها وهو يفعل ذلك ...

لا يمكنني أن أعبر لكما عن كيف أن هذه الغمزة قد جمدت الدم في عروقي، كان كل ما يدور في عقلي هو الخروج إلى الممر بأسرع وقت ممكن. تظاهرت بالاستيقاظ محاولة أن أبداً طبيعية ومرتاحة لأقصى حد. ربما كانوا قد رأوا شيئاً ما بادياً على وجهي - لا أعلم - ولكن السيدة فاندimaير قالت فجأة: الآن، ووضعت شيئاً ما على أنفي وفيه عندما حاولت أن أصرخ، وفي الوقت ذاته شعرت بضربة قوية على مؤخرة رأسي ...

ارتجفت قليلاً وهي تتحدث، فغمغم السير جايمس ببعض الكلمات المتعاطفة، وسرعان ما عادت لتواصل روايتها قائلة:

لا أعلم كم من الوقت فقدت الوعي، ولكن عندما أفتت كنت أشعر بأنني لست على ما يرام. كنت راقدة في فراش قدر، وكان مغطى بستانارة، ولكني تمكنت من سماع شخصين يتحدثان في الغرفة، وكانت السيدة فاندimaير واحدة منهما. حاولت أن أسمع ما يقال، ولكني لم أتمكن من ذلك في البداية. عندما بدأت استوعب ما يجري - شعرت بالهلع. وأعجب من عدم صراخي في ذلك الوقت.

لم يتمكنوا من العثور على الوثائق. لقد حصلوا على لفافة القماش المشمع التي كان بداخلها الورق الفارغ، وكانوا يشعرون بغضب شديد. لم يكونوا يعلمون ما إذا كنت قد استبدلت الأوراق أم أن دانرز كان يحمل رسالة زائفة، في حين يتم إرسال الرسالة الحقيقية بطريقة أخرى. كانوا يتحدثون عن "وأغلقت عينيها وهي تقول: "تعذبي حتى أقر بمكان الوثائق.

لم أكن قد شعرت بالخوف - الخوف الحقيقي - من قبل. عندما حضروا ليلقوا نظرة علي، أغمضت عيني متظاهرة بأنني مازلت فاقدة الوعي، ولكني كنت خائفة من أن يسمعوا صوت خفقان قلبي، ولكنهم ابتعدوا مجدداً. بدأت في التفكير بسرعة الصاروخ، ما الذي يمكنني فعله؟ كنت أعلم أنني لن أتحمل التعذيب لوقت طويل.

وفجأة، طرأت علي فكرة فقدان الذاكرة. لطالما كان هذا الأمر يقع في نطاق اهتماماتي، وكنت قرأت كثيراً عنه. كانت جميع الظروف مواتية للتظاهر بذلك، وإذا ما تمكنت من التظاهر بمهارة، فقد ينقذني ذلك من التعذيب. دعوت الله وسحبت نفساً عميقاً، ثم فتحت عيني وبدأت في التحدث بالفرنسية.

"جاءت السيدة فاندimaير من خلف الستارة على الفور. كان الشر يطل من عينيها لدرجة أنني كدت أموت من الخوف، ولكني ابتسمت لها وقلت بالفرنسية: أين أنا.

تمكنت من رؤية الحيرة تملأ وجهها. نادى الرجل الذي كانت تتحدث معه. وقف إلى جانب الستارة مبقياً وجهه في الظل، وتحدث معي بالفرنسية. كان صوته عادياً وهادئاً ولكنه بالرغم من هذا أخافني، ولكني واصلت التظاهر. سألتها مرة أخرى عن أين أكون، ثم قلت إن هناك أمراً ما علي تذكره، يجب أن

ملقى بإهمال على ظهر أحد المقاعد. وكانت المجلة ما زالت على وضعها في جيبه.

كنت أتمنى أن أتأكد مما إذا كان هناك من يراقبني، لذا بدأت في فحص الحوايط بعناية. لم تكن هناك أية فتحة مراقبة - ولكني كنت أشعر بأنه لا بد من وجود واحدة. جلست فجأة على أحد المقاعد حول الطاولة ووضعت وجهي بين يدي وبدأت أقول بالفرنسية وأنا أبكي: يا إلهي، يا إلهي، بفضل سمعي الحاد، سمعت صوت حفيف فستان، وصوتاً خفيفاً لتصدع الخشب. كان هذا كافياً بالنسبة لي. لقد كنت مراقبة.

رقدت في الفراش مرة أخرى، ومن حين لآخر، كانت السيدة فاندماير تحضر لي الطعام. كانت لا تزال لطيفة كما أمروها. أعتقد أنهم أمروها بأن تكتسب ثقتي. في إحدى المرات، أخرجت لفافة القماش المشمع وسألنتي عما إذا كانت مألوفة بالنسبة لي، وكانت تراقبني بعينين حادتين طوال الوقت.

أخذتها وقلبتها متظاهرة بالحيرة، ثم هزرت رأسي نفيًا، وقلت لها إنني شعرت بأن هناك أمرًا ما بشأن هذه اللقافة يجب أن أتذكره، وبدأ كما لو كنت سأذكر ولكن الذكرى انسلت بعيداً قبل أن أتمكن منها. بعد ذلك، أخبرتني بأنها ابنة أخيها وأن عليّ أن أدعوها بعمتي ريتا. أعلمتها، وقالت لي ألا أقلق - قد استعيد ذاكرتي في القريب.

مرت تلك الليلة بصعوبة، فقد كنت أعد خطتي في أثناء انتظار وصولها. إن الوثائق في أمان حتى الآن، ولكن لا يمكنني المخاطرة ببقائها في هذا المكان لوقت طويل. ربما يلقون المجلة في القمامة في أية لحظة. ظلت مستيقظة على الفراش دون أن أنام حتى شعرت بأن الساعة حوالي الثانية صباحًا، ثم نهضت متسللة بهدوء، وتلمست طريقي في الظلام نحو الحائط على يسار الغرفة. أزلت واحدة من اللوحات بهدوء من مكانها - لوحة مارجریت وصندوق المجوهرات. ثم زحفت نحو معطفي وأخذت المجلة، وفزرفاً أو اثنين ثم وضعت المجلة بداخلها، ثم توجهت نحو حوض الغسيل، ونزعت الورقة البنية التي تغلف اللوحة من الخلف حتى أصبحت قادرة على نزعها بالكامل. كنت قد نزعت اللورقتين اللتين

أتذكره، إلا أنني تظاهرت بأن ذاكرتي بأكملها كانت قد مُحيت. سألتني عن اسمي، فقلت لا أعلم - فقد كنت أظاهر بأنني لا أتذكر أي شيء على الإطلاق.

أمسك الرجل فجأة بمعصمي وبدأ في ليته. كان الأثم فظيلاً، فصرخت ولكنه واصل ليّ معصمي. صرخت وصرخت، ولكني لم أحدث إلا بالفرنسية. لم أكن أعلم إلى متى كنت سأتمكن من التحمل، ولكن لحسن الحظ، فقدت الوعي. كان آخر ما سمعته صوتاً يقول: إنها لا تخذعنا. على أية حال، فتاة في مثل سنّها لم تكن لتعلم الكثير عن فقدان الذاكرة. أعتقد أنه نسي أن الفتيات الأمريكيات يمتلكن عقولاً أكثر خبرة من الإنجليزيات، وأنهن يهتمن أكثر بالموضوعات العلمية.

عندما كنت مع السيدة فاندماير، كانت تعاملني بلطف شديد. أعتقد أن هذه كانت الأوامر التي تلقيتها. كانت تتحدث معي بالفرنسية وتخبرني بأنني قد تعرضت لصدمة وبأنني مريضة للغاية، وأني سأتحسن في القريب العاجل. تظاهرت بالحيرة - وغمممت بشيء عن الطبيب الذي أذى معصمي. وكانت تبدو مرتاحة بسماع هذه الكلمات.

كانت السيدة فاندماير تخرج من الغرفة بين حين وآخر. كنت ما زلت متشككة، لذا كنت أظل راقدة في الفراش لوقت طويل. في النهاية، نهضت وبدأت في التجول في الغرفة مستكشمة إياها. بدا لي حينها أنني إن فعلت ذلك، فإن أي شخص قد يكون يراقب الغرفة، ربما يعتقد أن هذا أمر طبيعي. كان المكان قذراً ومتسخاً. لم تكن هناك نوافذ في الغرفة، الأمر الذي بدا لي غريباً. خمنت أن الباب سيكون مغلقاً رغم أنني لم أحاول فتحه. كانت هناك بعض الصور القديمة الرثة التي تعرض بعض المشاهد من فيلم فاوست."

قال كل من السير جايمس وتوبينس في الوقت ذاته:

"أه."

قالت جاين: "نعم - لقد كان هذا المنزل في ضاحية سوهو، حيث تم اختطاف السيد بيريسفور. لاشك أنني في ذلك الوقت لم أكن أعلم حتى أنني موجودة في لندن. كان هناك أمر واحد يقلقني، ولكني شعرت بالراحة عندما رأيت معطفي

قالت جاين: "هذا ما اعتقدته، وانتهى الأمر بإرسالني إلى مصحة في بورتسموث. لم أتمكن في البداية من تبين ما إذا كانت مصحة حقيقية أم زائفة. كانت هناك ممرضة مكلفة برعايتي، فقد كنت مريضة مهمة. لقد حممتي الرعاية الإلهية من الوقوع في الفخ، في إحدى المرات كان باب غرفتي نصف مفتوح، وسمعت الممرضة تتحدث مع شخص ما في الممر، لقد كانت واحدة منهم. كانوا ما زالوا يعتقدون أنني أخدعهم، وكانت قد كُلفت بمهمة التأكد من ذلك. بعد هذا، قررت ألا أثق بأي أحد كان.

أعتقد أنني نومت نفسي مغناطيسيًا، فبعد بعض الوقت، نسيت أنني جاين فين في الحقيقة. لقد واصلت لعب دور آيتي فانديمياير حتى بدأت أعصابي تعتاد الأمر. بعد ذلك، أصبت بالمرض حقيقة - طوال أشهر، كنت أغرق في الغيبوبة. كنت أشعر بأنني ساموت قريبًا. يُقال إن الشخص العاقل الذي يُحتجز في مصحة عقلية، ينتهي به الأمر بالجنون. أعتقد أن هذه كانت هي الحال معي. لقد أصبح الدور الذي أَلعبه، شخصيتي الثانية. في النهاية، لم أكن أشعر بالتعاسة، بل كنت غير مبالية. لم يكن يهمني شيء، ومرت الأعوام.

بعد ذلك، بدا فجأة أن الأمور في طريقها إلى التغير، فقد حضرت السيدة فانديمياير من لندن، وطرحت عليّ هي والطبيب عددًا من الأسئلة واختبرا الكثير من أساليب العلاج. كانا يتحدثان عن إرسالني إلى طبيب متخصص في حالتي في باريس، ولكنهما لم يجروا على فعل ذلك في النهاية. سمعت بعض الأشياء عن أن بعض الناس - الأصدقاء - يبحثون عني. علمت فيما بعد أن الممرضة التي كانت مخولة برعايتي سافرت إلى باريس لاستشارة الطبيب المتخصص، حيث قدمت نفسها على أنها أنا. أخضعها الطبيب لبعض الاختبارات، وتبين في النهاية أنها كانت تتظاهر بفقدان الذاكرة، ولكنها حصلت على مذكرة بأساليبه العلاجية وبدأت في تطبيقها عليّ. يمكنني أن أقول إنني لم أكن سأتمكن من خداع الطبيب المتخصص للحظة واحدة - إن الرجل الذي يقضي حياته بأكملها في دراسة شيء ما، يصبح شخصًا استثنائيًا فيه - ولكنني تمكنت مرة أخرى من تمالك نفسي في التعامل معهم. كانت حقيقة أنني لم أكن أفكر في نفسي على أنني جاين فين لفترة طويلة قد جعلت الأمر أكثر سهولة.

لصقتهما بعضهما بالأخرى من المجلة، ووضعتهما بعناية وداخلهما المحتوى الثمين بين اللوحة والبطانة البنية. مع قليل من الغراء من أطراف الخطابات تمكنت من لصق البطانة البنية مرة أخرى في مكانها. لن يتخيل أحد في أي وقت ما تحويه تلك اللوحة في داخلها. أعدت وضع اللوحة في مكانها والمجلة إلى معطفي وعدت لأستلقي في الفراش. كنت سعيدة بالمكان الذي خبات فيه الوثائق. لن يفكروا أبدًا في كسر واحدة من لوحاتهم. كنت أمل أن يتوصلوا إلى استنتاج أن دانفرز كان يحمل رسالة وهمية وأن يسمحوا لي في النهاية بالرحيل في حقيقة الأمر. أعتقد أن هذا ما فكروا فيه في البداية، الأمر الذي يمثل خطرًا على حياتي. علمت فيما بعد أنهم كادوا يقتلونني وأنه لا توجد أية فرصة لإطلاق سراحني - ولكن زعيمهم فضل أن يواصلوا حبسي تحسبًا لأن أكون أنا من خبأ الوثائق، وأنني قد أخبرهم بمكانها بمجرد أن أستعيد ذاكرتي. ظلوا يراقبونني بشكل متواصل طيلة أسابيع، وكانوا في بعض الأحيان يطرحون علي بعض الأسئلة - أعتقد أنهم كانوا يعرفون جميع طرق التعذيب - ولكنني تمكنت من تمالك نفسي، على الرغم من أن الأمر أرهقني كثيرًا...

عادوا بي مرة أخرى إلى أيرلندا، وقمنا بالرحلة ذاتها مرة أخرى تحسبًا لأن أكون قد خبأت الوثائق في مكان ما على الطريق. لم تتركني السيدة فانديمياير وسيدة أخرى للحظة. كانوا يتحدثون عني على أنني واحدة من قريبات السيدة فانديمياير، والتي أصيب عقلها بصدمة جراء حادثة سفينة لوزيتانيا. لم يكن هناك أي شخص يمكنني أن أطلب منه المساعدة دون أن أكتشف نفسي لهم، وماذا لو حاولت وهشلت. كما أن السيدة فانديمياير كانت تبدو شريرة وأنيقة المظهر، وشعرت بأن الناس سيصدقون كلامها بدلًا من كلامي، وقد يظنون أن جزءًا من مشكلتي العقلية أنني أعتقد أنني مضطهدة - شعرت بأن الأحوال التي قد أواجهها إذا ما اكتشفوا أنني كنت أخدعهم ستكون هائلة.

أوما السير جايمس برأسه في فهم وقال:

"كانت السيدة فانديمياير امرأة ذات شخصية قوية، ومع وضعها الاجتماعي كان من السهل عليها أن تفرض وجهة نظرها مقابل وجهة نظرك. لم يكن اتهامك لها سيلاقي قبولًا بين الناس."

قال السير جايمس بحدة: "ربما يكون قد فات الأوان غداً، إلى جانب أنه إن ذهبنا الليلة فقد تواترتنا الفرصة للقبض على العقل المدبر للعملية والمجرم الخطير - السيد براون".

خيم صمت رهيب عليهم، في حين واصل السير جايمس حديثه قائلاً:

"كان هناك من تتبعكما وصولاً إلى هنا دون أدنى شك، وعندما نغادر المنزل، سيكون هناك من يتبعنا مرة أخرى، ولكن لن يعترض طريقنا أحد، حيث إن خطة السيد براون هي أن نكون نحن من يقوده للوثائق، ولكن يخضع المنزل في سوهو لمراقبة الشرطة ليلاً ونهاراً. هناك الكثير من الرجال يراقبونه، وعندما ندخل المنزل، لن يتراجع السيد براون - سيخاطر بكل شيء في سبيل الحصول على ما يأمل في الحصول عليه. كما أنه لن يعتقد أن الخطر سيكون عظيماً - حيث إنه سيدخل المنزل متخفياً في صورة أحد الأصدقاء".

احمر وجه توبينس وفتحت فمها لتقول:

"ولكن هناك أمراً ما لا تعلمه - لأننا لم نخبرك به"، ثم نظرت إلى جاين في حيرة.

سألها السير جايمس بحدة: "ما هو؟ لا تترددي يا أنسة توبينس، يجب أن تكون واثقين مما سنقدم عليه".

ولكن بدا لوهلة أن توبينس غير قادرة على الحديث.

ثم قالت: "إنه أمر صعب، إذا ما كنت مخطئة، فسيكون خطأ جسيماً"، ثم عيست وهي تنظر إلى جاين فاقدة الوعي وقالت: "إنها لن تسامحني أبداً".

قال السير جايمس: "هل ترغبين في أن أساعدك؟".

قالت توبينس: "نعم، من فضلك. أنت تعلم من هو السيد براون، أليس كذلك؟".

قال السير جايمس: "نعم، لقد تمكنت من هذا أخيراً".

سألته توبينس في دهشة: "أخيراً؟ أوه، ولكني اعتقدت أن -"، ثم قطعت حديثها.

في إحدى الليالي، تم نقلي إلى لندن بعد أن حصلوا على تعليمات بذلك، واصطحبوني مرة أخرى إلى المنزل في ضاحية سوهو. بمجرد أن خرجت من المصحة، شعرت بأني شخص مختلف - كما لو كان هناك شيء في داخلي كان مدفوناً لوقت طويل وبدأ في الاستيقاظ من جديد.

أرسلوني لخدمة السيد بيريسفورد (إنه يشك في أنني لم أكن أعلم اسمه في ذلك الحين). ولكني كنت متشككة - كنت أعتقد أنه فخ جديد أعد من أجلي، ولكنه بدا صادقاً للغاية، ولكني لم أتمكن من تصديقه بسهولة. كنت أتحدث معه بحذر شديد، فقد كنت أعلم أنه يتم التنصت على ما نقوله، فقد كانت هناك فتحة صغيرة في أعلى أحد الحوائط.

ولكن بعد ظهر يوم الأحد، وصلت رسالة إلى المنزل. كانوا جميعاً يشعرون بالقلق، واستمعت لما يدور بينهم دون أن يدركوا هذا. لقد وصلتهم الأوامر بأنه يجب قتله. لا حاجة بي لأن أقص الجزء المتبقي، لأنكما تعرفانه جيداً. اعتقدت أن هناك وقتاً كافياً لأن أسرع وأحضر الأوراق من المكان الذي خبأتها فيه، ولكنهم كانوا في إثري، لذا بدأت أصرخ قائلة إنه قد هرب، وقلت إنني أريد العودة إلى مارجريت. كررت الاسم بصوت عال ثلاث مرات، وكنت أعلم أن الباقيين سيظنون أنني أقصد السيدة فانديمياير، ولكني كنت أرجو أن يدرك السيد بيريسفورد أنني أقصد اللوحة. كان قد أزال واحدة من اللوحات من مكانها في وقت سابق، الأمر الذي جعلني أتردد في الوثوق به".

توقفت عن الحديث فقال السير جايمس ببطء:

"هل لا تزال الوثائق في مكانها في ظهر تلك اللوحة؟".

قالت جاين وهي ترقد مرة أخرى على الأريكة مرهقة من رواية قصتها

الطويلة:

"نعم".

نهض السير جايمس واقفاً، ونظر في ساعته وقال:

"هيا، يجب أن نذهب على الفور".

سألته توبينس بدهشة: "الليلة؟".

قال السير جايمس: "إن اعتقادك في محله يا آنسة توبينس. لقد كنت أعلم من هو منذ بعض الوقت - منذ الليلة التي توفيت فيها السيدة فانديمياير".
قالت توبينس: "أه".

قال السير جايمس: "لذا فإننا بصدد تحليل مجموعة من الحقائق المنطقية هناك حلان فقط للمعضلة، إما أن تكون قد تناولت الكلورال بنفسها، الأمر الذي أرفضه، أو —"

قالت توبينس: "ماذا؟"

قال السير جايمس: "أو أنه قد تم وضعه في الشراب الذي أعطيتها إياه. هناك ثلاثة أشخاص فقط تعاملوا مع هذا الشراب - وأنا وأنت والسيد هيرشايمير".
نهضت جاين فين جالسة عندما سمعت ما يقال وقد اتسعت عيناها عن آخرهما.

قال السير جايمس: "في البداية، بدا الأمر مستحيلاً، فقد كان السيد هيرشايمير، كأحد أبناء المليونيرات الكبار في أمريكا، شخصية معروفة. بدا لي الأمر مستحيلاً أن يكون هو والسيد براون الشخص ذاته، ولكن لا يمكن لأحد أن يهرب من المنطق أو الحقائق، وحيث إن الحقائق تشير إلى هذا - فيجب قبولها. تذكرني الذعر المفاجئ والشديد الذي أصاب السيدة فانديمياير. هذا إثبات آخر، إذا ما كانت هناك حاجة لإثبات.

"لقد اغتنمت الفرصة لأعطيك تلميحا عن الأمر، ومن بعض الكلمات التي قالها السيد هيرشايمير عندما كنا في مانشستر، اعتقدت أنك قد أدركت الأمر وتصرفت بناءً عليه. ثم بدأت العمل من أجل إثبات المستحيل. اتصل بي السيد بيريسفورد وأخبرني بما كنت أشك به، وهو أن صورة الأنسة جاين فين لم يأخذها أحد من السيد هيرشايمير —"

قاملت جاين وهي تقف على قدميها وتصرخ قائلة:

"ما الذي تعنيه؟ ما الذي تقول؟ هل تقول إن السيد براون هو جوليوس؟ جوليوس ابن خالي".

قال السير جايمس فجأة: "لا يا آنسة فين. إنه ليس ابن خالك. إن الرجل الذي يطلق على نفسه جوليوس هيرشايمير لا يمت لك بأية صلة قرابة".

السادس والعشرون

السيد براون

كان لكلمات السير جايمس وقع كالصاعقة على مستمعيه اللتين نظرتا لبعضهما في حيرة. توجه المحامي نحو مكتبه، وعاد وهو يحمل ورقة صغيرة مقصوصة من إحدى الصحف وأعطاهما جاين. قرأت توبينس محتواها من فوق كتفها. كان السيد كارتر سيلا حظ هذا الأمر. كان الموضوع يتحدث عن وجود جثة مجهولة لرجل في مدينة نيويورك.

تابع المحامي حديثه قائلاً:

"كما كنت أقول يا آنسة توبينس. لقد بدأت العمل من أجل إثبات المستحيل. كانت العقبة الكبيرة التي تواجهني هي أن اسم جوليوس هيرشايمير ليس اسماً مستعاراً. عندما حصلت على هذا الموضوع، حُلّت جميع مشكلاتي. كان جوليوس هيرشايمير قد بدأ البحث بالفعل عما حدث لابنة عمته، فتوجه إلى الغرب الأمريكي وحصل على صورة لها لتساعده في بحثه عنها. في الليلة التي كان سيغادر فيها نيويورك، تم اختطافه وقتله، ووضع جثته داخل ثياب رثة وتم تشويه ملامح وجهه حتى لا يمكن التعرف على الجثة، وحل السيد براون محله. أبحر السيد براون على الفور إلى إنجلترا. لم يرأي من أصدقاء أو أقارب هيرشايمير

إراحته عن طريقهم في اللحظة المناسبة. ثم يهب جوليوس هيرشايمر لنجدتك بطريقة مسرحية رائعة. تتناثر طلقات الرصاص ولكن دون أن تصيب أحداً. ماذا سيحدث بعد ذلك؟ كنتم ستذهبون مباشرة إلى المنزل في ضاحية سوهو حيث تعطي الأنسة فين الوثائق لابن خالها الذي تثق به ليعتني بها. أو ربما كان سيذهب للحصول على الوثائق من المكان الذي خبئ به ويقول إنه لم يجدها. هناك الكثير من الطرق التي يمكنه التعامل مع الموقف بها، ولكن ستكون النتيجة دائماً ذاتها. كما أعتقد أنه كان سيدبر وقوع حادث لكما. إنكما تعلمان قدرًا كبيرًا من المعلومات. إنها خطة ماهرة لم أتنبه لها، ولكن شخصًا آخر فعل."

قالت توبييس بهدوء: "تومي."

قال السير جايمس: "نعم. عندما حانت اللحظة للتخلص منه، كان صعب المراس ولم يتمكنوا منه، ولكنني لست مرتاحًا لما قد يحدث له."

قالت توبييس: "لماذا؟"

قال السير جايمس: "لأن جوليوس هيرشايمر هو السيد براون، ويتطلب الأمر أكثر من رجل واحد يحمل مسدسًا للتغلب عليه..."

شحب وجه توبييس وقالت:

"ما الذي يمكننا فعله؟"

قال السير جايمس: "لا شيء حتى نحصل على الوثائق من المنزل في سوهو. إذا ما كان بيريسفورد لا يزال متحكمًا في الوضع، فلا خوف عليه. أما إذا حدث العكس، فإن عدونا سيهب للحاق بنا، ولكننا سنكون على أتم استعداد لمواجهة"، وفتح درج مكتبه وأخرج مسدسًا ووضعه في جيبه وقال: "إننا على استعداد الآن. لا أعتقد أنك ستوافقين على أن نذهب بدوئك يا أنسة توبييس —"

قالت توبييس: "بالتأكيد."

قال السير جايمس: "ولكني أقترح أن تظل الأنسة فين هنا. سنكون في أمان هنا، وأعتقد أنها مرهقة جراء كل ما مرت به."

ولكن لدهشة توبييس، هزت جاين رأسها وقالت:

الرجل قبل أن يستقل السفينة - على الرغم من أن الأمر لم يكن ليؤثر كثيرًا إذا ما فعلوا، فقد كان تنكره محكمًا. منذ ذلك الحين، وهو يشارك من أقسموا بالقبض عليه كل خطوة، كانت جميع أسرارهم مكشوفة له. كانت هناك مرة واحدة فقط اقترب فيها من انكشاف أمره، فقد كانت السيدة فانديمياير تعرف سره. لم يكن من ضمن مخططه أن يتم إعطاؤها مبلغًا كبيرًا من المال مقابل الكشف عن هويته، ولكن بفضل التغيير في الخطط الذي قامت به الأنسة توبييس، كانت السيدة فانديمياير ستقر بعيدًا قبل أن نصل إليها. كان على وشك انكشاف أمره، فقام بخطوة يائسة، وكان يثق في أن شخصيته المزعومة ستبعده عن دائرة الشبهات. وكاد ينجح - ولكنه لم ينجح تمامًا."

غمغمت جاين: "لا يمكنني تصديق هذا. لقد بدا شخصًا رائعًا."

قال السير جايمس: "كان جوليوس هيرشايمر الحقيقي شخصًا رائعًا، والسيد براون ممثل بارع، ولكن أسألي الأنسة توبييس عما إذا لم تكن ترتاب في أمره هي الأخرى."

التفتت جاين إلى توبييس التي أومات برأسها وقالت:

"لم أكن أرغب في أن أقول لك هذا يا جاين - كنت أعلم أن هذا كان سيجرحك، كما أنني لم أكن واثقة من هذا، ومازلت لا أفهم لماذا، إذن، قام السيد براون، بإفناذنا."

قال السير جايمس: "هل كان جوليوس هيرشايمر هو من ساعدكما على الهرب؟"

قصت توبييس على السير جايمس الأحداث المثيرة التي وقعت الليلة واختتمت حديثها قائلة:

"ولكني لا أعلم لماذا."

قال السير جايمس: "حقًا؟ أنا أعلم لماذا. وكذلك يعلم بيريسفورد. كامل أخير بالنسبة للسيد براون، كان سيترك جاين تهرب - ويجب أن تتم عملية الهرب بطريقة لا تجعلها تشك بأنها مفتعلة. لم يستبعدوا أن يكون بيريسفورد متواجدًا بالقرب من المنزل، وربما يكون قد تواصل معك أيضًا. كانوا سيحاولون

"لا، أعتقد أنني سأذهب أنا أيضاً. إن هذه الوثائق مسئوليتي. يجب أن أتم مهمتي. أنا أشعر بأني في حال أفضل على أية حال".

أمر السير جايمس الخدم بإحضار السيارة أمام المنزل. خلال المسافة القصيرة نحو المنزل في سوهو، كان قلب توبينس يخفق بعنف. على الرغم من القلق الشديد الذي كانت تشعر به بشأن تومي، فإنها لم تتمكن من منع نفسها من الشعور بالابتهاج. إنهم في طريقهم لتحقيق النصر.

اقتربت السيارة من ناصية الميدان وترجلوا منها جميعاً. اقترب السير جايمس من رجل يرتدي ملابس مدنية والذي كان يقوم بمراقبة المنزل مع مجموعة كبيرة من الرجال، وتحدث معه قليلاً، ثم عاد إلى الفتاتين وقال: "لم يدخل أحد المنزل حتى الآن. إنهم يراقبون المنزل من الخلف أيضاً، لذا فهم واثقون من هذا. أي شخص سيحاول أن يدخل المنزل بعد أن ندخله سيتم القبض عليه على الفور. هل ندخل الآن؟".

أخرج رجل الشرطة مفتاح المنزل، فقد كانوا جميعاً يعرفون من هو السير جايمس جيداً، كما كانوا قد تلقوا أوامر بخصوص توبينس. فقط الفتاة الأخرى هي التي لم يكونوا يعرفون من هي. دخل ثلاثتهم المنزل وأغلقوا الباب من خلفهم، وسرعان ما كانوا يصعدون الدرج المتداعي. في الطابق العلوي كانت هناك الستارة التي تحجب المخبأ الذي توارى فيه تومي. كانت توبينس قد سمعت القصة على لسان جاين التي كانت تتقمص شخصية آنيث. نظرت توبينس إلى الستارة المخملية المتهرئة باهتمام. حتى الآن، يمكنها أن تقسم بأنها تتحرك - كما لو كان هناك شخص ما يختبئ خلفها. يا لها من تخيلات قوية تلك التي تراودها... ماذا لو كان السيد براون - جوليس - مختبئاً خلفها ينتظر وصولهم...

مستحيل، دون شك. كانت على وشك العودة لترفع الستارة لترى ما خلفها... والآن، هم يدخلون غرفة الحبس. لا يوجد بها أي مكان يصلح للاختباء، فتهدت توبينس في راحة، ثم أثبتت نفسها بشدة على جبتها. يجب ألا تسمح لهذه التخيلات السخيفة باحتلال عقلها - هذا الشعور الملح بأن السيد براون داخل

المنزل... كراك!، ماذا كان هذا؟ هل هذا صوت خطوات تتسلل على الدرج؟ هناك شخص ما في المنزل. مستحيل. كانت قد بدأت تتصرف بهستيرية.

توجهت جاين مباشرة نحو لوحة مارجريت، وحملتها من مكانها بثبات. كان الغبار يكسو اللوحة بكثافة، وكانت هناك بعض من خيوط العنكبوت بينها وبين الحائط. أعطاهما السير جايمس مدية جيب صغيرة، فقامت بتمزيق البطانة البنية... فسقطت صفحة الدعاية من المجلة على الأرض. أمسكتها جاين، وفتحت حافتيها الملتصقتين معاً وأخرجت ورقتين رفيعتين مليئتين بالكلمات.

لم تكن وثائق زائفة هذه المرة، بل كانت الحقيقية.

قالت توبينس: "لقد حصلنا عليها أخيراً".

كانت تلك اللحظة تمتلئ بمشاعر تحبس الأنفاس. كانت توبينس قد نسيت أمر الأصوات الخافتة التي سمعتها منذ قليل. لم يكن أي منهم قادراً على النظر إلى أي شيء سوى الورقتين اللتين تمسك بهما جاين.

أخذهما السير جايمس منها وبدأ يقرؤهما وقال:

"نعم، إنها مسودة المعاهدة المشنومة".

قالت توبينس: "لقد نجحنا"، كان صوتها يحمل نبرات البهجة وعدم التصديق.

قال السير جايمس مثلما قالت وهو يطوي الورقتين ويضعهما داخل مفكرته، ثم نظر باهتمام حوله داخل الغرفة الكثيرة وقال:

"هل هذا هو المكان الذي تم حبس صديقك داخله لفترة طويلة؟ إنها غرفة سيئة بحق، ألا ترين عدم وجود أية نوافذ، وذلك الباب الثقيل. أيأ كان ما يحدث داخل هذه الغرفة، لن يمكن سماعه من الخارج".

ارتجفت توبينس، فقد أبقت كلماته فكرة ما مرت بخلدّها. ماذا لو كان هناك شخص ما يختفي داخل المنزل؟ شخص ما قد يفلق هذا الباب عليهم من الخارج، وأن يتركهم ليموتوا كالضفائر في المصيدة؟ ثم أدركت استحالة فكرتها. إن المنزل محاط بالشرطة من كل جانب والتي، في حالة عدم ظهورهم مرة

كان هناك صوت خافت يصدر من خلفه، ولكن زهوه بنصره لم يجعله يلتفت للخلف، بل وضع يده في جيبه وهو يقول:

"لقد انتهى الأمر يا شباب المقامرین"، ثم أخرج من جيبه مسدسه الآلي الضخم.

ولكن عندما فعل ذلك، شعر بمن يطوقه من الخلف بقبضة من حديد، وضرب المسدس من يده وسُمع صوت جوليوس هيرشايمر يقول:

"أعتقد أنه قد تم القبض عليك متلبساً".

احتقن وجه مستشار الملك بشدة، ولكنه تماثل نفسه في سرعة، عندما نظر إلى الوجهين اللذين يحيطان به.

نظر إلى تومي قائلاً بصوت خافت:

"أنت، أنت، كان يجب أن أعلم".

عندما شعرا بأنه لم يقاوم، أرخيا تقييدهما له قليلاً، فقام بلمح البصر برفع يده اليسرى التي يرتدي بها خاتمه نحو فمه... ثم قال وهو لا يزال ينظر نحو تومي:

"إنها القيصر، نحن من سنموت من أجلك. نحبيك".

بعد ذلك، تغيرت ملامح وجهه، ثم انكفأ على وجهه برجفة أخيرة، في الوقت ذاته عبأت رائحة اللوز المكان.

أخرى، لن تتورع عن اقتحام المنزل للبحث عنهم. ابستمت توبينس من سخافتها - ثم نظرت لأعلى فجأة لترى أن السير جايمس يحدق ويومئ لها قائلاً:

"صحيح يا أنسة توبينس، لقد شعرت بالخطر مثلما أشعر به أنا والأنسة فين".

قالت جاين: "نعم. إنه مستحيل، ولكن لا يمكنني أن أمنع نفسي من الشعور به".

أوماً السير جايمس برأسه مرة أخرى وقال: "أنت تشعرين - مثلما نشعر جميعاً - بوجود السيد براون. نعم" - في الوقت ذاته كانت توبينس قد بدأت تتحرك - "إن السيد براون هنا..."

قالت توبينس: "في المنزل؟".

قال السير جايمس: "بل في هذه الغرفة... ألم تدركي الأمر بعد؟ أنا السيد براون..."

حدقت الفتاتان به حائرتين غير مصدقتين. تغيرت ملامح وجهه تماماً بحيث أصبح رجلاً مختلفاً يقف أمامهما. ابتسم لهما ابتسامة قاسية وقال:

"لن يغادر أي منكما هذه الغرفة حياً. لقد قلت للتو إننا نجحنا. لقد نجحنا. أنا. لقد حصلت على مسودة المعاهدة"، اتسعت ابتسامته وهو ينظر إلى توبينس وقال:

"هل أخبرك بما سيحدث؟ إن أجلاً أو عاجلاً، ستقتحم الشرطة المكان، وستجد ثلاث ضحايا للسيد براون، ثلاثاً وليس اثنتين، هل تفهمين، ولكن لحسن الحظ، الضحية الثالثة لن تكون ميتة، بل مجروحة فقط، وستتمكن من وصف الهجوم بأدق التفاصيل. وماذا عن المعاهدة؟ لقد حصل عليها السيد براون، لذا لن يفكر أحد في البحث عنها في جيب السير جايمس بيل إدجارتون".

ثم التفت إلى جاين قائلاً: "لقد تمكنت من خداعي، أقر بهذا، ولكنك لن تفعلي هذا مرة أخرى".

لم يوفر جوليوس جهداً لجعل مظهر جاين رائعاً. كانت هناك طرقاً على باب الشقة التي تقطن بها توبينس مع الفتاة الأمريكية، دفعتهما للتوجه لتفتح الباب. كان الطارق جوليوس الذي كان يحمل شيئاً في يده وقال:

"توبينس، هل تقومين بأمر ما من أجلي؟ خذي هذا الشيك، واذهي لشراء أجمل الملابس لـ جاين من أجل حفل الليلة. ستأتون جميعاً لتناول العشاء معي في سافوي. لا توفري أية أموال، هل تفهمين؟"

قالت توبينس: "بالتأكيد. سنستمتع كثيراً. سأساعد للغاية باختيار الملابس من أجل جاين. إنها أجمل فتاة رأيتها في حياتي".
وافتها جوليوس قائلاً:
"بالفعل".

جعل طلب جوليوس عيني توبينس تلمعان وهي تقول:
"بالمناسبة يا جوليوس، أنا لم أجيبك على طلبك بعد".

قال جوليوس وقد شحب وجهه:
"أية أجابة؟"

قالت توبينس: "أنت تعلم - عندما طلبت مني - أن أتزوجك"، ثم خفضت عينيهما في خجل وقالت: "ولم أجيبك. لقد فكرت في الأمر —"

ظهر العرق على جبهة جوليوس وهو يقول:
"وماذا بعد؟"

رقت توبينس لحاله فجأة وقالت:

"أيها الأحق. ما الذي جعلك تفعل هذا؟ يمكنك أن أرى الآن أنك لا تكن لي أية مشاعر على الإطلاق".

قال جوليوس: "على الإطلاق. لقد كنت - ومازلت - أكن لك أعلى درجات الاحترام والتقدير والإعجاب".

قالت توبينس: "هذه من نوعية المشاعر التي يُضرب بها عرض الحائط بمجرد الشعور بالتنوع الأخرى من المشاعر، أليس كذلك؟".

السابع والعشرون

حفل عشاء في سافوي

لن تنسى أوساط التعهد بالحفلات حفلة العشاء التي أقامها السيد جوليوس هيرشايمر في مساء يوم الثلاثاء لثقة من أصدقائه. أقيمت الحفلة في غرفة خاصة، وكانت أوامر السيد هيرشايمر مقتضبة ومباشرة. لقد أعطى المطعم تفويضاً مطلقاً، وعندما يعطي أحد المليونيرات تفويضاً مطلقاً فإنه يحصل على ما يريد.

تم إحضار جميع فواتح الشهية حتى تلك التي لم يحن موسمها. كان النادل يحملون زجاجات الشراب الفاخرة بعناية تامة. كانت الغرفة مزينة بأجمل الزهور حتى التي لم يحن موسم تفتحها، تجاوزت الفاكهة من جميع أنحاء العالم ومن مختلف مواسم العام جنباً إلى جنب في الأطباق نفسها. كانت قائمة المدعوين صغيرة ومنتقاة: السفير الأمريكي والسيد كارتر، الذي قال، إنه سمح لنفسه باصطحاب صديق قديم له إلى الحفل وهو السير ويليام بيريسفورد، رجل الدين كاولي - الطبيب هول، المغامر ابن الشابين - الأنسة برودنس كاولي والسيد توماس بيريسفورد - وأخيراً وليس آخراً، ضيفة الشرف، الأنسة جاين فين.

أنه تم استخدامهم كواجهة للمؤامرة. قامت الحكومة بعرض بعض الامتيازات الإضافية التي تمت الموافقة عليها بحماس، والتي كانت تهدف إلى السلام لا الحرب.

ولكن علم مجلس الوزراء أنهم تمكنوا من النجاة بأعجوبة من كارثة محققة. كان السيد كارتر يتذكر مشهداً من الليلة السابقة وقع في المنزل بضاحية سوهو. كان السيد كارتر قد دخل الغرفة الحقبيرة ليعثر على الرجل العظيم، صديق عمره، ميتاً - وقد كُشف أمره، حيث أخرج من جيبه مفكرة وجد بداخلها مسودة المعاهدة المشنومة، وقام بحرقها في حضور الثلاثة الآخرين... لقد تم إنقاذ إنجلترا.

والآن، في تلك الغرفة الخاصة في سافوي، كان السيد جوليوس هيرشايمر يستقبل ضيوفه.

كان السيد كارتر أول الحاضرين، وكان معه رجل نبيل كبير السن شاحب الوجه، بمجرد أن رآه تومي، احمر وجهه وتوجه نحوه.

قال الرجل النبيل المسن وهو ينظر لـ تومي معتذراً:

"أنت إذن ابن أخي، أليس كذلك؟ لا تبدو غريباً عني - ولكن يبدو أنك قمت بعمل رائع. يبدو أن والدتك قد ربتك جيداً. هل نسى ما مضى؟ أنت وريثي كما تعلم، وفي المستقبل سأقدم لك جزءاً من ثروتي - ويمكنك أن تعتبر منزل تشالمرز بارك منزلك".

قال تومي: "شكراً جزيلاً لك سيدي، إنه للطف بالغب منك".

قال السير ويليام: "أين تلك الفتاة التي سمعت عنها الكثير؟".

قدم تومي توبينس له، فقال السير ويليام وهو ينظر لها:

"لم تعد الفتيات مثلما كن أيام شبابي".

قالت توبينس: "بالفعل يا سيدي، ربما اختلفت الملابس، ولكن لم يتغير جوهرهن".

قال جوليوس وقد احمر وجهه بشدة:

"لا أفهم ما تقصدينه".

قالت توبينس: "أحمق"، ثم ضحكت وأغلقت الباب، ثم فتحت مرة أخرى وقالت بوقار: "من الناحية الأخلاقية، لطالما سأشعر بأنك نبذتني".

سألت جاين توبينس عندما عادت إليها: "ما الأمر؟".

قالت توبينس: "إنه جوليوس".

قالت جاين: "ماذا كان يريد؟".

قالت توبينس: "أعتقد أنه كان يرغب في رؤيتك، ولكني لم أكن سأتركه يفعل - ليس قبل الليلة، عندما تطلين عليهم مثل الملكة المتوجة. هيا، سنذهب للتسوق".

بالنسبة لأغلب الناس، مر يوم التاسع والعشرين، عيد العمال، مثل أي يوم آخر، حيث تم إلقاء الخطاب في المتنزّه وميدان ترافلجار. انطلقت المسيرات التي تنشد أغنية العلم الأحمر في جميع الشوارع بشكل عشوائي، وأجبرت الصحف التي لمحت إلى حدوث إضراب عام وتولي مملكة العرب مقاليد الحكم على دفن رؤوسها في الرمال، في حين ادعت الصحف الأكثر جرأة ودكاً أن السلام الذي عم أرجاء البلاد كان بفضل اتباع الناس نصائحها القيمة. نُشر في صحيفة الأحد خبر الوفاة المفاجئة للسير جايمس بيل إدجارتون، مستشار الملك الشهير، ونُشرت في صحف يوم الاثنين مقالات تمجد مسيرة الرجل المتوفى المهنية. أما سبب موت السير جايمس المفاجئ فلم يتم الإعلان عنه.

كان تومي محقاً في تقديره للموقف. لقد كان النجاح في الأمر برمته يعود إليه. بعد أن حُرمت المنظمة من رئيسها، تفككت، فعاد كراميتين إلى روسيا تاركا إنجلترا في وقت مبكر من صباح الأحد، وفرت العصابة من منزل أستلي بربورز مذعورة، تاركة خلفها ورائق خطيرة كان من شأنها إدانة أفراد العصابة بشدة. مع هذه الأدلة الدامغة على وجود مؤامرة، بالإضافة إلى المفكرة التي تم الحصول عليها من جيب السير جايمس والتي كانت تحتوي على ملخص شامل لتفاصيل المؤامرة، دعت الحكومة إلى اجتماع طارئ. أدرك قادة حزب العمال

قال السير ويليام: "ربما كنتِ على حق. حمقاوات في الماضي - حمقاوات في الحاضر".

قالت توبينس: "بالفعل، أنا عن نفسي حمقاء".

قال السير ويليام وهو يضحك ويقرص أذنها مداعباً:

"أصدقك في هذا". كانت الكثير من النساء يخفن من "الدب العجوز" كما كن يطلقن عليه، ولكن جرأة توبينس أعجبت الرجل كثيراً.

بعد ذلك حضر رجل الدين الخجول، والذي شعر بالحيرة من الجمع الذي وجد نفسه بينه، كان سعيداً بأن ابنته تمكنت من إثبات نفسها في العالم، ولكنه لم يتمكن من منع نفسه من التحديق فيها من وقت لآخر بعصبية. ولكن تعاملت معه توبينس بحب، حيث امتنعت عن وضع ساق فوق الأخرى وأمسكت لسانها وامتنعت عن التدخين.

حضر بعد ذلك الطبيب هول، وتلاه السفير الأمريكي.

قال جوليوس بعد أن عرف ضيوفه بعضهم على الآخر:

"هل يمكن أن نجلس. توبينس، هل يمكنك أن —"

أشار لها جوليوس بأن تجلس في مقعد ضيف الشرف.

ولكن توبينس هزت رأسها نفياً وقالت:

"لا، هذا مكان جاين. عندما يفكر المرء في جميع سنوات المعاناة التي عاشتها، يقرر أنها من يستحق أن تكون ملكة حفل الليلة".

رغمها جوليوس بنظرة تقدير، وتقدمت جاين بحياء وجلست على المقعد. كانت جميلة مثلما كانت من قبل، بل كانت أكثر جمالاً مع تزيينها بطريقة رائعة، فقد قامت توبينس بدورها على الوجه الأكمل. كان الثوب الذي ترتديه من تصميم مصمم أزياء شهير وقد أطلق عليه اسم "الزنبق البري". كان الثوب يحمل الألوان الذهبية والحمراء والبنية، وكان يظهر منه عنق الفتاة المرمرية، وخصلات شعرها البرونزي التي تتوج رأسها. كان الجميع ينظرون إليها بإعجاب عندما جلست في مقعدها.

سرعان ما بدأ الحفل، وأُجبر تومي على أن يقدم تفسيراً كاملاً لما حدث.

قال جوليوس:

"لقد كنت تتحرى الكثير من السرية فيما يتعلق بخطوتك التالية. لقد جعلتني أعتقد أنك سافرت إلى الأرجنتين - إلا أنني أعتقد أن هناك أسباباً جعلتك تفعل هذا. إن فكرة أنك وتوبينس أعتقدتما أنني السيد براون تضحكني حتى الموت".

قال السيد كارتر: "لم تكن تلك الفكرة فكرتهما. لقد تم اقتراحها عليهما، وتم غرسها في عقليهما بمهارة، من خلال سيد الجريمة. لقد جعله الخبر الذي نُشر في صحف نيويورك يضع خطته، وبدأ في تضيق الخناق عليك بشكل كبير".

قال جوليوس: "إنه لم يعجبني أبداً. لقد شعرت منذ الوهلة الأولى بأن هناك خطباً ما بشأنه، ولطالما شككت في أنه من قام بقتل السيدة فانديمياير، ولكنني لم أتأكد من الأمر إلا بعدما علمت أن الأمر بقتل تومي جاء بعد أن قابلناه في أحد أيام الأحد، واعتقدت أنه قد يكون الزعيم نفسه".

اعترفت توبينس قائلة: "أنا لم أشك فيه على الإطلاق. لطالما اعتقدت أنني أكثر مهارة من تومي - ولكن يبدو أنه أكثر مني مهارة بمراحل".

وافقها جوليوس قائلاً: "لقد كان تومي البطل. وبدلاً من أن يظل جالساً في صمت مثل السمكة الحمقاء، دعوه يقص علينا ما حدث بنفسه".

قالت توبينس: "هيا، اسمعوا".

قال تومي في خجل: "لا يوجد ما يقال. لقد كنت ساذجاً - حتى عثرت على صورة أنيت في درج مكتب جوليوس، وأدركت أنها هي جاين فين. تذكرت حينها كيف أنها ظلت تصرخ باسم مارجريت عدة مرات - ففكرت في اللوحة - وهذا كل ما في الأمر. بعد ذلك، راجعت الأمر بأكمله لأكتشف أين جعلت من نفسي أحمق".

قال السيد كارتر: "أكمل"، ولكن بدا أن تومي يرتاح أكثر إلى الصمت ولكنه قال: "لقد ألقنني ما حدث مع السيدة فانديمياير عندما أخبرني به جوليوس.

كان بادياً أنه إما هو أو السير جايمس من قام بقتلها، ولكني لم أعلم من منهما. عندما وجدت الصورة بعد ذلك في درج المكتب، بعد أن قص علينا كيف أن المحقق براون قد حصل عليها، بدأت أرتاب في أمر جوليوس. ثم تذكرت أن السير جايمس هو من قادنا إلى جاين فين المزيفة. في النهاية لم أتمكن من أن أقرر أي شيء - ولكني قررت ألا أحاول أن أجرب حظي مع أي منهما. تركت رسالة إلى جوليوس، في حال كان هو السيد براون، قلت فيها إنني سافرت إلى الأرجنتين، وتركت رسالة السير جايمس بجانب المكتب على الأرض حتى يشعر بأنها سقطت مني بشكل عفوي. ثم كتبت خطاباً للسيد كارتر واتصلت بالسير جايمس، فقد كان جعله يتق بي هو أفضل ما يمكنني القيام به، وأخبرته بكل ما سافعله عدا مكان وجود الوثائق. كادت الطريقة التي ساعدني بها لاقتفاء أثر توبينس وأنيت تعجزني، ولكن ليس تماماً. كنت أرتاب في أمرهما كليهما. بعد ذلك، وصلتني الرسالة المزيفة من توبينس - حينها اتخذت قراري".

قالت توبينس: "ولكن كيف؟"

أخرج تومي الرسالة المشار إليها من جيبه ومررها عليهم جميعاً وقال:

"إنه خط يدها بالفعل، ولكني علمت أنها ليست منها بسبب التوقيع. إنها لا تكتب اسمها بهذه الطريقة: توبينس، ولكن أي شخص لم يكن قد رأى اسمها مكتوباً من قبل قد يكتب بهذه الطريقة، كان جوليوس قد رأى اسمها مكتوباً من قبل - كان قد عرض علي رسالة منها موجهة له من قبل - ولكن السير جايمس لم يكن قد رآه من قبل. بعد ذلك، سار كل شيء بسلاسة، حيث أرسلت أثبتت إلى السيد كارتر، وتظاهرت بالمغادرة ولكني عدت مرة أخرى، وعندما جاء جوليوس بسيارته إلى المنزل، أدركت أن هذا ليس جزءاً من خطة السيد براون - وأنه ربما تحدث مشكلة. إذا لم يتورط السير جايمس بنفسه في الأمر، لم يكن السيد كارتر ليصدق كلامي —"

قال السيد كارتر: "لم أكن سأفعل".

قال تومي: "لهذا السبب أرسلت الفتيات إلى السير جايمس. كنت على يقين من أنهم سيذهبون إلى المنزل في سوهو إن أجلاً أو عاجلاً. هددت جوليوس

بالمسدس، لأنني أردت من توبينس أن تقول هذا للسير جايمس، بحيث لا يشك بأمرنا. في اللحظة التي توارت فيها الفتاتان عن الأنظار طلبت من جوليوس أن يقود السيارة بأقصى سرعة نحو لندن، وفي أثناء ذلك، أخبرته بالقصة بأكملها. سرعان ما وصلنا إلى المنزل في سوهو وقابلنا السيد كارتر خارجاً، وبعد أن رتبنا الأمر معه، دخلنا المنزل واختبأنا خلف الستارة التي تخفي المخبأ. ألقيت الأوامر لرجال الشرطة بأن يقولوا، إذا ما تم سؤالهم، أنه لا أحد دخل المنزل. هذا كل ما في الأمر".

توقف تومي عن الحديث فجأة.

فقال جوليوس: "بالمناسبة. لقد كنتم جميعاً مخطئين بشأن صورة جاين. لقد تم أخذها مني بالفعل، ولكني وجدت مرة أخرى".

قالت توبينس: "أين؟"

قال جوليوس: "في الخزانة الصغيرة في غرفة السيدة فاندماير".

قالت توبينس: "كنت أعلم أنك وجدت شيئاً ما. في حقيقة الأمر، هذا ما جعلني أرتاب في أمرك. لماذا لم تخبرنا بالأمر؟"

قال جوليوس: "اعتقد أنني كنت متشككاً أيضاً. لقد تم أخذها مني مرة، وقررت ألا أفشي أمر العثور عليها حتى ينسخ منها المصور نسخاً عديدة".

قالت توبينس: "لقد أخفينا جميعاً عن بعضنا البعض بعض الأمور. اعتقد أن العمل في الخدمة السرية يحتم عليك ذلك".

بعد أن صمتوا جميعاً، أخرج السيد كارتر من جيبه فكرة بنية اللون وقال:

"لقد قال بيريسفورد منذ قليل إنني لم أكن سأصدق تورط السير جايمس ببيل إدجارتون إلا إذا ضبطته متلبساً. هذا صحيح. لم أقتنع بهذا إلا عندما قرأت ما كتبه في مذكرته عن الأمر. سيتم إرسال هذه المفكرة إلى إسكوتلانديارد، ولكن لن يتم نشرها على العامة أبداً. إن صلة السير جايمس الطويلة بالقانون تحتم علينا ذلك، ولكن بالنسبة لكم، فأنتم تعلمون الحقيقة، لذا سأقرأ عليكم جزءاً منها يبين عقلية هذا الرجل العظيم الاستثنائية".

فتح المفكرة وقلب الأوراق وبدأ يقرأ قائلاً:

"... من الجنون أن أحتفظ بهذا الكتاب. أعلم هذا. إنه دليل دامغ ضدي، ولكنني لم أخش أبداً الإقدام على المخاطر. كما أنني أشعر بحاجة ملحة لشيء ما يعبر عما يعمل في داخلي... إن هذا الكتاب لن يُعثر عليه إلا مع جثتي..."

"... منذ نعومة أظفاري، أدركت أنني أمتلك قدرات استثنائية. الأحق فقط هو من يقلل من قدراته. لقد كانت قدراتي العقلية أعلى من المعتاد. أعلم أن النجاح مقدر لي. لطالما كان مذهري هو ما يعمل ضدي، فقد كنت قبيح المظهر بشكل كبير..."

"عندما كنت صبياً صغيراً، كنت أستمع إلى واحدة من محاكمات جرائم القتل الشهيرة. كنت منبهراً بشدة بقوة محامي الدفاع وبلاغته. كانت تلك المرة الأولى التي أفكر فيها أن أستغل مهاراتي في هذا المجال... ثم درست شخصية القاتل داخل قفص الاتهام... لقد كان أحق - كان غيباً للغاية. حتى بلاغة محاميه لم تكن ستفقه... لقد شعرت بالازدراء الشديد نحوه... ثم فكرت في أنه لا يوجد مجرمون أكفاء، فقد كان المشردون والفاشلون والرعاع هم من يتوجهون للجريمة... أمر غريب ألا يفكر الأذكياء في الفرص الذهبية التي قد تتوافر لهم في عالم الجريمة... بدأت الفكرة تختمر في عقلي... يا له من عالم رائع - مليء بعدد لا يحصى من الاحتمالات. لقد جعل عقلي يعمل بدون توقف..."

"... قرأت الكثير من الأعمال الشهيرة عن الجريمة والمجرمين، والتي أكدت رأيي. إن الانحراف مرض لا يمكن أن يصيب المسيرة المهنية لرجل ذي بصيرة نافذة عن قصد منه، ثم فكرت، ماذا لو تمكنت من تحقيق أقصى طموحاتي - أن تتم دعوتي إلى إحدى المقاهي، وأن أصل إلى قمة مسيرتي المهنية؟ ماذا لو دخلت عالم السياسة - أو ربما أصبحت رئيس وزراء إنجلترا؟ ماذا بعد؟ هل هذه هي القوة التي أبتغيها؟ أن يراقبني رفاقي في كل لحظة أقوم بها، أن أقيد بأغلال النظام الديمقراطي الذي ساكون ممثلاً له. لا - كانت القوة التي أحلم بها هي القوة المطلقة. الحاكم المطلق، الديكتاتور. مثل هذه القوة لن تتحقق إلا بالعمل ضد القانون. اللعب على أوتار مناطق ضعف الطبيعة البشرية، ثم

مناطق ضعف الأمم - أن نتحد ونسيطر على تنظيم ضخ، وفي النهاية نتمكن من عزل النظام الحاكم، وأن نحكم نحن. لقد أعجبتني الفكرة كثيراً..."

"... أدركت أنه يجب علي أن أحيا حياتين. إن رجلاً في مثل مكانتي من السهل أن يلفت الأنظار. يجب أن أحقق مسيرة مهنية ناجحة تغطي أنشطتي الحقيقية... كما يجب علي أن أحتل مكانة كبيرة في المجتمع. لقد هيأت نفسي لأكون أحد مستشاري الملك المشهورين، فقد حاكيت صفاتهم وجاذبياتهم. لو ما كنت قد اخترت أن أصبح ممثلاً، لكنت أعظم ممثلي العصر. بدون تنكر - بدون أدوات تجميل - بدون لحى مستعارة، بل شخصية كاملة. تقمصتها كما أردي قفازي. عندما أنقص تلك الشخصية، كنت أصبح على حالتي الحقيقية، هادئاً، غير بارز، رجلاً مثل أي رجل آخر، وأطلقت على نفسي السيد براون. هناك مئات الرجال يسمون براون - وهناك مئات من الرجال يشبهونني..."

"... لقد نجحت في مسيرتي المهنية الزائفة. لقد كان مقدراً لي النجاح. سوف أنجح في مسيرتي المهنية الأخرى أيضاً، إن رجلاً مثلي لا يمكن أن يفشل..."

"... لقد كنت أقرأ قصة حياة نابليون، يوجد لدينا الكثير من الأمور المشتركة..."

"... لقد تدرّبت على الدفاع عن المجرمين، لأنه يجب على الرجل أن يعتني ببني جلدته..."

"... لقد شعرت بالخوف مرة أو مرتين. المرة الأولى عندما كنت في إيطاليا. كنا في حفل عشاء، وكان الطبيب حاضراً، وهو أحد أعظم أطباء النفس. كان الحديث يدور حول الجنون فقال: الكثير من الرجال العظماء مجانين، ولكن لا أحد يدرك هذا، حتى أنهم أنفسهم لا يدركون هذا. لا أعلم لما نظر إلي عندما قال هذا، كانت نظرته غريبة... ولم تعجبني..."

"... جعلتني الحرب أشعر بالاضطراب... اعتقدت أنها ستؤجل مخططاتي. إن الألمان بارعون للغاية، كما أن جهاز استخباراتهم رائع هو الآخر. إن الشوارع تمتلئ بهؤلاء الفتية الذين يرتدون اللون الكاكي، وكانوا جميعاً من الشباب

الأحمق العاطل عن العمل... ولكني لا أعلم... لقد انتصروا في الحرب... لقد أزعجني هذا الأمر كثيراً...

"... إن مخططاتي تسير على أكمل وجه... لقد تدخلت فيها فتاة ما - ولكني لا أعتقد أنها تعلم أي شيء... ولكن يجب أن نتخلى عن خطة إستونيا... يجب ألا نقدم على أية مخاطرة في الوقت الحالي..."

"... كل شيء على خير ما يرام. إن فقدان الذاكرة حقيقي، لا يمكن أن يكون زائفاً. لا يمكن لأية فتاة أن تخدعني..."

"... لقد حل يوم التاسع والعشرين... لقد اقترب الموعد كثيراً..."، ثم توقف السيد كارتر عن القراءة، ثم قال بعد ذلك: "لن أقرأ تفاصيل الانقلاب المخطط، ولكن هناك مقطعين يشيران لثلاثتك، وفي ضوء ما حدث، أعتقد أنهما مثيران للاهتمام."

"... عندما أقتعت الفتاة بأن تأتي لي طواعية، نجحت في أن أنزع أسنانها، ولكنها ذات حدس رائع قد يعرضنا للخطر... يجب أن تتم إزاحتها عن الطريق... لا يمكنني أن أفعل شيئاً للأمريكي، إنه يشك بي ولا يحبني، ولكن لن يمكنه أن يعلم أي شيء عني. أعتقد أن درعي منيعة للغاية. أعتقد أحياناً أنني قد قلت من قدر الفتى الآخر. إنه ليس على قدر كبير من المهارة، ولكن لا يمكن لأحد أن يحجب الحقيقة عنه..."

أغلق السيد كارتر الكتاب وقال:

"رجل عظيم. عبقري أم مجنون، من يمكنه أن يحكم على هذا؟"

خيم الصمت على المكان، ثم نهض السيد كارتر وقال:

"سأقترح نجباً، إلى شركة شباب المغامرين التي قدرت لنفسها النجاح الباهر."

صفق الجميع وهللا في حين أكمل السيد كارتر حديثه قائلاً:

"هناك أمر آخر نرغب في سماعه"، ونظر إلى السفير الأمريكي وقال: "أنا أتحدث عنك أيضاً. سنطلب من الأنسة جاين فين أن تخبرنا بالقصة التي لم

يسمعا أي منا سوى الأنسة توبينس فقط - ولكن قبل هذا سنرفع نجبها - نجب واحدة من أشجع الفتيات اللواتي أنجبتهن أمريكا في تاريخها، الفتاة التي تدين لها دولتان عظيمتان بالشكر والعرفان."

الضوء، هذا مستحيل، ولكني أحببتك منذ رأيت صورتك للمرة الأولى - والآن بعد أن رأيته، أصبحت أحبك بجنون. إذا ما وافقت على الزواج مني، فلن أجعلك تقلقين من أي شيء - ستستمتعين بحياتك. ربما لا تشعرين بالحب نحوي أبدًا، وفي هذه الحالة سأعطيك حريتك، ولكني أطلبك بمنحي الحق في الاعتناء بك ورعايتك".

قالت جاين بحكمة: "هذا ما أرغبه. شخص ما يعاملني برفق. إنك لا تشعر بمدى الوحدة التي أشعر بها".

قال جوليوس: "لا شك في أنني أشعر بك، وأعتقد أن كل هذا سينصلح، وسأذهب صباح الغد إلى رجل الدين من أجل الحصول على موافقته بالزواج منك".

قالت جاين: "جوليوس".

قال جوليوس: "حسنًا، أنا لا أرغب في جعلك تتسرعين بالقرار، ولكن لا يوجد ما يجعلنا ننتظر. لا تخافي - لا أتوقع أن تحبيني على الفور".

ولكنه وجدها تضع يدها الصغيرة بيده وتقول:

"أنا أحبك منذ الآن يا جوليوس. لقد أحببتك منذ أن كنا في السيارة واحتكت بطلقة الرصاص بوجنتك..."

بعد خمس دقائق، غمغمت جاين بلطف قائلة:

"أنا لا أعرف شوارع لندن جيدًا يا جوليوس، ولكن يبدو أن المسافة بين مطعم سافوي وفندق الريتز كبيرة، أليس كذلك؟".

قال جوليوس: "يعتمد هذا على الطريق الذي تسلكينه. إننا نملك طريق متنزه ريجينت".

قالت جاين: "جوليوس، ماذا سيعتقد السائق؟".

قال جوليوس: "طبقًا للراتب الذي يتقاضاه مني، لا أعتقد أنه سيفكر في أي شيء بمفرده، إن السبب الوحيد الذي أقمت من أجله حفل العشاء في سافوي هو أن أتمكن من أن أملك لمحل إقامتك. إنني لم أكن أعلم كيف يمكنني أن أفرد بك. لقد كنت أنت وتوبيتس ملتصقتين بعضكما بالآخرى كالتوائم السيامي. أعتقد

الثامن والعشرون

والنهاية

قال السيد هيرشايمر بينما كان يقود سيارته وابنة عمته بجانبه عاندين إلى فندق الريتز:

"لقد كان نخبًا رائعًا يا جاين".

قالت جاين: "أتقصد نخب المغامرة المشتركة؟".

قال جوليوس: "لا - نخبك أنت. لا توجد فتاة في العالم قادرة على فعل ما فعلت أنت. لقد كنت رائعة".

أحنت جاين رأسها وقالت:

"أنا لا أشعر بأنني رائعة، بل أشعر في داخلي بالإرهاق والوحدة - والشوق للعودة لبلادي".

قال جوليوس: "يشجعني هذا على قول أمر ما كنت أرغب في الحديث معك عنه. لقد سمعت السفير يقول إن زوجته تأمل في أن تذهبي لهما في مقر السفارة على الضوء. هذا أمر رائع، ولكنني وضعت خطة أخرى. جاين - هل تتزوجيني. لا تشعرني بالخوف وترفضني على الفور. لا يمكن أن تشعرني بالحب نحوي على

أنكما لو كنتما بقيتما على هذه الحال ليوم آخر، لكنك أصبت أنا وبيريسفور
بالجنون".

قالت جاين: "هل هو —؟"

قال جوليوس: "بالطبع هو كذلك. إنه متيم بها".

قالت جاين: "لقد توقعت هذا".

قال جوليوس: "لماذا؟"

قالت جاين: "لقد تحدثت توبينس معي في كل شيء عدا هذا".

قال جوليوس: "لقد تغلبت علي في هذا الأمر".

ولكن كل ما فعلته جاين هو أن ضحكت.

في الوقت ذاته، كان فريق شباب المغامرين يجلسان منتصبين، ومتصلبين
وغير مرتاحين في سيارة أجرة عادية كانت تقلهما أيضًا إلى فندق الريتز عبر
متنزه ريچينيت.

كان يبدو أن هناك الكثير من الارتباك يسود بينهما. بدون أن يعلما ما حدث،
بدأ أن كل شيء قد تغير بينهما. كانا غير قادرين على الحديث - كما لو كانا
مشلولين. لقد انتهت الصداقة بينهما.

لم تتمكن توبينس من التفكير في أي شيء لتقوله.

وكانت حال تومي ماثلة لحالها.

في النهاية، قالت توبينس بعد بذل جهد كبير:

"لقد كان الحفل مسلياً، أليس كذلك؟"

قال تومي: "بالفعل".

ثم خيم الصمت مرة أخرى.

قالت توبينس مرة أخرى:

"يعجبني جوليوس".

دبت الحياة في تومي فجأة وقال:

"إنك لن تتزوجيه، هل سمعت؟"، ثم قال بدكتاتورية: "أنا لست موافقاً على
هذا".

قالت توبينس بخضوع: "أوه".

قال تومي: "لن يحدث هذا، هل تفهمين؟".

قالت توبينس: "إنه لا يرغب في الزواج مني - لقد طلب مني الزواج بدافع
الشفقة".

قال تومي: "هذا احتمال بعيد".

قالت توبينس: "بل هذا صحيح، إنه غارق في حب جاين. أعتقد أنه يطلب
يدها للزواج الآن".

قال تومي: "أعتقد أنها ستوافق".

قالت توبينس: "ألا تعتقد أنها ألطف مخلوقة وقعت عينك عليها؟".

قال تومي: "بالفعل، هي كذلك".

قالت توبينس: "ولكني أعتقد أنك تفضل الفتيات الثريات".

قال تومي: "توبينس، أنت تعلمين أن الأموال لا تهمني".

قالت توبينس بسرعة مغيرة مسار الحديث:

"يعجبني عمك يا تومي. بالمناسبة، ما الذي ستفعله، هل ستقبل بالوظيفة
الحكومية التي عرضها عليك السيد كارتر، أم ستقبل عرض جوليوس وتذهب
للعمل معه في مزرعته في أمريكا؟".

قال تومي: "أعتقد أنني سأبقى في بلادي، على الرغم من العرض السخي من
هيرشايمر، ولكني أميل أكثر للبقاء في لندن".

قالت توبينس: "لا أرى أن لي دخلاً بالأمر".

قال تومي: "بل لك دخل".

نظرت له توبينس بجانب عينها وقالت:

"ستكون هناك أموال أيضاً".

قال تومي: "آية أموال؟".

قالت توبينس: "سيحصل كل منا على شيك، لقد أخبرني السيد كارتر بهذا".

سألها تومي بسخرية: "هل سألته عن المبلغ؟".

قالت توبينس: "نعم، ولكنني لن أخبرك".

قال تومي: "إنك مزعجة يا توبينس".

قالت توبينس: "لقد كانت مغامرة ممتعة، أليس كذلك يا تومي؟ أتمنى أن

تقوم بالمزيد من المغامرات".

قال تومي: "إنك نهمة للمغامرات يا توبينس، لقد اكتفيت من المغامرات في

الوقت الحالي".

قالت توبينس: "حسنًا، أعتقد أن التسوق يكفي حاليًا. أفكر في شراء بعض

الأثاث القديم، والسجاجيد اللامعة، والستائر الحريرية ذات التصميمات

المستقبلية، وطاولة طعام لامعة وأريكة ذات وسائل كثيرة —".

قال تومي: "مهلاً، لماذا كل هذا؟".

قالت توبينس: "ربما من أجل منزل، ولكنني أفكر في شقة".

قال تومي: "شقة من؟".

قالت توبينس: "هل تعتقد أنني سأمتنع عن قولها، ولكنني لست كذلك. شقتنا".

صاح تومي وهو يحيطها بذراعيه:

"حبيبتي. لقد كنت أرغب في أن أجعلك تقولينها بنفسك. لطالما أحبيتك

على الرغم من الطريقة القاسية التي تعاملت بها معي عندما حاولت أن أخبرك

بمشاعري".

رفعت توبينس عينيها وأخذت تنظر في عينيه، في حين كانت سيارة الأجرة

تواصل طريقها عابرة الجزء الشمالي من منتزه ريجينت.

قالت توبينس: "إنك لم تتقدم لتتزوجني بالفعل في الوقت الحالي، ليس

بالطريقة القديمة، ولكن بعد الاستماع إلى العرض السيئ من جوليوس، فإنني

ألتمس لك العذر".

قال تومي: "لن يمكنك أن تتخلصي من زواجك مني، لذا، أَلن تفكري قليلاً؟".

قالت توبينس: "وما المرح في ذلك. إن الزواج يُطلق عليه الكثير من الأسماء:

الجنة، الملاذ، والمجد العظيم، وحالة من العبودية، والكثير من الأسماء

الأخرى، ولكن هل تعلم ما أطلقه أنا عليه؟".

قال تومي: "ماذا؟".

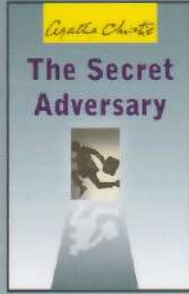
قالت توبينس: "رياضة".

قال تومي: "رياضة رائعة أيضًا".

تمت بحمد الله تعالى

العدو الخفي

إعلان عن جريمة
أوراق لعب على الطاولة
القتل السهل
خداع المرايا
الجواد الأشهب
لفز القطار الأزرق
الأفيال تستطيع أن تتذكر
الشاهد الصامت
الستار
بعد الجنازة
شر تحت الشمس
الجريمة النائمة
العدو الخفي
قطعة بين الحمام
الموت على ضفاف النيل



لفز تومي وتوينيس الأول، مع مقدمة جديدة تمامًا من تأليف الخبير بأعمال أجاثا كريستي جون كوران. تومي وتوينيس، زوجان شابان مفلسان خسرا عملهما بعد الحرب، لا يملأن السعي وراء الإثارة. بدأ في إنشاء شركة جريئة - شركة شباب المغامرين المحدودة - «مستعدون لفعل أي شيء في أي مكان».

ولكن، مهمتهما الأولى، لصالح السيد ويتجتون المشؤم، ورطتهما في مؤامرات سياسية شيطانية. وتحت سمع وبصر السيد براون المخادع، وجدا نفسيهما معرضين لخطر يقو خليلهما.

«على أي كاتب روايات ألفاز يرغب في تعلم كيفية صياغة الحبكة الروائية أن يقضي بعض الأيام في قراءة أعمال أجاثا كريستي، حيث إنها ستعلمك كل ما ترغب في تعلمه».

— دونا ليون، مؤلفة الروايات الأكثر مبيعًا في العالم تحت عنوان Commissario Guido Brunetti.

«أجاثا كريستي مؤلفة الروايات البوليسية الأكثر مبيعًا على مدار التاريخ؛ حيث لم تتمكن أية أعمال أخرى من تخطي مبيعاتها سوى أعمال شكسبير، فقد بيع أكثر من مليار نسخة من أعمالها باللغة الإنجليزية، إلى جانب مليار نسخة أخرى مترجمة إلى مائة لغة. توفيت أجاثا كريستي عام ١٩٧٦».

النسخة الإلكترونية

قارئة جريير
JARIR READER



ISBN 628-107207963-5



6 281072 079635

282205775